آداب الملوك

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
الثعالبي
(350 - 429 هـ)

تحقيق
الدكتور جليل العطية

طبع الكتاب بمعونة من اليونسكو

دار الغرب الإسلامي

آداب الملوك

الطبعة الأولى

1990

دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113
بيروت - لبنان

آداب الملوك

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
الثعالبي
(350 ـ 429 هـ)

تحقيق
الدكتور جليل العطيّة

طبع الكتاب بمعونة من اليونسكو

دار الغرب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

1 ـ الثعالبي وعصره:

ولد أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة في نيسابور، والمرجح أنه كان عربي الأصل، شافعي المذهب. ولكونه عاش في بيئة فارسية فقد اتقن لغتها ـ كما يبدو من خلال مؤلفاته[1].

كانت ولادته في أسرة سرية، لها مكانتها الاجتماعية المرموقة، تتوارث احتراف بيع جلود الثعالب. وينفرد كتابنا بما يؤكد أن جدّه ـ أبا علي ـ كان مقرباً من الامراء[2]، ولعل جلود الفراء كانت السبيل إلى بلاطات الامراء، وقد ورث الثعالبي ضياعاً عديدة، غير أنه أتلفها بسبب انصرافه عنها إلى الأدب والتعليم.

اختار أبو منصور تأديب الصبيان وسيلة للعيش، وهي مهنة الجاحظ وغيره من الكتّاب، ولعله وجدها أقصر الطرق إلى حكام وأمراء عصره،

---

(1) انظر مجموعة من النصوص الفارسية في: يتيمة الدهر 339:3، 149:4. تتمة اليتيمة 25:2 الأنيس في غرر التجنيس 479، لطائف المعارف 9، ثمار القلوب 188.

(2) انظر الفقرة 49.

كانت هذه المهنة رائجة، فلقد كانت نيسابور من قلاع خراسان الثقافية. وظلّ أثر هذه المهنة باقياً في مؤلفاته، فهو يعتبرها من المهن التي مارسها كثير من العظماء في بداية حياتهم[3].

وكان آل ميكال ـ حكام نيسابور ـ في مقدمة مشجعي الأدب والعلم، وقد قدّمه شيخه ـ الخوارزمي ـ إلى عميد هذه الأسرة: أحمد بن علي الميكالي، فمدحه بقصيدة[4] وربما أكثر. ثمّ اتصل بابنه ـ أبي الفضل عبيد الله. كان هذا الأمير أديباً، شاعراً، محبّاً للعلم، وهكذا عُقدت بين الاثنين صداقة حميمة لم يقطعها غير الموت. وقد ألّف له عدّة كتب منها: خصائص البلدان، فضل من اسمه الفضل.

كان أبو الفضل جماعة للكتب، في داره مكتبة ضخمة. أفاد منها الثعالبي كثيراً في تأليف كتبه. وكان كذلك أحد الرواة الذين اعتمدهم الثعالبي في معظم كتبه، وعندما صنّف الميكالي حماسة سماها «المنتخل» أودعها مختارات من شعر القدامى والمحدثين، عمد الثعالبي إلى اختصارها، واختار بعض شعر الميكالي ليودعها فيها، دلالة اعجابه به، وبشاعريته، وقد وصلت إلينا الحماسة الميكالية، ونُشر منتخلها باسم «المنتحل»[5].

كانت دار أبي الفضل ملتقى الادباء والشعراء، وقد انتفع الثعالبي كثيراً من هذه الدار ـ النادي ـ فتعرف إلى جمهرة من أعلام عصره، سمع منهم أشعارهم وملتقطات من نثرهم وطرائف من مداعباتهم، فأودعها كتبه، وشجعه هذا ـ في وقت لاحق ـ على تأليف «يتيمة الدهر» ذلك الكتاب الذي يعدّ أفضل سجل للحركة الأدبية في القرن الرابع الهجري السفر الذي ارتبط باسمه، وخلّده على مرّ الزمن.

---

(3) التتمة 20/2، تحسين القبيح 31-32.
(4) درج الغرر 43.
(5) صدر بعناية أحمد أبي علي ـ الاسكندرية ـ 1901 م.

ولقد ارتفع شأنه بحيث ألّف له الآخرون، فاهداه «سهل بن المرزبان» كتاب «أخبار ابن الرومي»[6].

لمع الثعالبي في ظل الدولة السامانية. وكان حكامها قد عضدوا الحركة الثقافية، ولهذا آثر أن يجرّب حظه، فتوجه إلى «بخارى» في حدود سنة 382هـ، غير أن الاضطراب كان يسود حكم نوح بن منصور الساماني، بسبب تهديدات الأتراك التي نُفذت باحتلال بغراخان إيلك ـ ملك الترك ـ بخارى سنة 383هـ. فكان ذلك سبباً لانحلال حكم السامانيين بعد فترة، وبالتحديد سنة 395هـ عندما سيطر الغزنويون على إقليم خراسان بأسره ومركزه نيسابور. وهكذا اضطر الثعالبي للعودة إلى مسقط رأسه دون أن يحقق شيئاً يذكر من آماله، إلّا أنه وسع صلاته بادباء بخارى والوافدين إليها. كان من أبرز هؤلاء بديع الزمان الهمذاني، وقد اعجب بالبديع اعجاباً كبيراً، ثبته في الترجمة الواسعة التي أفردها له[7].

غير أن أبا منصور فجع برحيل الهمذاني ووفاة أبي بكر الخوارزمي، فخسر أستاذين، صديقين، ولم يخفف عنه الأمر إلّا تعرفه إلى أديب، مفكر حلّ في نيسابور، هو أبو الفتح علي بن محمد البستي، فسرّ كثيراً بهذا الوافد، وكتب في ترجمته[8]:

«وجمعتني وإياه صلة الأدب التي هي أقوى من قرابة النسب، فما زالت في قدماته الثلاث نيسابـور بين سرور وأنس مقيم».

كان البستي سريع البديهة، واسع الثقافة، وقد عول الثعالبي عليه كثيراً في كتبه، فوشحها بالكثير من أشعاره وأقواله، ودارت بينهما رسائل وطرائف سجلها في كثير من آثاره.

(6) اليتيمة 292/4.
(7) اليتيمة 256/4-592.
(8) اليتيمة 304/4.

وفي 391هـ زار الثعالبي جرجان بدعوة من حاكمها الأمير قابوس بن وشمكير ـ وهو أديب وشاعر ـ كان قد تعرف إليه في نيسابور أثناء نفيه من قبل البويهيين. وقد احتفى قابوس بأبي منصور الذي نظم قصيدة يهنئه بعودة مُلكه إليه بقصيدة مطلعها:

الفتحُ منتظمٌ والدهر مبتسمُ   وظلُّ «شمسِ المعالي» كله نِعمُ(9)

ثمّ قدم له كتابه «المبهج» فسرّ «شمس المعالي» بهذه الهدية، وتوطدت الصلة بين الاثنين، وكان من حصادها أن صنّف الثعالبي للأمير قابوس كتابه «التمثيل والمحاضرة»(10).

وكان أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين ـ حاكم نيسابور ـ قد انتصر في معركة ضد فلول السامانيين، فاستثمر الثعالبي هذه الفرصة ليعود إلى نيسابور مرة أخرى سنة 392هـ، ويقرأ بين يديّ حاكمها قصيدة أعدّها في مدحه، مطلعها:

تبلّجت الايامُ عن غُـرّةِ الدّهرِ   وسبٌّ بأهل البغي قاصمةُ الظهرِ(11)

فكانت القصيدة بداية صلة وطيدة امتدت عشرين عاماً. كان من نتائجها أن صنّف الثعالبي لابي المظفر كتاب «أجناس التجنيس» و«كتاب الاقتباس من القرآن الكريم»، وقد برّه الأمير، حتى إذا حلّت سنة 396هـ اضطربت الأوضاع، حيث انتزعت جيوش إيلك خان التركي مدينة نيسابور من الغزنويين، فغادرها الأمير نصر.

في هذه الاثناء ألّف الثعالبي كتاب «سحر البلاغة» وأهداه إلى صاحب الجيش أبي موسى بن عمران.

---

(9) ديوان الثعالبي 113-114 رقم 157.
(10) التمثيل والمحاضرة 3-4.
(11) ديوان الثعالبي 62-64 رقم 77.

وفي نحو سنة 400هـ فقد الثعالبي صديقه وأستاذه البستي، وحلّ القحط بإقليم خراسان كله 401هـ، وانتشرت المجاعة والموت، وعجز الناس عن دفن موتاهم. تألم الثعالبي لهذه الأحداث فاضطر لمغادرة مسقط رأسه متوجهاً إلى «أسفرائيين» حيث حلّ ضيفاً على حاكمها الأمير أبي العباس الفضل بن علي، وفي هذه المدينة تعرف إلى مجموعة أخرى من الادباء، ثمّ توجه إلى «جرجان» مرة أُخرى، وقد وصف أبو منصور رحلته هذه في ترجمة أبي المحاسن سعد بن محمد بن منصور بقوله:

«كانت النائبة رمت بي إلى جرجان في سنة ثلاث وأربعمائة، فانزلني أبوه الرئيس أبو سعـد محمد بن منصور ـ رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه ـ في منزله وأخدمني خدمه، وأوسعني فضله وكرمه»[12].

كان أبو سعد رئيس جرجان ومشير الأمير قابوس بن وشمكير يرعى الأدب وأهله، ونال «أبو منصور» من كرم الأميرين قابوس وأبي سعد ما جعله يتفرغ لكتابة النسخة المعدلة من يتيمة الدهر، ويبدو أنه كان مصمماً على البقاء في جرجان، غير أن مقتل قابوس على يد قادته من جهة، واستدعاء الأمير مأمون بن مأمون خوارزم شاه له إلى الجرجانية من جهة أخرى، جعلته يلبي الدعوة.

كان خوارزم شاه أديباً بليغاً، صنّف له الثعالبي كتابنا هذا ـ آداب الملوك وعدة كتب منها: اللطائف والظرائف، المشرق، نثر النظم وحلّ العقد ولباب الآداب والنهية في الطرد والنسخة الثانية من كتاب «النهاية في الكناية» وسمّاه «الكناية والتعريض»[13].

وجد الثعالبي من خوارزم شاه كل رعاية ومحبة، ونال عنده السعادة

---

(12) التتمة 144/1.

(13) مقدمة التوفيق للتلفيق (بغداد): 16.

والمال والجاه، فكان نديمه وأنيسه في مجالسه الخاصة[14]، وكانت تجربته الشخصية المريرة، وارتباك الاوضاع في عصره، قد علمته أن الانصراف إلى الأدب أفضل وسيلة للسلامة وراحة البال والقلب، وكان بلاط مأمون قد احتشد بنجوم العصر من علماء وأدباء ـ بينهم البيروني وابن سينا، وتألق الثعالبي بين هؤلاء كأديب وراوية ومؤرخ.

ولقد وطد ـ أبو منصور صلته ـ بأركان نظام مأمون مثل الوزير أبي عبد الله محمد بن حامد الذي كان التقاه في بلاط قابوس بن وشمكير، فأهداه كتابه «أحسن ما سمعت».

وفي 407 هـ قتل الأمير مأمون، فرحل إلى «غزنة».. كانت هذه المدينة عاصمة السلطان محمود الغزنوي الذي امتدّ عرشه من الهند إلى «بغداد»، وقد جدّد محمود بناء «غزنة» نحو سنة 415هـ عند رجوعه إلى بلاده محملاً بالغنائم من الهند.. وبلغت المدينة أوج عظمتها في أيامه.

كان السلطان محمود قد تولى السلطة بعد وفاة والده ناصر الدين سبكتكين (387هـ). وقد أهدى الثعالبي كتابه «لطائف المعارف» إلى هذا السلطان، وفي «غزنة» عرف كوكبة من رجال الدولة، فاتصل بابن مشكان، ومحمد بن عيسى الكَرَجي[15] الذي أهدى له كتابه «تحسين القبيح وتقبيح الحسن»، والقاضي المؤمل بن خليل بن أحمد[16].

بقي ـ أبو منصور ـ في «غزنة» نحو خمس سنوات وفي نحو 412هـ تركها متوجهاً إلى «هراة» لينزل ضيفاً على القاضي أبي أحمد منصور بن محمد الهروي الازدي، فألف له «اللطيف في الطيب» و«الايجاز والاعجاز»، واقرّ بأن القاضي شمله «بجلائل منه ودقائق كرمه» غير أنه لم

(14) تاريخ البيهقي 736، لطائف المعارف 86.
(15) تحسين القبيح 27.
(16) تتمة اليتيمة 75/2.

يلبث أن غادر «هراة» قاصداً «نيسابور» فبلغها وقد ناف عمره على الستين. قضى أربعين سنة منها في التنقل بين الحواضر والامصار[17].

ويبدو إن أبا منصور عاد إلى مسقط رأسه بشيء من المال، فاقتنى ضيعة، مؤملاً أن يقضي فيها بقية حياته بدعة وطمأنينة، وكانت شهرته الأدبية قد طفقت الآفاق، ولهذا رحب به أدباء مدينته، فقال الحسن بن مؤمل الحربي مرحباً بعودة صديقه القديم[18]:

قد أشرقت أرجاءُ نيسابورِ   وطلعتْ طلائعُ السُّرورِ
بعودِ مولانا أبي منصور   لا زال في عزٍّ وفي حُبورِ
ودولةٍ تبقى على الدّهورِ

وفور عودته جدّد صلته بصديقه الأمير أبي الفضل الميكالي، وليؤلف له «ثمار القلوب»، ثمّ اتصل بأخيه نصر بن أحمد الميكالي، وبمجموعة من أدباء نيسابور. ولبّى طلب «أبي الفضل» بتأليف كتاب لغوي حدّد له منهجه، فاختلى الثعالبي بضيعته بعد أن زوّده الميكالي بمصادر نادرة لها قيمتها وأهميتها، فكانت ثمرة هذا العمل كتاب (فقه اللغة)[19].

وبينما كان الثعالبي ينعم بالدفء والأمن فجع بهجوم «القفص» على ضيعته الشخصية سنة 420هـ ـ وكان هؤلاء يسكنون جبالاً بكرمان، وهم فئة من قطاع الطرق، لا هم لهم إلاّ التخريب والدمار والقتل بوحشية[20]. حزن الثعالبي لهذه الكارثة التي سلبته «ثروة العمر» في زمن لم يعرف «التأمين» على الممتلكات الشخصية.

ولقد أعانه الميكالي على مواجهة متطلبات الحياة، وتشير القصائد

(17) الثعالبي ناقداً وأديباً 43.
(18) تتمة اليتيمة 23/2.
(19) فقه اللغة: 22.
(20) ابن الأثير 377/9.

والمقطعات التي مـدح الثعالبي بها صديقه الأثير على امتنانه لهذا الوفاء والاخلاص.

وفي 422هـ ولي أبو سهل الحمدوني «خراسان» من قبل السلطان مسعود نجل السلطان محمود.

كان الحمدوني ممّن قدّروا طاقات أبي منصور، ولقد سبق للأخير أن أهداه قديماً النسخة الثانية من كتابه «سحر البلاغة» ولهذا وجد أبو منصور في دار الأمير مكاناً لنفسه، فألف له كتابه «برد الاكباد في الاعداد»، واتبعه بكتابين هما «اللطف واللطائف» «ومرآة المروءات». زار السلطان مسعود إقليم خراسان (424هـ)، فاقام بنيسابور مع أركان دولته بعض الوقت، وقد نظم «أبو منصور» قصائد مدح بها السلطان[21] وأركانه.

وكان لأبي منصور مجالس ومحاورات أدبية مع أبي القـاسم عبد الـواحد بن الحـريش الاصفهاني[22] ومـع أبي الفتـح محمـد بن أحمـد الدنباوندي[23].

وكان نجاح كتابه «يتيمة الدهر» من جهة، وتجمع مواد أدبية جديدة لديه، قد شجعه على صنع ذيل لكتابه، سماه «تتمة اليتيمة» رأى أن يقدمه إلى صديقه القديم محمد بن عيسى الكرجي، فلما اعجله السفر أهداه مسوّدة الكتاب[24].

في هذه الفترة، أنجز أيضاً تأليف كتابه «الغلمان»، وقد وصف فيه مائة غلام، وصفاً شعرياً، وهذا الكتاب مفقود اليوم[25].

(21) ديوان الثعالبي: 48 - 77 - 100 - 115.
(22) له ترجمة في التتمة 122/1.
(23) له ترجمة في التتمة 133/1.
(24) التتمة 1/1.
(25) ذكر جرجي زيدان (تاريخ آداب العربية 597/2) وجود مخطوطة من هذا الكتاب في مكتبة برلين، وقد تأكد لي أنه وهم منه.

في 429هـ توفي «أبو منصور» في «نيسابور» بعد أن عاش نحو ثمانين عاماً، رفد خلالها المكتبة العربية بروائع من النتاج الأدبي والفكري.

وأثارت وفاته موجة حزن في قلوب زملائه وتلامذته، فرثاه صديقه الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن دوست بهذه الأبيات[26].

كان أبو منصورٍ الثعلبي   أبرعَ في الآدابِ من ثعلب
ليت الردى قدّمني قبله   لكنه أروغُ من ثعلب
يطعن من شاء من الناس بالـ   موتِ كطعنِ الرمح بالثعلب

2 ـ آثاره العلمية:

يجابه الباحث بصعوبات بالغة عندما يحاول حصر مؤلفات الثعالبي، فالرجل لم يترك ثبتاً باسماء مؤلفاته، ولم يترجم لنفسه أيضاً، وقد حاول علماء القرن الثامن الهجري ـ وما بعده ـ حصر مؤلفاته، دون الاطلاع عليها جميعاً، فوقعوا باخطاء جمة. على أنه يحفظ للكلاعي ـ وهو من علماء القرن السادس الهجري ـ محاولته تقديم قائمة ببيليوغرافية له، فقدم لنا 21 عنواناً ـ نملك 15 منها اليوم. وقدّم الثعالبي نفسه أسماء 24 كتاباً انفرد بذكر 7 منها، لم يذكرها له أحد من القدماء[27].

وقدّم الصفدي (764هـ) قائمة تضم 70 عنواناً، وقد عوّل عليها كل من لحقه من المؤرخين، في مقدمتهم معاصره: ابن شاكر الكتبي (764هـ)، ومنهم ابن قاضي شهبة (851هـ) في كتابه المخطوط «طبقات النحاة واللغويين».

والمؤسف أن ترجمة الثعالبي ساقطة من معجم ياقوت الحموي المعروف بمعجم الادباء. ولم يأت القفطي بجديد.

---

(26) الوافي بالوفيات (ج 17 ـ مخطوطة باريس ق 270).
(27) الثعالبي ناقداً وأديباً: 66 وانظر: أحكام صنعة الكلام 232.

وفي العصر الحديث حاول عدد من الباحثين حصر هذه الآثار. كان في مقدمتهم بروكلمان ألّا أن قائمته كانت قاصرة ومشحونة بالاخطاء.

وفي السنوات الأخيرة جرت محاولات جادة لتقديم ثبت معقول للثعالبي فقدّم د. عبد الفتاح الحلو قائمة تضم 106 عنوانات[28]. وقدّم د. محمود الجادر أخرى تضم 95 عنواناً [29]، وقدّم الأستاذ هلال ناجي قائمة تضم 104[30] وأخيراً قدم د. صادق النقوي قائمة تضم 125 عنواناً[31].

وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلت من الباحثين الأفاضل، ألّا أنها لم تخل من تكرار وأخطاء، والسبب فقدان كثير من آثار الثعالبي، وعدم إطلاعهم على كل المخطوطات الثعالبية الموزعة في مكتبات العالم، واعتمادهم على من سبقهم من المؤرخين والباحثين وغير ذلك، وعسى أن يجود الزمن بمخطوطات أخرى تكشف أسرار الخزانة الثعالبية.

3 ـ الثعالبي والسياسة

لقد ألمحنا إلى أن أبا منصور اختار التأليف ومنادمة الأمراء والملوك طريقاً في الحياة، بالنظر لتعقد الظروف السياسية وتشابكها في عصره، وقد تناول في كتبه معارف شتّى كانت سائدة في عصره ـ وعلى الرغم من أن عالمه الذي كان يحسن فيه: الأدب، إلّا أنه تعدّى ذلك إلى اللغة والنقد والبلاغة بفروعها والتاريخ والحضارة والسياسة. ولكنه اشتهر في علم الرجال ـ البيبليوغرافية، وكتب المختارات الأدبية.

وبالرجوع إلى قائمة مؤلفات الثعالبي نجد أن ما يتعلق منها بالسياسة قليل جداً، وقد حاولنا استخراج قائمة بهذه المؤلفات لنعرف أهمية الكتاب

(28) مقدمة التمثيل والمحاضرة: 14-25.
(29) الثعالبي ناقداً وأديباً 70-157.
(30) مقدمة التوفيق للتلفيق 27-35.
(31) مقدمة خاص الخاص 14-33.

الموجود بين أيدينا اليوم فتبين لنا أنها:

1 ـ آداب الملوك ـ سيأتي الحديث عنه.

2 ـ تحفة الوزراء ـ سيأتي الحديث عنها.

3 ـ سرّ الوزارة ـ ذكره الصفدي وابن شاكر الكتبي وابن شهبة ـ مفقود.

4 ـ السياسة ذكره في «المتشابه» ـ مفقود.

5 ـ سيرة الملوك ـ سيأتي الحديث عنها.

6 ـ طبقات الملوك: ذكر الزركلي أنه مخطوط ولم يعين مكانه [الأعلام 163/4]. . قلت لعله نسخة من الغرر.

7 ـ غِرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم: سيأتي الحديث عنه.

8 ـ منادمة الملوك ـ ذكره الصفدي والكتبي وابن شهبة ـ مفقود.

ثمة كتابان طبعا منسوبين إلى الثعالبي هما:

1 ـ تحفة الوزراء.

2 ـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم.

ولصلة الكتابين بالكتاب الذي ننشره اليوم أول مرة، فسأقدم رأيي بهما:

4 ـ تحفة الوزراء

في 1972 م صدر في مجلة (الأبحاث) التي تصدرها دائرة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت نص كتاب «تحفة الوزراء» منسوباً إلى الثعالبي، بعناية المستعربة الألمانية ريجينا هاينكه. وبعد ذلك بخمس سنوات ظهرت في بغداد طبعة أُخرى منه بتحقيق حبيب علي الراوي ود. إبتسام مرهون الصفار.

ولم يذكر القدماء أن للثعالبي كتاباً يحمل هذا العنوان، غير أن المحققين رجّحا نسبة الكتاب إلى أبي منصور، على الرغم من تلاعب النساخ ببعض المخطوطات.

وقدم محققا النشرة العراقية قرائنهم على ذلك، وقد أيدهم الجادر فيما ذهبا إليه، غير أنني ومن خلال دراسة آثار الثعالبي، وبضمنها ـ آداب الملوك ـ أستطيع أن أؤكد أن الثعالبي يملك جزءاً من «تحفة الوزراء»، أما الجزء الآخر فلقد لفقه بعضهم من آثاره الأخرى، وآثار غيره!

سطا هذا البعض على الباب السادس من «آداب الملوك» فانتزع منه ثلاثة فصول تخصّ الوزارة، وأضاف إليه فصولاً أخرى «لفقها كيفما اتفق» فخانه التوفيق وفضح نفسه.. ومن الدلائل على ذلك:

الفصل الموجود بين 118-136 في (تحفة الوزراء)، فقد ضمّ فصولاً ومقطوعة شعرية لأبي بكر الخوارزمي، والرجل لم يكن وزيراً! ونسب له بيتان، هما ثابتا النسبة إلى بشار بن برد، والأطرف من كل هذا ما ورد في الصفحتين 133-134، فقد نقل الملفق نصاً من «جمع الجواهر» للحصري يتضمن طعناً بالخوارزمي! والمعروف أن الثعالبي تلميذ الخوارزمي وهو يذكره بكل احترام وتجلة، ولا يمكن أن يتهمه بالكفر، كما فعل الحصري!

وأورد صاحب التحفة (163) بيتين نسبهما إلى البستي بينما هما معروفان للميكالي، ولا يمكن أن يقع الثعالبي بمثل هذا الخطأ.

كل هذا ـ وغيره ـ يؤكد أن هذا الكتاب ملفق.

5 ـ غُرر السير

في 1900 م نشر المستشرق الفرنسي زوتنبوك كتاباً له عنوان مطول هو: غُرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم. ولم يشر القدماء أن للثعالبي كتاباً بهذا العنوان، وقد رجح المحقق أنه للثعالبي. بينما رجح آخرون أنه لثعالبي آخر يحمل كنية صاحبنا هو أبو منصور الحسين بن محمد المرغني الثعالبي.

ولقد ناقش بعض المعاصرين نسبة هذا الكتاب، فأكد الجادر أنه (صورة لعلو كعب الثعالبي في علم التاريخ إلى جانب العلوم الأخرى التي

طرق أبوابها في مؤلفاته العديدة)[32] بينما نفى الحلو هذه النسبة[33].

والقرائن التي ساقها الجادر لا تشكل ما يؤكد نسبة الكتاب إلى الثعالبي، فتشابه بعض العبارات أو الاستشهادات الشعرية يمكن أن ينهض به أي وراق.

والأهم من هذا، إن ما لم يذكره الباحثان هو أن الكتاب المنشور قطعة من كتاب كبير يضمّ سير الخلفاء الأمويين والعباسيين منه نسخة مخطوطة في مكتبة بودليان، لا بد من الاطلاع عليها، قبل الحكم النهائي على نسبة الكتاب، الذي يختلف كثيراً عن أسلوب أبي منصور الثعالبي في آثاره المتوفرة بين أيدينا.

6 ـ آداب الملوك

آداب الملوك، من أهم كتب الثعالبي، ألّفه لمأمون بن مأمون الملقب بخوارزم شاه في مدينة الجرجانية بين سنتي 403-407 هـ، وقد أودعه خلاصة تجاربه في التأليف، صنّفه بعد أن تجاوز الخمسين من عمره، بينما كان خوارزم شاه في عزّ شبابه ـ كما أشار المؤلف في المقدمة ـ وتدلّ المقدمة على براعة الثعالبي اللغوية وتمكنه من استيعاب الفكر الإسلامي.

يتكون الكتاب من عشرة أبواب تسبقها مقدمة، تأنق المؤلف بكتابتها وفي كيل المديح لمخدومه الذي قارنه بالمأمون العباسي، ووصفه بكمال الأدب والبراعة في البلاغة. وأكد بأنه صنّف الكتاب بناء على أمر هذا الملك. وأشار في ختام المقدمة إلى إشكالية عنوان الكتاب التي ظلت قائمة حتى اليوم!

فلقد قال إنه فكر أن يسمّيه المأموني، غير أنه سُبق بهذا الاسم ثمّ

(32) الثعالبي ناقداً وأديباً 119.

(33) مقدمة التمثيل والمحاضرة (ط 2): 20.

قال: إن سميته «الملوكي» كنت صادقاً، وإن لقبته «تحفة المملوك وعمدة الملوك» لم «اك كاذباً» لكني آثرت تفخيمه بالخوارزم شاهي ليكون أنبه لذكره، وأبعد لصيته، فالمصنّف لا ينازع في ترجمة كتابه، . . الخ.

غير أن الوراقين والناسخين لم ترق لهم هذه التسميات، فالنسخة الفريدة التي وصلت إلينا حملت العنوان الآتي:

كتاب آداب الملوك الخوارزم شاه

وقد اخترنا عنوان «آداب الملوك» لانطباقه على محتوى الكتاب. وذكر هذا الكتاب تحت عنوان «الملوكي» في مقدمة كتاب «تحفة الوزراء»: (38). بينما ورد تحت عنوان الخوارزم شاهي (أو الخوارزميات) لدى كلٍّ من: الصفدي وابن شاكر الكتبي وابن قاضي شهبة في ترجمتهم لمؤلفه.

خصّ **الباب الأول** من الكتاب في طاعة الملوك، وتميّز بمقدمة موجزة استند فيها إلى القرآن الكريم خاصة والتراث الديني عامة، معتمداً المقولات الموروثة في كل التراث الإنساني وفقاً لنظرية «الراعي والرعية». وفي هذا الباب يتطرق إلى بعض فرق الغلاة كالحلولية والراوندية، ويكرس أحد الفصول لحثّ الملوك على رعاية الآداب والفنون والعلوم وكل أصحاب المواهب. وفي هذا الباب ـ وفي غيره أيضاً ـ يستشهد المؤلف بعدد من الأحاديث النبوية، غير أنها ـ في الغالب ـ ليست موثوقة.

أما **الباب الثاني** فهو خاص بالأمثال والتشبيهات الملوكية والسلطانية. وأغلبه نقول من كتب ورسائل متفرقة جمعها الثعالبي بأسلوبه الخاص مع بعض التعديلات الطفيفة.

ضم **الباب الثالث** نكت الملوك ووصاياهم، مهّد له بمقدمة قصيرة، وخصّ الملوك العباسيين بفصل وملوك فارس بآخر، بينما جمع بين كلمات ملوك من مختلف العصور في فصل ثالث. وختم أحد الفصول بمقولة لخوارزم شاه نفسه.

الباب الرابع مكرس للسياسة وهو لا يختلف عن سواه، فهو يتضمن نقولاً مختلفة، مبوبة. وقد أوضح الثعالبي رأيه بالسياسة نقلاً عن كتابه المعروف (المبهج) وهو:

من أحسن سياسة نفسه وأهله، كان أهلاً لسياسة الناس (الفقرة 216).

الباب الخامس خاص بأخلاق الملوك وعاداتهم: يتميز برأي خاص للمؤلف في العدل جاء فيه:

إن العدل أكثر استدراراً للأموال من الجور الذي يؤدي إلى محقها (224) وأورد في هذا الباب فقرات واسعة من كتابه المبهج وكلها تحث الملوك على العدل والاستقامة وتندد بالظلم والظلمة (225-226).

يعطي الثعالبي رأيه بالمشاورة فيقول: هو من أعظم الأشياء، وأجل المراتب، ويمتدح الملوك السامانيين لاهتمامهم بها (233).

وفي فصل العفو يندد بشمس المعالي ـ أحد مخدوميه السابقين ـ لأنه لا يعرف العفو، ولا يرى التجاوز ويديم القتل (236).

وفي فصل آخر يمدح الجود، يطالب الملك بالاتزان بالإنفاق (249) وفي تعرف الأخبار وبثّ الجواسيس، يشير إلى العناية التامة بالحمام الهدي ـ الزاجل ـ في نقل الأخبار (282).

الباب السادس مكسور على أخبار الملوك والوزراء، ويلفت النظر أنه خالف السياق، فبدأ بالوزارة وأخبارها! وقد انتزع صاحب (تحفة الوزراء) عدة فصول من هذا الباب ليقيم عليها كتابه، كما ذكرنا سابقاً.

وفي الفصل الخاص بأخبار الملوك ضمن المؤلف فقرات من كتابه (المبهج) منها:

لا يتخذن الملك أعواناً إلّا أعياناً، ولا أخلاء ولا ندماء إلّا كرماء (364) وتميّز هذا الباب بفصل (في الغلمان الأتراك) امتدح فيه الأتراك

وإخلاصهم، وشدّة بأسهم، ويأتي هذا الفصل مجاملة لخوارزم شاه ـ فهو تركي الأصل، غير أن هذا لم يمنع الثعالبي من نقد جرائم الأتراك في مواضع أخرى من الكتاب.

في الباب السابع تناول آفات الملوك، قدّم له بمقدمة موجزة حدّد فيها أسباب هذه الآفات فعزاها إلى الإفراط في الأكل والشراب والجنس (425). ثمّ تناول نماذج من الملوك والخلفاء الذين ماتوا لهذه الأسباب.

وأودع في فصل آخر ذكر آفات أُخرى لبعض الملوك فحدّدها بالخداع ببعض دعاة الأهواء والبدع كالباطنية والقرامطة والإسماعيلية (458).

وبيّن في فصل آخر أن: الجند عدة الملوك وعمدته في ملكه (472) وأنه عند الحرب لا بد للملك أن ينصرف إليها بشكل تام (557).

الباب التاسع تناول ما ينبغي للملك أن يأتيه في السياسات. في هذا الباب اقتباسات كثيرة من أفلاطون وفلاسفة اليونان القدامى، وفي فصل خاص يبيح الثعالبي للملك: الشراب والسماع، غير أنه يطالبه بالاعتدال (577-579) وينصح الملك بالاهتمام بتربية أولاده تربية خاصة، ويعامله كما يعامل غيره من الرعية (587).

الباب العاشر خصّ لخدمة الملوك، وتضمن نقولاً وطائفة من الأخبار التاريخية المناسبة، وفقرات من آداب ابن المقفع.

وختم المؤلف كتابه بفصل قصير في (الهدايا)، لأنها (عادة مشكورة وسنة مأثورة).

لا شك أن الثعالبي اعتمد في تأليفه هذا الكتاب على مصادر كثيرة، يصعب حصرها، غير أنه صرح بالنقل من بعضها، وفيما يلي قائمة بهذه المصادر مع ذكر أرقام الفقرات التي وردت فيها:

1 ـ أخبار أنوشروان 34.

2 ـ أخبار الوزراء لابن عبدوس الجهشياري 41، 45، 340.

3 ـ الفصول لابن المعتز 78، 92، 676، 688.

4 ـ كتاب في السياسة لأبي زيد البلخي 86، 217، 570.

5 ـ اليتيمة لابن المقفع 99، 221، 232، 250، 677.

6 ـ كليلة (ودمنة) 104، 466، 679، 687.

7 ـ رسالة أرسطو إلى الإسكندر 218.

8 ـ رسالة للصاحب بن عباد 372.

9 ـ آداب الملوك لمحمد بن إبراهيم بن سيمجور ـ بالفارسية ـ 463.

10 ـ كتاب الآيين 519، 522.

11 ـ أخلاق الملوك 594، 644، 736-735.

12 ـ أخلاق الملوك للصاحب (؟) 617.

ومن مؤلفاته ذكر:

1 ـ المبهج: 37، 70، 216، 225، 226، 247، 365، 380، 387، 409.

2 ـ ثمار القلوب 293.

3 ـ كتاب في الهدايا ـ لم يحدد اسمه ـ 743.

ولا شك أن هذه المصادر لا تشكل سوى جزء ضئيل من طائفة المصادر التي راجعها واقتبس منها، ويمكننا إدراج عدد من مؤلفات الجاحظ، ابن قتيبة، ابن المقفع، الصولي ضمن هذه المصادر.

وإضافة إلى هذه المصادر التحريرية اعتمد الثعالبي على بعض الروايات الشفوية، ومن أهم الرواة الذين عول عليهم في كتابه هذا: أبو الفتح البستي.

ولم أعثر على نقول مباشرة من هذا الكتاب، عدا الفصول التي نقلها صاحب «تحفة الوزراء».

وقد أقمت نشرتي هذه على نسخة فريدة منه موجودة في مكتبة السليمانية باستانبول تحت رقم 1808 أسعد أفندي ضمن مجموع يتكون من 117 ورقة، يشغل كتاب آداب الملوك فيه الورقات من 1 إلى 90. حجمه 29 × 21 والمخطوطة مكتوبة بخط نسخي جميل إلّا أنها تشتمل على بعض الأخطاء والسقط أشرت إليها في تضاعيف التحقيق. والمخطوطة منسوخة من قبل عمر السديسي في القرن الحادي عشر الهجري، وعلى غلاف المخطوطة تملكات عديدة بينها: مصطفى بن السيد فيض الله، محمد سليم الكاتب، أحمد بن. . بن يحيى بتاريخ 1076 هـ.

أما المخطوطة الأخرى في المجموع فهي نسخة من كتاب المبهج وتشغل الورقات من: 91 إلى 116.

ولا بد من الإشارة إلى أن بروكلمان ذكر وجود نسخة أُخرى من كتاب آداب الملوك في مكتبة المتحف البريطاني، وقد صورت المخطوطة فتبين لي أنه وهم منه، فهي مخطوطة ثعالبية أُخرى لا صلة لها بآداب الملوك.

وقد حققت الكتاب وفقاً للمنهج الآتي:

1 ـ جهدت أن أحرر النصوص، تحريراً سليماً قدر الطاقة.

2 ـ ضبطت بالشكل بعض ما لا بد منه كالشعر ـ مثلاً ـ.

3 ـ خرجت النصوص، معتمداً آثار الثعالبي وغيره ممن سبقه أو ممن نقل منه بشكل ما.

4 ـ حدّدت بعض المواضع التي وردت في الكتاب، وترجمت لطائفة من الأعلام، ولم أترجم للأعلام كافة، لأن ذلك يثقل هوامش الكتاب.

5 ـ قدمت للكتاب بترجمة للمؤلف وعصره وجهوده.

6 ـ تحدثت عن الكتاب وما امتاز به.

7 ـ وضعت للكتاب مجموعة فهارس علمية تيسّر على الباحثين مهمتهم.

8 ـ في المخطوطة أخطاء صححتها، وأشرت إلى ذلك في هوامش التحقيق.

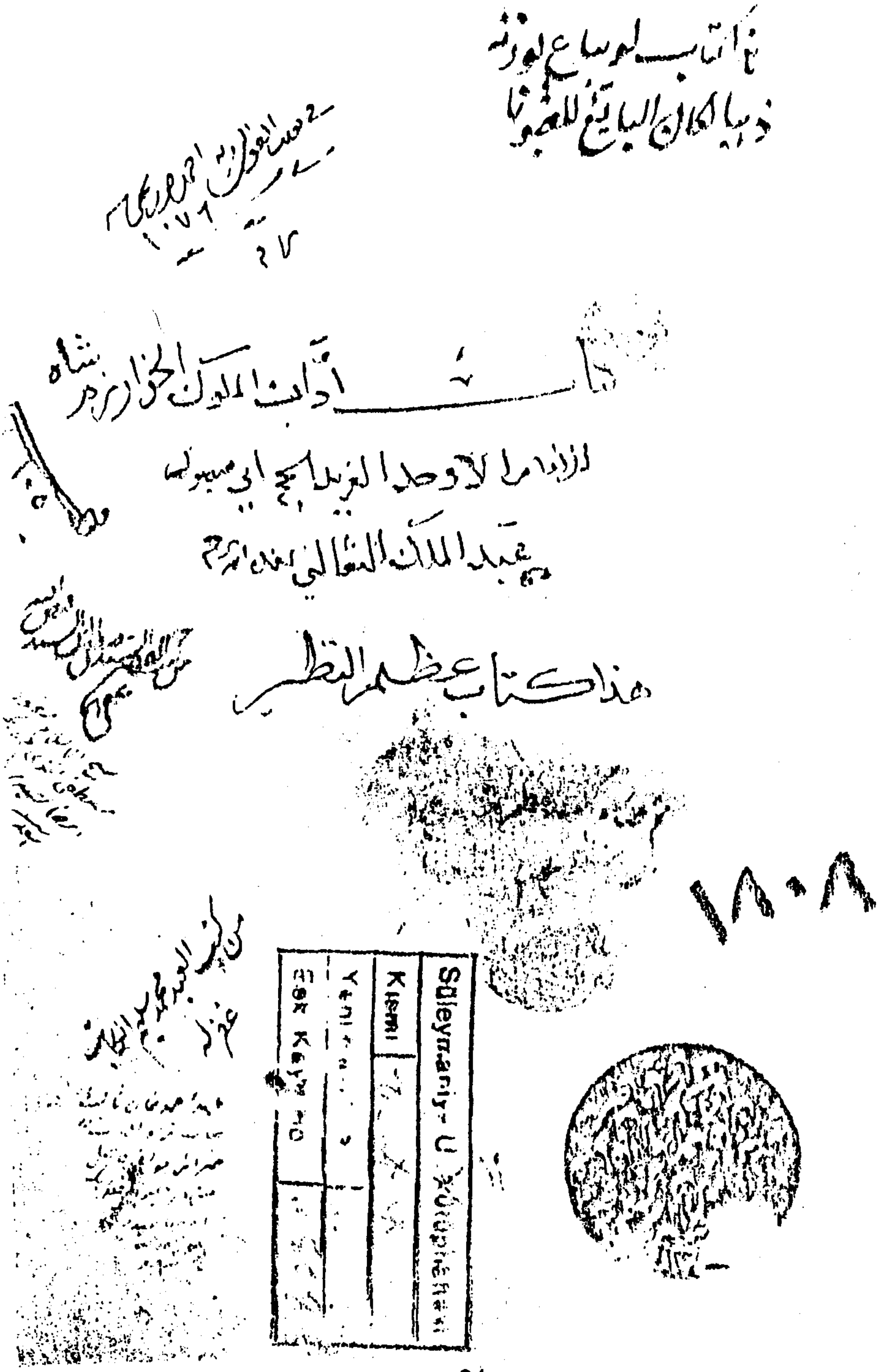
9 ـ شرحت بعض ما وجدته بحاجة إلى توضيح.

ولا يسعني إلّا أن أقدّم خالص شكري إلى صديقي العلامة الأستاذ محمد علال سي ناصر مدير دائرة الفلسفة في اليونسكو على مساعداته الكريمة ولطفه الزائد.

جليل إبراهيم العطية

ـ باريس في 20 أيلول (سبتمبر) 1989

نماذج من المخطوطة



مع درهمين خسروانيين وكتاب المسالك والممالك في دفترين

• اهدي اليك بحسب حالي في الخصاصة درهمين •
• وبحسب قدرك دفترين بها جميع الخافقين •
• فاذا افتحتهما رايت بيان ذلك بلحظ عين •

وكتب الى عضد الدولة مع اصطرلاب اهداه اليه

اهدى اليك بنو الآمال واحتفلوا في مهرجان جديد انت مبليه
لكن عبدك ابراهيم حين راى علو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالارض مهداة اليك فقد اهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

٥

وعلى ذكر الفلك الاعلى فليكمل هذا الكتاب الخوارزمشاهي
على الجد الاعلى الاصعد والطاير الايمن الاسعد لمولانا الملك
السيد الاجل ولي النعمة اطال الله بقاه وادام علاه وخذل
شانيه وكبت اعداه والعبد الخادم والصنيعة مؤلفه
يقول

• تم الكتاب بدولة الملك الذي قد صك تاج علاه فوق الفرقد •
• خوارزمشاه البدر مامون بن مامون عماد المجد عين السودد •
• لا زال بين سعادة واعادة وزيادة في ظل ملك سرمد •
• والحمد لله العظيم جلاله ثم الصلاة على النبي محمد •

٥ تم الكتاب بحمد الله ومنه وصلواته على نبيه محمد واله
وكان الفراغ من كتابته في العشر الاخير من شهر رجب الفرد من شهور سنة
على يد فقير رحمة ربه عمر السهدبس غفر الله له ولمالكه وللناظر فيه ولمن دعا له بخير
والحمد لله وحده

الغايات فاذا كانت في الاباعد والاقاصي فينبغي ان يكون الانصاف مقرونا بها والروية واضعة لها مواضعها وان لا يطلق لقلب الامع وجود فود او فساد في الارض او سعي على الملك او ما يجري مجرى ذلك من الكبائر التي في الاعضاء عنها استمداد منها مثلها وتسهيل لسبلها وفي معالجتها حسم لادوائها وامن من بوائقها وينبغي ان لا يعرف له في حال ذلك قرينة بلسانه ولا ايقاع ادب بحضرته ٥

فصل في تقسيم احوال المسخوط عليهم

وما يوجبه كل واحد منهم من الملك تنصل اليه كل من سخط او تغير عليه وهم طبقات ثلاث فمنهم من ذنبه مغفور بعذره فدام ما حطه عنه واخرجه سليما منه وربما اقربا الذنب طاعة وامسك عن العذر هيبة ولا يحسن ان يقتصر من هذه حاله على ان يسقط اللائمة عنه دون ان يوجب المحمدة له ومنهم من عذره مغموز وذنبه واضح لكنه فرد لا اخ له وقد لا يتوامر معه والاولى ان ينال من الاقالة اذا اعترف بالحوبة واخلص في التوبة ومنهم المتردد في هفواته المتكرر في عثراته الجارية عادته بان ينقض خاتم التوبة اذا تاب ويتبع عقد الانابة اذا اناب فذلك الذي يعاقب بالاطراح ولا يطمع منه في الفلاح

فصل في اسقاط اللائمة

عمن اجتهد في امتثال امر الملك ولم ينجح من الملك اذا استكفى احد ثقاته امرا يشكل عواقبه ويشتبه اعجازه فانتشر

ذلك

ذلك الامر عليه بحيث لم يال جهدا في طلب نظامه والسعي لانتظامه
فواجب ان يحمده ولا يذمه فانما ذمه قبضه وقبض نظراه
في ملكه لانهم يشتغلون عن التوصل الى ما ينفعه بالتحرز مما
يضره

فصل في العفو عن العثرة

الملك محتاج من الناس الى كثير وهم محتاجون منه الى واحد
ومن ههنا وجب ان يوازن حلمه احلامهم ويوازي فهمه افهامهم
وان يعمهم بفضله وعدله ويعم كلا منهم بعفوه ومنه واخلق
بمن حمل الجهله واقتدر مسكن الضغن ولا مجال للحقد ومثل
الملك الذي اذا وعد وفي واذا اوعد عفى مثل الارض الذي يجز
ثمرها وتعلف حشيشها ويطيب مرعاها ويومن وباها

فصل في المباحثة والمذاكرة

الملك الفاضل وان كان راجحا على فضلا حضرته فيما يحسنونه
سابقا لاهل الراي من نصحائه وثقاته فيما يوردونه فانه
ينبغي ان يسلم اخذا بالاستنباط ويباحث ذوي الاداب اقامة لسنة
المباحثة واحيا لرسم المذاكرة اذ له فيهما فائدتان احداهما
التنبيه على شكر النعمة فيهما والاخرى التحفظ من ان يشذ عنه
بعضها والخلق به ان يعني ثمر لفظها اذا نازعته النفس الى خطر نقيصته
او هيلها بنقيصة امتنع منها حتى يكرر عليها فكره وسبيا وزنها
عين طلبا لاغراض الصواب وتطبيقا لمفاصل السداد
وذهابا الى الامر الاحزم والحديث الاحسن

فصل في النظر في المراة

كتاب

آداب الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي الأمر له، والخلق بيديه والاستعانة به، والتفويض إليه، وصلواته على بشير الثواب، ونذير العقاب، محمّد المصطفى وآله وصحبه، ما طلع حاجب شمس ولاح جبين قمر.

ثمّ الحمد لله الذي استخلف الملوك في أرضه واسترعاهم أمور خلقه، وجعلهم المدافعين عن سواد الأمة وبياض[1] الدعوة، والأزمة على الملّة والحوزة.

ثمّ الحمد لله الذي جعلنا ممن أدرك عصر مولانا الأمير السيّد الملك العادل ولي النعمة أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه[2] ـ مولى أمير الأمير ـ أدام الله سلطانه، وحرس عزّه ومكانه، وأسعدنا بالوصول إلى رواق المجد، ومستقر الملك من حضرته، وأسبغ علينا النعمة في الاعتصام بعروة

(1) كلمة مطموسة في الأصل والتصويب من لباب الآداب 187/1.

(2) مأمون بن مأمون خوارزم شاه (407 هـ): أمير، ورث الملك عن أخيه «علي» في الجرجانية، كان له بصر بالأدب، صنف له الثعالبي عدة كتب، مدحه عدد كبير من شعراء عصره، ثار عليه قواده، فاغتالوه عندما استجاب إلى طلب السلطان محمود الغزنوي فأقام الخطبة باسمه. انظر: ابن الأثير 264/9، تاريخ البيهقي 734، ومقدمة كتابنا هذا.

العزّ من خدمته، والدخول في جملة حاشيته وغاشيته، حتى رأيناه مجتمعاً فيه ما رويناه عن أعيان الملوك متفرقاً وشاهدنا منه عياناً ما قرأناه في الكتب وسمعناه في السير من محاسن أماثلهم، وخصائص أعاظمهم، وأفاضلهم، فإن ذكرنا ما يتفاخر به الملوك من كرم الأصل وقِدم البيت، كان الشرف نسب أسلافه، والمجد لسان أوصافه، وإن أفضنا في حديث الصورة - الذي هو أول السعادة وعنوان الخير والنعمة، وما زالت العرب والعجم تمدح ملوكهم به، وتعتّد لهم بفضله، رأينا في وجهه القمري: التصوير الشمسي التأثير، ما ينطقنا بتسبيح ربّ العالمين والثناء على أحسن الخالقين، عوّذنا به جلّ جلاله من العيون العاينة، والصدور الخائنة، وإن تجارينا في الأخلاق العظيمة والهمم البعيدة والآراء السديدة والسِير الحميدة، وسائر المعاني والمناقب الملوكية، فهو - أعزّ الله نصره وأدام ملكه - جامع أطرافها وناظم أشتاتها والآخذ برقابها والبالغ أقصى غايتها على اقتبال شبابه وغضاضة عوده، فكيف إذا انتهى إلى أشدّ الكهل وأسفر له صبح الشيب، وإن أجرينا إلى حديث الآداب والعلوم، لم نشبّهه فيها إلاّ بسميّه المأمون، ولم يشكّ من سمع عالي كلامه، وعاين ثمار أقلامه في أن البلاغة عفو خطراته والبراعة من أدنى صفاته، وإن تذاكرنا ما شمل رعاياه من العدل وعمّ بلاده من الأمن ونفق في سوقه من بضائع الفضل وتجدّد في أيامه - أدامها الله - من آثار الديانة وعاد إليها من عادات المروءة. شهدت أيامه الواضحة وأدلته الصادقة، بأنه من الله تعالى بين تأييد وتأبيد، ومخصوص من عنايته بعقد وكيد، وإن له - عزّ اسمه - سرّاً في علاه يفضي به إلى مناه من دينه ودنياه.

فإلى من جمل الزمان بأيامه وأحيا وأحبى محاسن السِير[3] بمكانه يرغب بالنيات الصادقة والضمائر الخالصة في حراسة سلطانه وتثبت أركانه

---

(3) العبارة الأخيرة موجودة في هامش الأصل بخط الناسخ.

وإطالة بقائه عالي اليد والكلمة والراية متظاهرة البسطة والغبطة والولاية وتيسير الفتوح له شرقاً وغرباً وتمكينه من نواصي أعدائه سلماً وحرباً حتى يبلغ أفضل ما يقسمه السعود، ويستغرق أقصى ما تعلو به الجدود.

ثمّ إنّ هذا الكتاب الذي خرج أمره العالي ـ زاده الله علّواً ـ بتأليفه في السياسة التي هي آلة السلطان وأداته، بها نظام الملك وعليها مداره، قد جعلت له مقدمة وسياقة، وبنيته على أن يتضمن الغُرَر والنكت واللُّمع والعهد مما يصلح للملوك وأصحابهم، وذكر ما لهم وعليهم، ورتبته في عشرة أبواب يشتمل كل منها على عدة فصول مترجمة يذكر مودعاتها:

فالباب الأول: في الإفصاح عن علّو شأن الملوك وشدّة الحاجات إليهم وما يلزم الناس من طاعتهم وإعظامهم وإجلالهم.

والباب الثاني: في صدور من الأمثال والتشبيهات الملوكية.

والباب الثالث: في نكت كلام الملوك ووصاياهم وتوقيعاتهم ولطائف الفضلاء في مخاطباتهم.

والباب الرابع: في السياسة وأقاويل الملوك وغيرهم ومواعظ الحكماء للملوك.

الباب الخامس: في أخلاق الملوك وعاداتهم ورسومهم المحمودة والمذمومة في السياسة وغيرها.

والباب السادس: في اختيار الملوك: الوزراء والعمال والخدم.

الباب السابع: في آفات الملوك.

والباب الثامن: في أعداء الملوك وتدبير الجيوش والحروب.

والباب التاسع: في جمل ما ينبغي للملك أن يأتيه ويزدرِه في السياسات وغيرها.

والباب العاشر: في خدمة الملوك وآداب أصحابهم.

وكنت أردت أن أُترجمه بالنسبة إلى الاسم الشريف ـ ثبّته الله تعالى ـ فأخبرني أبو عبد الله محمد بن حامد(4) أن بعض المؤلفين سبقني إليها فيما ألّفه برسم المجلس ـ حرسه الله وآنسه ـ من كتاب(5) في علم الكلام، فقلت الآن: إن شميته الملوكي(6) كنت صادقاً، وإن لقّبته «تحفة المملوك وعدّة الملوك»(7) لم أك كاذباً، لكني آثرت تفخيمه بالخوارزم شاهي(8) ليكون أنبه لاسمه، وأبعد لصيته، فالمصنِّف لا ينازع في ترجمة كتابه، كما أن الوالد لا يغلب على اسم ولده، ومولانا الملك العادل خوارزم شاه ـ أدام الله أيامه ـ وإن كان علماً بل عالماً في علم السياسة وجمع مصالح العامة إلى مصالح الخاصة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين وللكتب الجديدة لـذّة في نفوس المحصلين، ندعوهم إلى مطالعاتها، والاقتباس منها والاستمتاع بها، وإذا كان الملوك أعقل الناس وأشرفهم وأفضلهم، كان ما يصلح من الآداب لهم أشرفها وأفضلها، لا سيما إذا تميّزوا عن أشكالهم ونظائرهم بمزيّة المعرفة واستضاءوا بنور الحكمة، وإنما أقنيتهم موارد جلب، ومواقف طلب، يحمل إليها ما ينفق فيها، ويجمع لها ما يطلب بها، وهذا ما افتتحه من سياقة أبواب الكتاب، والله الموفق للصّواب.

(4) محمد بن حامد: أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي الخوارزمي: كان كاتباً لأبي سعيد الشبيبي صاحب البريد في قم أيام الصاحب بن عباد، ثمّ خازناً للكتب عند قابوس بن وشمكير.
توفي بعد سنة 402 هـ: اليتيمة 248/4-254، المحمدون من الشعراء 231-233 رقم 209.
(5) كلمة «من كتاب» موجودة في الهامش بخط الناسخ.
(6 - 7 - 8) انظر مقدمة التحقيق.

الباب الأول

في الإفصاح عن علو شأن الملوك وشدّة الحاجات إليهم، وما يلزم الناس من طاعتهم وإعظامهم وإجلالهم

[1] قد عظم الله ـ عزّ اسمه ـ شؤون الملوك، ورفع أقدارهم وأجل إخطابهم ومكنّ لهم في أرضه وأكرمهم بسلطانه، وعشاهم القبول والمهابة وأعطاهم العزّة والأبهة، لما علم من صلاح عباده بهم وافتقار العامّة والخاصة إلى سياستهم وحياطتهم في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم، وجعل تمليكه لهم [ ](1) إياهم وبسطة أيديهم من الحكمة البالغة، ونعمه السابغة، وأجرى طاعتهم مجرى الفرائض التي يثيب من أدّاها ويعاقب من تعداها، وكان من الفروض اللازمة والحقوق الواجبة، وشروط(2) الطاعة المأخوذة ومعالم الرشد المتبعة، تعظيم من عظّم الله، وتمجيد من كرم الانقياد لمن سلّط، والتسليم(3) لمن مكنّ له وبسط. وما أشبه حاجة الرعية إلى الراعي كحاجة الجسد إلى الرأس، وما أقرب فضل الراعي على الرعية في فضل الفرائض والسائس والفارس على الدابة، ولولا الملوك لأكل الناس بعضهم بعضاً، كما أنه لولا الراعي لأتت السباع على الماشية.

---

[1] قارن بوصية أرسطاطاليس للاسكندر (الحكمة الخالدة 220)، نصيحة الملوك 357-358.

(1) الكلمة مطموسة في الأصل، والسياق واضح.

(2) الكلمة موجودة في الهامش بخط الناسخ.

(3) كرر الناسخ هذه الكلمة.

[2] وما أحسن قول عبد الله بن المعتز في بعض فصوله القصار:

فساد الرعيّة بلا ملك، كفساد الجسم بلا روح(1).

وكثيراً ما أقول وأُحب أن يحكى عني: كما أن أحوال الملوك عالية وأوامرهم نافذة وعيشتهم راضية، فمؤنهم كثيرة وهمومهم كبيرة ومحنهم عظيمة، ومن تأمل بعين عقله أمورهم، لم يستكثر ما أُفيض عليهم من المواد، إذ قد لزمهم لرعاياهم أن يحوطوا من ورائها ويدافعوا عن دهمائها، ويتحملوا من أثقالها أضعاف ما فضلـوا في المعيشة عليهـا، ولـم يستقل العوام ما قدّر من أوقاتها، إذ قد رقدت بتيقظ من يمنع حريتها، واطمأنت بنصب من يحمي حماها وصار ما يختزنه الملك من الأموال عدة لها في دفع معرة أعدائها، وعند طروق نوائبها، وجروا بأسرهم مجرى الشركاء الذين يجب عليهم أن لا يتحاشوا ولا يتحاسدوا.

[3] ولله درّ الرشيد: حين كان في بعض أسفاره، فألحّ عليه الثلج ليلة، فآذاه فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر، والرعية قارة، وادعة، نائمة؟ فقال: اسكت: للرعية المنام، وعلينا القيام، ولا بد للراعي من حراسة الرعية، وتحمل الأذية.

[4] وإلى هذا المعنى أشار أبو محمد التيمي(1) في قوله للرشيد من قصيدة:

غضبت لغضبتِك الصوارم والقنا   لمـا نهضت لنصـرةِ الإسـلامِ

---

[2]

(1) التمثيل والمحاضرة: 132، بهجة النفوس 350/1، الشهب اللامعة: 62، زهر الآداب 674.

[3] نصيحة الملوك: 363، المصباح المضيء 275/1، الجوهر النفيس 69-70.

[4] نصيحة الملوك 364، المنتحل (258). نسبا إلى الشريف الرضي، تكملة تاريخ الطبري: 189، الجوهر النفيس: 70 (بدون عِزو).

(1) التيمي: عبد الله بن أيوب، شاعر وصاف، مدح الأمين والمأمون وغيرهما من خلفاء بني العباس: الأغاني 44/20-59، تاريخ بغداد 411/9-413 رقم 5023، الوافي 79/17 رقم 67.

ناموا إلى كنفٍ لعدلك واسع   وسهرت تحرسُ غفلة النوام

[5] وقد أجمعت العقول على ما أقول، وشهدت البصائر، بإن من عظّم ظل الله في أرضه، والمؤتمن على حقه، واليد المبسوطة على خافقه، وسمع له وأطاعه ووالاه وشايعه، حمد يومه وغده ورعا من العيش أرغده، ومن حاد من كلمته وحال عن طاعته، كتبت عليه الذلة وأعربت به الشقوة، ثم صَلى بحر السيف قبل حرّ النار وحصل على خسران الدارين، ذلك هو الخسران المبين.

فصل
ممّا نطق به القرآن من ذِكر الملوك

[6] فقد قرن الله طاعة الملوك بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى: **﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾** (النساء /58).

[7] وذكر نعمته في استخلافهم فقال: **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾** (الانعام /165).

[8] وقال حكاية عن موسى عليه السلام: **﴿يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾** (المائدة /20).

[9] وقال وقد بعثه أخاه إلى أطغى الملوك وأغواهم: **﴿اذهبا إلى فرعون أنه طغى فقولاً له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾** (طه /44/20).

وكان يحيى بن معاذ(1) إذا قرأ هذه الآية يقول: إلّهي هذا رفقك بمن يدعي الربوبية، فكيف بمن يقرّ لك بالعبودية؟

---

[9] الاقتباس من القرآن الكريم 170.

(1) يحيى بن معاذ: الرازي أبو زكريا (258 هـ)، واعِظ، زاهد، مات في نيسابور: طبقات الصوفية: 107-114، الاعلام 172/8.

[10] وقال عَزّ من قال: ﴿**قل اللّهمَّ مالكَ المُلك تُؤتي المُلك من تَشاء وتنزعُ المُلكَ ممّن تشاءُ، وتعزّ مـن تشاء، وتـذل من تشاء**﴾ (آل عمـران 3:26). فدلّ بانتقال الملك من أمة ألى أمة وخروجه من أسرة إلى أسرة على أنه يقع بقصد من الحكيم ـ جلّ ثناؤه ـ وهو فيه على سبيله في ارتياد الاصلح وايثار الاعود وصار إقراره الملك في نصاب ونزعه أياه من آخر، من الأمور التي يفعلها الله بحكمته ويعتمد بها مصالح برّيته.

فصـل

في تعظيم الناس الملوك على الدهر وإفراط بعضهم على بعض في إجلالهم حتى اتخذوهم آلهة من دون الله

[11] بلغ من إفـراط في تعظيم الملوك وإجـلالهم في الجـاهليـة والإسلام، لما رأوهم يحيون ويميتون ويرفعون ويضعون ويولون ويعزلون ويعطون ويحرمون أن فتنوا بهم وجروا مجرى الغوغاء والغواة في اتخاذهم آلهة وأرباباً يعبدونهم كما يعبد الله الخلّاق الرزّاق الواحد القّهار، ورضى بذلك غير واحد من جهلة الملوك. ﴿**وقالَ الذي حاج إبراهيم في ربه، أنا أُحيي وأُميت**﴾ (البقرة 258) فقال فرعون ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ (النازعات 24:79) وزين لهم هذه الدعوى الشنيعة قوم من كفرة الفلاسفة وفسقة أهل الاهواء والبدع وشياطين الأنس، فقالـوا في بعض مقالاتهم ورقاعاتهم إنّ روح الباري ـ سبحانه ـ تحلّ في الملك فيعبد إلى أن تزول عنه وتحلّ في غيره، ومنهم من يقول إنّ الملك من ملوك الأرض لا تخلو من جزء يحل فيه من روح الباري، ثمّ يكون فخامة سلطانه، وعلو شأنه، بحسب ذلك الجزء في القلة والكثرة والزيادة والنقصان. تعالى الله عما يقول الظالمون علّواً كبيراً، وكما زعموا أن الجزء من حسن صورته ونوره يحلّ في الغلام الصبيح والجاريـة الوسيمـة إلى أن يلتحي الغلام وتكبـر الجاريـة فيزول ذلـك عنهما، وبلغني أن قوماً من الصوفية يعتقدون هذا المذهب الرديء، ويرون

هذا الرأي المستحيل، ويقال لهم: الحلولية(1).

[12] وفي ذلك يقول ابن نباتة السَّعدي(1) متغزلاً:

نفسي فداؤك من بدرٍ على غُصُنٍ تكاد تأكله عيناي بالنَّظر
إذا تفكّرتُ فيه عند رؤيته صدَّقتُ قولَ الحُلوليين في القَدَرِ(2)

[13] وفي تجويز الحلول يقول أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي(1) - والحديث ذو شجون.

لي حبيبٌ لو قيل ما تتمنى ما تعديته ولو بالمنونِ(2)
اشتهي أن أحلَّ في كل جسمٍ فأراه بلحظ كل العُيونِ

[14] وكان المقّنع(1) - لعنه الله - تجرّأ في طريق الحلوليين حتى ادّعى الالهية، ودعا الناس إلى عبادته، وكان يقول في دعواه إنَّ الله تعالى خلق آدم فتحول في صورته، فلما قبضه تحوّل في صورة نوح، ثمّ جعل يتحول في صورة الأنبياء والملوك حتى كان آخرهم أبو مسلم، فلما قُتل تحول إلى هاشم - يعني نفسه - وتابعه خلق من ضلّال الناس بما وراء النهر، فاشتّدت شوكته

---

[11]

(1) الحلولية: فرقة من المتصوفة المبطلة، زعموا أن الحق اصطفى أجساماً حلّ فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية فمنهم قال بالأنوار ومنهم قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات: معجم مصطلحات الصوفية 82.

[12] اليتيمة 382/2، محاضرات الأدباء 130/2، ديوان ابن نباتة السعدي 384/1 رقم 53.

(1) ابن نُباتة: أبو نصر عبد العزيز بن عمر السَّعدي (327-405 هـ): شاعر مفلق، وله مقامات أدبية، من شعراء سيف الدولة: اليتيمة 380/2، تاريخ بغداد 466/10 ومقدمة الديوان.

(2) الديوان: الصور.

[13] اليتيمة 103/3، كتاب الشعر لجعفر بن شمس الخلافة ق 33 ظ.

(1) الحاتمي: محمد بن الحسن بن المظفر (388 هـ): عالم، لغوي، ناقد من أهم مؤلفاته: حلية المحاضرة: اليتيمة 103/3، تاريخ بغداد 214/2.

(2) الأصل: ما تعديه.

[14] ثمار القلوب: 652 رقم 1100، (فيه تفصيلات أُخرى)، الفخري: 180، سياسة نامة 282.

(1) المقنع خرج في خراسان ودامت فتنته أربع عشرة سنة قتل سنة 163 هـ. الطبري حوادث 161-163 هـ، البيان والتبيين 102/3، تاريخ ابن العبري 126. =

وعظمت فتنته، حتى أهلكه الله تعالى في أيام المهدي فكفّ شرّه وكفى أمره، وقد بقيت إلى اليوم بقية من أتباعه بما وراء النهر يقال لهم «المبيّضة»[2] وللولاة عليهم خراج وضريبة.

[15] وكان قوم من الريوندية[1] افتتنوا بأبي جعفر المنصور، فخرج يوماً من سرادقه فرأى قوماً منهم يسجدون له، ويدعونه كما يدعى الله تعالى، فأنكر عليهم واستتابهم فلم يتوبوا، ولم ينوبوا فأمر بقتلهم، فقتل بعضهم، ونجا بعضهم وقد رجعوا عن رأيهم فخرجوا عليه بغتة، ووضعوا السيوف في أصحابه، فكانت الدبرة عليهم وحاق المكر السيىء بهم وانقضى أمرهم.

[16] وقد كان عرض مثل ذلك لأمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ إذ كفّر قوم من الغلاة في التشيّع فقالوا له: أنت إلهنا ومعبودنا، فلمّا زجرهم ولم ينزجروا وأصروا على ضلالتهم أمر قنبراً ـ مولاه باحراقهم، ففي ذلك يقول عليه السلام:

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أججّت ناري ودعوت قنبرا

[17] وكان الناس في زمان الأكاسرة يدعونهم الأرباب، ويقرون على أنفسهم بالعبودية، ولا يتجاسرون على أن يلبسوا ما يلبسه الملك من الثياب أو يركبوا ما يركبه من الدواب أو يطعموا ما يطعمه من الطعام والشراب وينزلون لهم عن كل علق نفيس يقع بأيديهم.

=(2) المبيّضة: هم جماعة آمنوا بالمقنع واعتقدوا أنه سيعود إليهم على برذن أشهب: تاريخ ابن العبري 126.

[15] تاريخ ابن العبري 122.

(1) الراوندية: جماعة كانوا على رأي «أبي مسلم الخراساني» تحركوا على المنصور بعد قتل صاحبهم، فحبس المنصور منهم مائتي شخص من رؤسائهم، فثاروا وأخيراً تمّ قتلهم جميعاً (العيون والحدائق 227/3-228).

[16] العقد الفريد 404/2-411.

[17] قارن بالتاج 9.

[18] ومن آداب خدم الملوك، أن يقتدوا بهم في إيثار الملوك بكل ما يصلح لهم ويليق بهم. وإلى هذا ذهب عمرو بن مسعدة[1] في قوله للمأمون، وقد كان رأى تحته فرساً رائعاً ينظر إليه نظر مستحسن له، معجب به، فقاده عمرو إلى حضرته، وكتب إليه بهذه الأبيات:

يا إماماً لا يُدانيـ ـه إذا عُدَّ إمامُ
فَضلَ الناس كما يفـ ـضل نقصاناً تمامُ
قد بعثنا بجوادٍ مثله ليس يُرامُ
وجُهه صُبحٌ ولكن سائر الجسم ظلامُ
والذي يصلحُ للمو لى على العَبد حَرامُ

فصل
في كون الملوك أسباباً لظهور ثمرات العلوم والآداب ولطائف الصناعات

[19] من حسن آثار الملوك، ويمن حدودهم، واتصال السعود بهم، ووقوف الآمال عليهم وانصراف الرغبات إليهم، أن حكماء البلاد وعلماء الملك ورؤساء الصناعات يخدمونهم بنتائج أفهامهم ويتقربون إليهم بثمرات عقولهم ويتأنقون فيما يستخرجونه أو يصنفونه باسمائهم، فلا تكاد تحصل غرّة كريمة أو حكمة بديعة أو هندسة غريبة، إلّا إذا كانوا المقصودين بها والمرجوين لارتضائها، فلولا الافاضل من سلف الملوك لضاعت علوم كثيرة وبطلت حِكم جليلة.

وقد كانوا يفرغون الحكماء لشؤونهم، ويجرون عليهم كفاياتهم، حتى نظروا بانفس مجتمعة، وقوى وافرة وأذهان فارغة، فاستخرجوا الآلات والأدوات والملاهي التي تكون جِماماً للنفس، وراحة بعد الكدّ، وسروراً

---

[18] معجم الشعراء: 33 ـ واسطة الآداب: ق 265 ظ.

(1) عمرو بن مسعدة: (217 هـ): أحد الكتاب البلغاء، كتب للمأمون، وله مؤلفات وشعر. تاريخ بغداد 203/12، أعتاب الكتاب: 116-117 رقم 27، معجم الشعراء: 33. الفهرست 192.

يداوي فرح الهموم، فصنعوا من المرافق وصاغوا من المنافع، كالقرسطونات وكاصناف المزامير والمعازف، واستخرجوا من العلوم كالطّب والحساب والهندسة والتنجيم واللحون وآلات الحروب كالمجانيق[1] والعدّادات والدبابات وآلات النفاطين وغير ما يطول ذكره.

[20] ولهذا من الشأن قالت أم الاسكندر في دعائها له:

رزقك الله حظاً تخدمك له ذوو العقول، ولارزقك عقلاً تخدم ذوي الحظوظ.

[21] ولما جاءت دولة المغرب بملوك الإسلام، كانوا أسباب الكتابة الفائقة والبلاغة الرائقة والأشعار السائرة والكتب الفاخرة النادرة، فلولاهم ـ والرؤساء المتصلون بهم والمتصرفون على أعمالهم ـ لماتت خواطر الكتّاب والشعراء وصدئت طباع العلماء والحكماء وانعقدت ألسن الخطباء والفصحاء، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن السعادة قُرب شَخص الشاهدِ.

فصــل
في فضل السلطان والملوك، عن النبيّ ﷺ والسلف:

[22] قال ﷺ:

السلطان ظلّ الله في أرضه، فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني.

[23] وقال عليه السلام:

السلطان لا تردّ له دعوة.

---

[19]

(1) المجانيق: انظر الهامش 564.

[22] المقاصد 105، الدرر 254، ضعيف الجامع 238/3، 239، مختصر المقاصد 69، الفوائد المجموعة 210، نثر الدر 257/1، الشهب اللامعة 61، الظرائف واللطائف 16.

[23] أدب الدنيا 137 [نسبه إلى بعض الأدباء].

[24] وقال:
الإمام العادل يظلّه الله بظلّه، يوم لا ظل إلّا ظله.

[25] وافتخر ـ عليه السلام ـ بانوشروان العادل فقال:
ولدت في زمن الملك العادل.

[26] وكان عثمان بن عفان يقول:
ما يزع(1) الله بالسلطان أكثر ممّا يزع بالقرآن.

[27] وقال حذيفة بن اليمان:
ما سعى قوم ليذلوا سلطان الله، إلّا أذلّهم الله في الدنيا، مع مالهم في الآخرة من الخزي.

[28] وكان عبد الله بن مسعود يقول:
لا بد للناس من وَزَعَة.

[29] وقال بعضهم:
من سبّ سلطاناً كساه الله يوم القيامة حلّة من نار، إنما عليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا فعليهم العدل، وعليكم السّمع والطاعة.

[30] وقال رجل للحسن البصري يا أبا سعيد: ما تقول في السلطان؟ فقال:
ما عسيت أن أقول في قوم يلون من أمورنا بخمسة: الجمعة، والجماعة، والفيء والثغور والحدود، وما يستقيم الدين إلّا بهم وإن جاروا

---

[24] نزهة الظرفاء 37.
[25] المقاصد 454، البداية والنهاية 60/13، مختصر المقاصد 81.
[26] نثر الدر 64/2، زهر الآداب 37، ربيع الأبرار 236/4، التمثيل والمحاضرة 29، الشهب اللامعة 62.
(1) الأصل يزغ، بالغين تحريف. يزع: يكف ويمنع.
[27] عيون الأخبار 23/1، العقد الفريد 7/1، نصيحة الملوك 81.
[28] واسطة الآداب ق 25 [نسب إلى الحسن البصري]، الظرائف واللطائف 16.
[30] الظرائف واللطائف 16.

وظلموا، ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد.

[31] وكان دانيال النبي ـ عليه السلام ـ يمشي تحت ركاب الملك أربعة أميال، فقيل له أتمشي تحت ركابه وأنت نبي؟ فقال إني أفعل ذلك رجاء أن أكلّمه بكلام يدفع الله تعالى به عن الناس وينفعهم.

[32] وكان الفضيل بن عياض يقول: لو كانت لي دعوة مستجابة لصيرتها للسطان. قيل: ولِمَ تقدّمه على نفسك؟ قال: إن دعوتي لنفسي لا تنفع غيري، وإذا كانت له، انتعش البلاد بعدله وإصلاحه.

فصــل
في طاعة السلطان

[33] في الخبر من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة، مات ميتة جاهلية.

[34] وقرأت في أخبار أنوشروان العادل أنه نظر إلى بزرجمهر وهو يوصي بعض حاشيته، فقال له: بم أوصيته؟ قال:

قلت له أطع ولي نعمتك فيما أمرك به ونهاك عنه كطاعة من أنشأك ورزقك، فإن طاعة من ملكه الله تعالى على خلقه مقرونة بطاعته وطاعة الله توجب الرحمة، وطاعة الملك توجب الإفادة.

فقال أنوشروان: لا يزال هذا الملك محروساً ما دام فيه مثلك.

[35] وكان أبو بكر بن عياش يقول:

لم تتقرب العامة إلى الملوك بمثل الطاعة، ولا العبيد بمثل الخدمة،

---

[32] الظرائف واللطائف 16، ربيع الأبرار 223/4، الشهب اللامعة 63، نهاية الأرب 37/6 بدائع السلك 42/2-43.

[34] واسطة الآداب ق 261، بهجة المجالس 334/1، الإشارة إلى أدب الإمارة 145 [نسب إلى أرسطو ينظر هامش المحقق].

[35] غرر السير 59.

ولا البطانة بمثل حسن الاستماع.

[36] وما أحسن وأوجز قول أبرويز:

أطع من فوقك، يطعك من دونك.

[37] وقلت في كتاب «المبهج»:

من أطاع السلطان فقد أطاع الرحمن، ومن عصى السلطان، فقد أطاع الشيطان.

وفيه:

إذا مددت يدك بالمبايعة فاعقد عقيدتك بالمتابعة.

فصـــل

لطائف وظرائف من الآداب في أجلاّء الملوك

[38] بينما يزيد بن شجرة[1] يساير معاوية، ومعاوية يحدّثه إذ أصك وجه يزيد حجر عائر[2] فأدماه، وجعل الدمّ يسيل على ثوبه، وهو لا يمسحه فقال له معاوية:

لله أبوك! أما ترى ما نزل بك؟ فقال وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال؛ هذا دم وجهك يسيل على ثوبك. فقال:

أعتقت من أملك إن لم يكن السـرور بإقبـالـك عليّ، والشـرف بمحادثتك، ألهياني عمّا مسّني حتّى نبهتني عليه، فأعجب به معاوية وزاد في عطائه.

---

[36] الإيجاز والإعجاز (ضمن خمس رسائل) 14، التمثيل والمحاضرة 138، غرر السير 689.

[37] الشهب اللامعة: 66، لباب الآداب 187/1.

[38] التاج 55، واسطة الآداب ق 260 ظ.

(1) يزيد بن شجرة الرهاوي: من أصحاب معاوية، سيّره معاوية إلى مكة في ثلاثة آلاف فارس، فدخلها وخطب بها، قتل نحو سنة 58 هـ: المعارف 198، النجوم الزاهرة 118/1، 138، 148.

(2) العائر: ما لا يدرى راميه، من الحجر ونحوه.

[39] ويحكى مثل ذلك عن بكر الهذلي أنه كان يوماً عن أبي العبـاس السفاح، وأبو العباس يحدّثه، فعصفت الريح، فأذرت طشتاً من سطح إلى صحن مجلس أبي العباس السفاح، فارتاع من حضر، وانزعجوا لذلك، ولم يتحرك الهذلي، ولم تزل عينه مطابقة لعين أبي العباس فقال له:

ما أعجب شأنك يا هذلي! لم يرعك ما راعنا!

فقال:

يا أمير المؤمنين إنك خصصتني بكرامتك في إقبالك عليّ حتى مال إليها قلبي واشتغل بها فكري، فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما حسست بها.

فقال أبو العباس:

لئن عشت لأعرفنّ حقّك، ولأرفعَن قدرك.

[40] ومن أخبار الصغاني(1) المشهورة أنه كان يوماً بين يدي السعيد نصر بن أحمد(2) وهو يحادثه، فضربت فخذ أبي علي عقرب، وقد كانت دبّت إلى سراويله، وما زالت تعيد الضربات حتى استفرغت سمّها، وأبو علي لا يبالي بها، ولا ينزعج لها، فلما عاد إلى منزله ونزع ثوبه عُدّت الضربات فبلغت سبع عشرة. وبلغ السعيد الخبر فتوجع لما أصابه، ثم قال له بعد ذلك:

يا أبا على عَزّ عليّ ما دهاك لِمَ لم تقم وتزيل عن نفسك تلك البلية؟

---

[39] التاج 113-114، واسطة الآداب ق 262، وبدائع السلك 119/2.

[40]

(1) الصغاني: أبو علي أحمد بن محمد بن مظفر بن محتاج الصغاني (329 هـ): وزير، كاتب، أخباره في: ابن الأثير ـ انظر الفهارس.

(2) نصر بن أحمد: نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني (293-331 هـ): صاحب خراسان وماراء النهر، مولده ووفاته في بخارى. ولي الإمارة بعد مقتل أبيه (سنة 301 هـ). وكان حليماً وقوراً. ومات بالسل: ابن الأثير 130/8، تاريخ البيهقي 110، الاعلام 21/8.

فقال:

إذا لم أصبر في مجلس الملك على أذى عقرب، فكيف صبري إذ أعنت عنه على نيران الحروب وصواعِق السيّوف؟

[41] وسمعت أبا نصر سهل بن المرزُبان(1) يقول:

قرأت في أخبار الوزراء لابن عبدوس(2) أن المأمون خاطب يوماً بعض حاشيته في شيء، فاحتجوا فيه وزادوا في الصوت، فلما خرجوا أمر بهم الفضل بن سهل فقوموا بالضرب، فسأله المأمون عن ذنبهم فقال:

إنهم لم يتأدبوا بأدب الله تعالى فإنه يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم، فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ (الحجرات 2) وقد رفع هؤلاء أصواتهم فوق صوتك.

[42] وكان أنوشروان يقول:

إذا رفعت الأصوات فوق صوت الملك، فقد خُلع، وإذا قال في شيء لا فقيل له نعم أو قال نعم فقيل له لا فقد قُتل.

[43] ومثل ذلك ما يروى أن فتى من الهاشميين دخل إلى المنصور وهو يتغدّى، فدعاه إلى غدائه فأبى، فلمّا خرج عدل به الربيع إلى بعض الممرات وأمر بضربه مائة عصا، وحمل الفتى إلى منزله مثخناً. فلما كان من الغد اجتمع أهله إلى المنصور يشكون الربيع، ويخبرون المنصور بما

---

[41]

(1) سهل بن المرزبان: أديب، شاعر، من صرعى الكتب، أصله من أصبهان. استوطن نيسابور. صنّف له الثعالبي «أخبار ابن الرومي»: اليتيمة 391/4، الوافي 16/21-22 رقم 25.

(2) ابن عبدوس: محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري، كاتب مترسل، مؤرخ، من أهل الكوفة، من رجال الإدارة في الدولة العباسية. له مصنفات وصل إلينا «كتاب الوزراء والكتّاب» ـ قسم منه، والخبر الموجود أعلاه في القسم الضائع منه: الوافي 205/3، النجوم الزاهرة 279/3 .

[43] العقد 458/2، محاضرات الأدباء 93/1، التاج 12، الأذكياء 59.

أقدم عليه من ضرب فتاهم، فقال المنصور: ما كان الربيع ليفعل شيئاً غير واجب، فدعاه به، وقال: يا ربيع لِمَ ضربت ابن عمي ولم آمرك بذلك؟

فقال: يا أمير المؤمنين لأنك دعوته إلى مائدتك، فامتنع من الإجابة، ولم يعلم أن موائد الملوك تحضر تشرّفاً، لا تشبّعاً، فأحببت أن أؤدبه لئلا يعود لمثلها.

[44] وسمعت أبا جعفر محمد بن موسى العلوي الموسوي الطوسي(1) يقول: إن رسم النثارات للملوك وغيرهم من الكبراء والرؤساء(2) مأخوذ من أدب الله تعالى في شأن رسوله ـ عليه السلام ـ حيث قال:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ (المجادلة 12). فكأن اليوم من سعى إلى الملك أو الرئيس بوسيلة فيقدم عليه ويقدم نثاراً بين يديه إنما يصدق بذلك عنه شكراً لله على ما يسّر له من لقائه سالماً في نفسه وحاله ويسأله أن يرى فيه رأيه من التصدق أو غير ذلك، ولو تولّى إعطاءه الفقر لكان الشك قد يقع في ذلك، والقلب يترجح بين التصديق والتكذيب.

[45] وفي كتاب الوزراء لابن عبدوس أن محمد بن عبد الملك(1) وزير المعتصم والواثق قرأ يوماً كتاباً على الواثق ليشهد فيه على نفسه، فلما بلغ الموضع الذي فيه في صحته من عقله وبدنه وجواز أمره له وعليه قال: أبو الوليد بن أحمد بن أبي دواد أيقال للخليفة مثل هذا؟، فقال له محمد وما

---

[44]

(1) أبو جعفر محمد بن موسى العلوي الموسوي، الطوسي: أديب، معاصر للثعالبي، عِول عليه في عدد من مؤلفاته: لطائف المعارف 198، التوفيق للتلفيق 129.

(2) الأصل: الرسا.

[45] لا وجود للنص في القطعة المطبوعة من الكتاب.

(1) محمد بن عبد الملك: محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة الزيات (173-233 هـ): كاتب مترسل، وزر لعدد من الخلفاء العباسيين، نكبه المتوكل وعذبه إلى أن مات ببغداد، الأغاني 22/463-505، أعتاب الكتاب 133-138 رقم 35.

=

أنكرت من هذا وهل يكتب في مثل هذه الكتب إلّا هكذا؟

فقال أبو الوليد ينبغي أن يكون بين الخليفة وبين العامة فرق في كل شيء! فقال له الواثق: وكيف يكتب؟ فقال يكتب: في صحة من جسمه، وعلو من رأيه وتوفيق من ربه، فخجل محمد، وأمر الواثق لأبي الوليد بمائة ألف دينار.

[46] وقد حكي عن عبيد الله بن سليمان في كتاب كتب على المعتضد أنه أنكر مثل ذلك، وجعل مكانه في صحة من جسمه وأصالة من رأيه.

[47] وكان محمد بن عبد الملك إذا احتاج إلى خاتم الخلافة، ليختم به الكتب وغيرها دعا به، فإذا وقعت عينه عليه، وهو في درج ذهب مهيأ له، مغشى بحرير، قام إليه واستقبله خطوات وأخذه من درجه فقبّله ثمّ ختم به ما يريد، وردّه إلى مكانه وسلمه إلى خازنه، وشيّعه خطوات إلى أن يغيب عن عينيه إجلالاً وإعظاماً لخاتم الخلافة.

[48] ويروى عن عثمان بن عفان أنه كان يقول ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت به النبي ﷺ.

[49] وسمعت جدّي أبا علي الثعلبي[1] يقول: سمعت نصر بن طزّ[2] الشرابي[3] يقول: ما مسست دسماً منذ ولّاني أمير المؤمنين بيت شرابه، واستخلصني لنفسه، واستخصني لسقيه، حتّى انتقل إلى جوار ربه. فقلت:

=(2) أبو الوليد بن أحمد بن أبي دواد (240 هـ): قاضٍ له مؤلفات كثيرة في الفقه. توفي من فالج لحقه: الفهرست 212، تاريخ بغداد 297/1، الوافي 33/2 رقم 291.

[47] أدب الكتاب: 141.

[48] العقد 338/6، لطائف اللطف: 27، خاص الخاص 171.

[49]

(1) كذا في الأصل، واشتهرت الأسرة بالثعالبي نسبة إلى بيع وصناعة جلود الثعالب.

(2) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(3) نصر الشرابي: صاحب شراب الأمير الحميد وغيره: زين الأخبار 41، ابن الأثير (أنظر الفهارس).

وكيف كنت تتناول المرق واللحوم؟

قال: بالمعالق والبارجيات وربما كنت ألقم، إذا لم تحضر معلقة.

[50] وسمعت أبا نصر بن أبي زيد[1] يقول: كان الرسم على موائد الملوك السامانية، إذا قدّم الأرز باللبن أن يتناول كل واحد ممن عليها ملعقة ذهب، فجمعت يوماً مائدة الأمير السعيد ـ أو قال مائدة الأمير الحميد[2] ـ نفراً من ملوك الأطراف وفيهم أبو سعيد أحمد بن محمد بن عراق، فلما قدّم الأرز باللبن أعطوا معالق الذهب على الرسم. فأخذوها وجعلوا يستعملونها سوى أبي سعيد، فإنه أخذها ووضعها بين يديه، فلما قاموا أمر الملك بإن يسئل عن السبب في تركه استعمالها كما استعملها نظراؤه؟ قال: كرهت أن أدخل الملعقة في فمي ثمّ أدخلها في القصعة على مائدة الملك، وكان ذلك مما أستحسن من أدبه، ورفع رسم المعالق على الموائد بسببه.

---

[50]

(1) أبو نصر بن أبي زيد: أحمد بن أبي زيد، وزير، كاتب أديب أخباره: ابن الأثير (أنظر الفهارس).

(2) الأمير الحميد: أبو محمد نوح بن نصر. توفى سنة 343 هـ: زين الأخبار 35.

الباب الثاني

في صدور من الأمثال والتشبيهات الملوكية والسلطانية

فصل
في أمثال جارية على ألسنة الخاصة والعامة في الملوك والسطان

[51] منها قولهم: جاور مَلِكاً أو بحراً، وذلك لكثرة منافعهما ومصالحهما ومرافقهما للناس، فالبحر على ما فيه من الخطر يغني ويفني راكبيه ومجاوريه، وكذلك الملك بحسن آثاره على رعاياه وأصحابه.

[52] وكنت أُنشدت للعَطَوي هذين البيتين(1):

مثل سائر من الأمثال [ ] بالآملين والآمال(2)
قيل: جاور بحراً وإلّا فجاور ملكاً باسطاً يد الأفضال

فأجزتهما بهذا البيت:

وجمعناهمابخوارزم شاه الملك السيّد الرفيع المعالي(3)

---

[51] التمثيل والمحاضرة 130.
[52]
(1) أخلّ بهما ديوانه ضمن (شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري ـ البصرة ـ 1977).
(2) كذا في الأصل.
(3) أخلّ به شعر الثعالبي بطبعتيه (الحلو ـ الجادر).

[53] ومنها قولهم: الملك عقيم، أي لا أرحام بين الملوك وبين أحد، لأنهم يجرون على حكم السياسة المرّة ويبلغون كل مبلغ من الاحتياط على الملك والمملكة، ولا يقارون أحداً يخافونه على الملك الذي هو أجل الرتب، وأعلى الأحوال، ألذّ الأشياء ويصطلون كائناً من كان من أقربائهم وإخوانهم وأبنائهم، ويقتلون أقرب الناس منهم نسباً، إذا أحسّوا منهم قدحاً في سلطانهم.

وكثيراً ما يقتل ابن الملك أباه طمعاً في مكانه ووراثة سلطانه. ويقتل الملك ابنه إذا رأى منه خلافاً مخافة إياه على نفسه وملكه.

[54] ومنها قولهم: من ملك استأثر. أي إن الملك يريد كل حسن، وكل علق نفيس لنفسه، فيستأثر به على رعاياه وأصحابه.

[55] وكان المأمون يقول إن فينا ـ معشر الملوك ـ محكاً وحسداً واستئثاراً.

[56] وسمعت الحسن بن عبد الحميد يقول: سمعت أبي يقول:
سمعت أبا علي الصغاني يقول:
من والى الملوك أخذوا ماله، ومن عاداهم أخذوا رأسه.

[57] ومنها قولهم: الناس على دِين الملك، أي يتدينون بمذهبه، ويصدرون عن رأيه، ويحذون على تمثيله.

[58] ومنها قولهم: للقلوب بدَوَات، وأسرع الأشياء تقلباً قلب الملوك.

---

[53] التمثيل والمحاضرة 130، الظرائف واللطائف 18.
[54] التمثيل والمحاضرة 131، الظرائف واللطائف 18.
[55] الظرائف واللطائف 18.
[56] الظرائف واللطائف 18، ربيع الأبرار 237/4.
[57] التمثيل والمحاضرة: 131.
[58] التمثيل والمحاضرة: 130، الإيجاز 15.

[59] إذا تغيَّر السلطان، تغيَّر الزمان.

[60] عَفْو المَلِك أبقى للمُلْك.

[61] سكرُ السلطان أشدُّ من سكر الشّراب.

[62] شرّ السلطان من خافه البريء.

[63] المُلك يبقي على الكفر، ولا يبقي على الظُلّم.

[64] الملوك يؤدِّبون(1) بالهجران، ولا يعاقبون بالحرمان.

[65] إذاقال الملك لعّماله هاتوا، فقد قال لهم خذوا.

[66] عدل السّلطان أنفع من خِصب الزّمان.

[67] من أكل من مال السلطان زبيبةً أدّاها تمرةً.

[68] من تحسّى مرقة السلطان احترقتْ شفتاه، ولو بعد حين.

[69] المُلك بالدِّين يبقى، والدِّين بالمُلك يقوى.

---

[59] التمثيل والمحاضرة: 131.
[60] التمثيل والمحاضرة: 131.
[61] التمثيل والمحاضرة: 130، الظرائف واللطائف 18.
[62] التمثيل والمحاضرة: 130، غرر السير 483.
[63] التمثيل والمحاضرة: 130، الإيجاز والإعجاز: 63، أدب الدنيا: 142، تسهيل النظر: 226.
[64] التمثيل والمحاضرة: 130، اللطف واللطائف: 24 غرر السير 483 (نسبه إلى أردشير)، عهد أردشير 100.
(1) الأصل: يدبون.
[65] التمثيل والمحاضرة: 131، زهر الآداب: 675، الآداب ق 24.
[66] التمثيل والمحاضرة: 43، أحاسن المحاسن ق 12، ربيع الأبرار 74/3، غرر السير 483.
[67] التمثيل والمحاضرة 131 [فيه أنه من أمثال الفرس]، الشهب اللامعة: 89، تحسين القبيح: 90 الظرائف 20.
[68] التمثيل والمحاضرة 131، تحسين القبيح: 90، الظرائف 20.
[69] التمثيل والمحاضرة: 132، زهر الآداب: 675، غرر السير 483 (نسبه إلى أردشير) وعنه في عهد أردشير 100 رقم 21.

[70] ومن كتاب المبهج لمؤلف هذا الكتاب:

الأوطان حيث يعدل السلطان.

[71] ريح السلطان على قوم: نسيم، وعلى قوم هموم وشؤم.

[72] ما للملوك والمطامع الدنيّة في المطاعم الرديّة.

[73] الملك خليفة الله في أرضه، ولن يستقيم أمر خلافته[1] مع مخالفته.

فصـــل
فيما يجري مجرى الأمثال من الحكم والآداب الملوكية

[74] قال بزرجمهر: من جالس المُلوك بغير أدبٍ فقد خاطر بنفسه.

[75] وكان ابن المقفع يقول: أحقّ من لا يستخف بحقوقهم: الملوك والعلماء والاخوان. فإن من استخف بالملوك ذهبت دنياه.

ومن استخف بالعلماء ذهبت آخرته

ومن استخف بالاخوان ذهبت مروءته.

[76] وكان يقال أربعة لا يستقل قليلها:

السيل والنار والسلطان والعداوة والدين.

---

[70] المبهج 10، التمثيل والمحاضرة: 132، زهر الآداب: 675.

[71] المبهج: 14، زهر الآداب: 675، التمثيل والمحاضرة 133.

(1) المبهج: على قوم سموم، وعلى قوم نسيم.

[72] المبهج 13، التمثيل والمحاضرة: 133.

[73] التمثيل والمحاضرة: 133، زهر الآداب: 675.

(1) الأصل: خلافه، تحريف والتصحيح من المصادر.

[74] التمثيل والمحاضرة: 142، نثر الدر 151/3، زهر الآداب 674، أحاسن المحاسن: ق 12.

[75] التمثيل والمحاضرة 470.

[76] الظرائف 20.

[77] وسمعت أبا محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي(1) يقول:

كتب بعض البلغاء إلى بعض الرؤساء في شيء شجر بينهما، ليس يجوز لأحد على أحد حكم إلّا حكم الخالق على المخلوق، وحكم السلطان على الرعية، وحكم المالك على المملوك، ولست [أنتَ](2) ولا أنا منهم.

[78] ومن فصول ابن المعتّز: إذا زادك الملك تأنيساً فزِده إجلالاً.

[79] وقال غيره: إذا اتخذك السلطان أخاً، فاتخذه ربّاً(1).

[80] وسمعت أبا جعفر محمد بن موسى الموسوي يقول:

كان علي رضي الله عنه ـ يقول: قبلة الوالدين عبادة وقبلة الوالد رحمة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة وقبلة الأخر مبّرة، فزاد فيه الحسن البصري: وقبلة الملك العادل طاعة.

[81] وكان عبد الله بن طاهر يقول: لا ينبغي للملك أن يظلم وبه يدفع الظّلم، ولا أن يعجل، ومنه يلتمس الأناة، ولا أن يبخل ومنه يتوقع الجود.

[82] وكان سليمان بن وهب(1) يقول: لا يجتمع عيران في عانه، ولا

---

[77]

(1) عبد الله بن إسماعيل الميكالي (379 هـ). كان رئيس نيسابور. له معرفة بالأدب وحفظ دواوين العرب. يتيمة الدهر 417/4-418، الوافي 73/17-74 رقم 61.

(2) زيادة لإقامة النص.

[78] زهر الآداب 674، التمثيل 132، نثر الدر 151/3، ربيع الأبرار 236/4.

[79] عيون الأخبار 19/1، كتاب الآداب ق 24، محاضرات الراغب 186/1.

(1) العيون: اتخذه أبا، وإن زادك فزده.

[81] الإعجاز 82، اللطف واللطائف 23.

[82] اللطف واللطائف 23، الإعجاز 95.

(1) سليمان بن وهب (272 هـ): من أسرة معرقة في الكتابة، كتب للمأمون وهو حَدَث ابن 14 سنة، تولى خراج مصر سنة 242 هـ. مات في السجن: إعتاب الكتاب 138-144 رقم 36، وفيات الأعيان 144/2 رقم 263، الوافي 440/15-443 رقم 592.

=

أسدان في غابة، ولا سيفان في غمد، ولا فحلان في شول، ولا أميران في جيش. فبلغ ذلك عِضد الدولة[2] فقال: ولا ملكان في إقليم.

[83] وكان الصاحب بن عباد[1] يقول: ينبغي للسلطان أن ينقش قول أردشير في فص صدره:

لا سلطان إلّا برجال، ولا رجال إلّا بمال، ولا مال إلّا بعمارة، ولا عمارة إلّا بعدل وحسن سياسة.

[84] وكان يقال: السلطان الضعيف شؤم، وسلطان تخافه الرعية خير لها من سلطان يخافها.

[85] وكان يقال أسد حطُوم خير من ملك غَشُوم، وملك غَشوم خير من فتنة تدوم، وسلطان عادل خير من مطر وابل.

[86] وقرأت للأمير أبي الحسن بن محمد بن إبراهيم بن سيمجور كتاباً في السياسة فاعجبني منه فصل مرّ بي معناه في بعض كتب العربية وهو: كل الناس أحقّاء بالكَرَم، وأقلّهم في تركه عُذراً: الملوك لقدرتهم عليه.

[87] وكان الصاحب أبو القاسم[1] يقول:

= (2) عضد الدولة: فنّاخسرو أبو الحسن الديلمي، أبو شجاع (324-372 هـ). تولى مُلك فارس ثم الموصل وبلاد الجزيرة، وأول من خطب له على المنابر بعد الخليفة. كان ظالماً، أديباً: ابن الأثير ج 8 و9 (تنظر الفهارس)، الاعلام 156/5.

[83] ثمار القلوب 178، التمثيل والمحاضرة 136، غرر السير 482، ثمار القلوب 178، الشهب اللامعة 26، عهد أردشير 98 رقم 16 (فيه تخريجات أخرى).

(1) الصاحب بن عباد: إسماعيل بن عباد، كافي الكفاة، أبو القاسم (326-385 هـ)، وزير، أديب، شاعر، له مصنفات كثيرة، مدحه عدد كبير من الشعراء. اليتيمة 188/3-286، نزهة الألباء 238-240، نكت الوزراء 109-121، معجم الأدباء 273/2-343.

[84] غِرر السير 482.

[85] غرر السير 482، عهد أردشير 99 رقم 18، ربيع الأبرار 249/4 (نسب إلى عمرو بن العاص).

[86] غرر السير 483 (نسب ألى أردشير)، عهد أردشير 99 رقم 19.

[87] التمثيل والمحاضرة 141.

(1) الصاحب أبو القاسم: ابن عباد، تقدمت ترجمته الرقم 83.

ـ تهيُّب السلطان فرض وكيد، وحتم على من ألقى السمع وهو شهيد.

ـ مرضاة السلطان لا تغلو بشيء من الأثمان.

[88] وسمعت أبا نصر بن أبي زيد(1) يقول:

من خدم السلطان فهو خادم من جهة، وملك من أُخرى، ومن خدم السوقة فهو خادم من الجهات كلها.

[89] وكان يقال من خدم السلطان خَدَمه الاخوان.

[90] وكان أبو الفتح البستي(1) يقول:

أحمق الناس من كان على السلطان مُدِّلاً، وللاخوان مذلاً.

فصــل
في تشبيه السلطان بالبحر والنار

[91] أنشدني عون بن محمد التيمي الهمذاني قال: أنشدني الصاحب لنفسه:

إذا أدنــاك ســلطانٌ فــزِدْه ... من التّعــظيم واحــذْرهُ وراقبْ
فما السلطانُ إلاّ البحر عـظماً ... وقـربُ البحر محـذورُ العواقبْ

[92] ومن فصول ابن المعتّز:

ـ إن كان البحر كثير الماء، فإنه بعيد المهوى.

---

[88]
(1) ترجمته: الهامش 50.
[89] التمثيل والمحاضرة 131.
[90] التمثيل والمحاضرة 142.
(1) أبو الفتح البستي: علي بن محمد (نحو 401 هـ)، شاعر، كاتب، عول عليه الثعالبي كثيراً في معظم مؤلفاته، له ديوان مطبوع. اليتيمة 302/4، المنتظم 72/7، ابن الأثير 251/7، درج الغرر 42، وفيات الأعيان 377/3، الوافي 168/22-173 رقم 118.
[91] زهر الآداب: 675-676، التمثيل والمحاضرة 143، ديوان الصاحب بن عباد 191.
[92] التمثيل والمحاضرة 132، تحسين القبيح 91، ربيع الأبرار 236/4-237، زهر الآداب 674-675، الظرائف 20، الآداب ق 23-24.

ـ ومن شارك السلطان في عِزِّ الدنيا، شاركه في ذل الآخرة.

ـ ومنها: من صحب السلطان فليصبر على قسوته، كصبر الغواص على ملوحة بحره.

ـ ومنها: لا تلتبسْ بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه في حال سكونـه، فكيف عند اختلاف رياحه، واضطراب أمواجه؟.

[93] وكان يقال: السلطان كالنار إن باعدتها بطل نفعها، وإن قاربتها عظم ضررها.

[94] وقال بعض الحكماء: ليكن السلطان عندك كالنار، لا تدنو منها إلّا عند الحاجة إليها وإن اقتبست منها فعلى حذر.

[95] وقد أحسن من قال:

خير الملوك من أشبه الغيث في إحيائه ما يليه، لا من أشبه النار في أكله ما تمرّ به.

[96] وهذا كما قيل:

خير الملوك من أشبه النسر حول الجِيَف، لا من أشبه الجِيَف حولها النُسُور.

فصـــل
في سائر الأمثال والتشبيهات الملوكية والسلطانية

[97] كان يقال:

احذروا السلطان، فإنه يغضب غضب الصَّبي، ويأخذ أخذ الأسد.

---

[93] التمثيل والمحاضرة 130، زهر الآداب 675، ربيع الأبرار 235/4.
[94] التمثيل والمحاضرة 131.
[96] عيون الأخبار 3/1، لباب الآداب 44، الإشارة إلى أدب الإمارة 148.
[97] التمثيل والمحاضرة 130.

[98] ومن الأمثال السائرة:

صاحب السّلطان كراكب الأسد يهابه الناس، وهو أهيب لمركبه.

[99] ووصف ابن المقفع في يتيمته السلطان وما للناس فيه من كثير المنافع، وقليل المضار فأحسن كل الإحسان، ويشبه ما يصل إلى أكثر الناس من عدله وفضله مع ما يمسّ بعضهم من ثقله بالغيث الذي يغيث البلاد. وينعش العباد ويفعم الأودية ويصلح الماشية، وقد يتأذى به السّفر، ويتداعى له البنيان. ويكون فيه الصواعق، وبالرياح التي هي روح النفس. ولقاح الثمار وبها تسير سحائب الجود، وسفائن البحر. وقد تضرّ بكثير من الناس وتتعدى إلى أموالهم ونفوسهم. وبالشتاء والصيف اللذين يتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات. وقد يكون الضرّ والأذى في البرد إذا لذع وفي الحر إذا سفع وبالليل الذي جعله الله سكناً ولباساً، وقد تعدو فيه هوام الأرض وسباعها. ويستوحش به الوحيد وذو العلة والمسافر في القفر وبالنهار الذي جعله الله ضياء ونشوراً. وقد يصبح فيه الغارات والحروب. وقد يكون في ظهائره النصب واللغوب. وليس ما يصل إلى الأحاد والشواذ من مكروه الأمور العامة النفع مزيلاً لها عن طريق الحمد، وكذلك المضار إذا اتفق أن تتضمن نفعاً للقليل من الناس مع إجحافها بالكثير لم تزل عن سبيل الذم.

[100] وقرأت في بعض كتب العجم: الملك الفاضل العادل كالشمس في الشتاء والقمر في الخريف، والرخاء في جميع الأزمنة، وهو في الأصحاب كالرأس في الجسد وفي الرعية كالروح في البدن، وفي الأولياء كما العسل، وفي الحرب كالطريق المشتعل والفيل المغتلم، وفي السلم كالمطر الجود، وعند القدرة كالأم البرّة.

---

[98] زهر الآداب 675، تحسين القبيح 90.

[99] أحاسن المحاسن ق 8، الظرائف واللطائف 17.

[100] الظرائف واللطائف 16.

[101] وكان يقال مثل الإسلام والسلطان والأعوان والرعية كالفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد، فالفسطاط: الإسلام والعمود السلطان والأطناب الأعوان والأوتاد ولا يصلح بعض[1] ذلك إلّا ببعض.

[102] وقد قرأ المأمون بمرو[1] على «علي بن موسى الرضا» كتاباً بفتح ناحية من نواحي الترك، فقال له الرضا يا أمير المؤمنين أتفرح بفتح قرية، وقد جلست بخراسان وتركت دار الهجرة، والقرب من مساكن أسلافك، وضيّعت أمور الناس، فما ينتصف مظلوم ولا يرتدع ظالم. وإن الإمام لينبغي له أن يكون من الناس بمنزلة عمود الفسطاط، يصل إليه من أراده من النواحي على حال استواء وتقارب؟

فنادى عند ذلك بالرحيل إلى العراق.

[103] وقال بعض الحكماء لا يتم أمور الملك إلّا بالرأي والاجتهاد والصبر والتوفيق والأعوان وكتمان السر كما لا يتم الزرع، إلّا بالتربة والبذر والماء والشمس والهواء والسماد.

[104] وفي كتاب كليلة: مثل السلطان كالجبل الصعب الذي فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حَطوم، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشدّ.

وفيه أيضاً:

مثل السلطان في إقباله على الأقرب منه. فالأقرب دون الأفضل، فالأفضل كمثل الكرم الذي لا يتعلق بأكرم الشجر بل بأقربها منه.

---

[101] أحاسن المحاسن ق 8، الظرائف واللطائف 16.

(1) كلمة بعض وضعت في أعلى السطر بخط الناسخ نفسه.

[102]

(1) مرو: مرو الشاهجان: أشهر مدن خراسان وقصبتها، والنسبة إليها مرزوي على غير قياس، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً. وكلمة مرو بالعربية تعني: الحجارة البيضاء التي يقتدح بها: معجم البلدان [مرو الشاهجان] 5/112-116.

[104] تحسين القبيح 90، التمثيل والمحاضرة 131، زهر الآداب 675، عيون الأخبار 1/20، كليلة ودمنة (دي ساسي/ 1816)، الإشارة إلى أدب الإمارة 131.

[105] وقد نظم ابن نباته هذا المثل فقال لصَمصَام الدولة[1]:

أحسُدُ قَوماً عليكَ قد غلبوا ... وكلٌّ من بارزَ المدى غَلَبا

وكنتَ كالكَرم في تكرّمه ... تَلْتَفُّ أوراقُه بما قَرُبا

[106] وكان الربيع بن يونس يقول: من يكلم الملوك في الحاجات في غير أوقات الكلام لم يظفر ببغيته وضاع كلامه.

وما أشبه الحال في ذلك إلّا بأوقات الصلوات، فإنّ الصلوات لا تقبل إلّا فيها، فمن أراد خطاب الملك في شيء، فليترصّد[1] الوقت الذي يصلح في مثله ذكر ما أراد[2] ليحصل على النجح وإلّا فلا[3].

[107] وكان إبراهيم بن العباس يقول: أمثّل أصحاب السلطان كقوم ارتقوا جبلاً ثمّ وقعوا منه، فكان أبعدهم في المرقى أقربهم من التلف.

[108] وكان يقال مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسداً مثل الماء العذب النمير الذي فيه التماسيح، فلا يستطيع الإنسان وروده. وإن كان سابحاً وأتى الماء ظامئاً.

[109] ومن الأمثال الجارية على كل لسان، المنسوبة إلى أنو شروان

---

[105] ديوان ابن نباته السعدي 40/2. (فيه قالها في العلاء بن الفضل)، اليتيمة 395/2.

(1) صمصام الدولة: المرزبان بن فناخسرو أبو كاليجار (388 هـ): ولي المُلك بعد أبيه عضد الدولة، جرت له مشكلات ومحن كثيرة. مدحه الكثير من الشعراء: ابن الأثير (تنظر الفهارس)، نكت الهميان 288-290.

(2) الديوان: بادر المدى.

[106] لطائف اللطف 55.

(1) الأصل: فاليترصد، تحريف.

(2) الأصل: لداد، تحريف.

(3) الأصل: قلا ـ بالقاف.

[107] تحسين القبيح 90، أحاسن المحاسن ق 9.

[108] التمثيل والمحاضرة 143، تحفة الوزراء 58، لباب الآداب 41-42، الإشارة إلى أدب الإمارة 128.

[109] الإعجاز والإيجاز 58، التمثيل والمحاضرة 137، غُرر السير 607، الآداب ق 23.

وغيره: مثل السلطان الذي يعمّر بيت ماله بخراب ضياع رعيته والجور عليهم، مثل الرجل الذي يطيّن سطوحه بتراب أساس حيطانه التي السطوح قائمة عليها.

[110] وكان الفضل بن مروان يقول: مثل عامل السلطان في توليه كبار أعماله مدة وصغارها أخرى كمثل الخياط يقطع يوماً ديباجاً نسيجاً بألف دينار، ويوماً قوهياً(1) بعشرين درهماً.

[111] مثل ضربه أبو إسحاق الصابىء(1) في رسالة عملها لعضد الدولة ـ وهو في نهاية الحسن:

الملك بمن غلط من أتباعه فأدب(2)، فاتّعظ أشدّ انتفاعاً منه بمن لم يغلط، ولم يتعظ، لأن الأول كالقارح(3) للذي أدّبته العثرة، وأصلحته الرياضة(4)، والثاني كالجذع الذي هو راكب للغرة، وراكن إلى السلامة، والعرب تزعم أن العظم إذا جُبر من كسره عاد صاحبه أشدّ بطشاً وأقوى.

[112] مثل ضربه أيضاً.

الملك أحقُّ باصطفاء رجاله منه، باصطفاء أمواله، لأنّه مع اتّساع الأمر، وجلالة القدرة(1)، لا يكتفي بالوحدة، ولا يستغني عن الكَثرة. ومثله في ذلك مثل المسافر في الطريق البعيد(2)، الذي يجب عليه أن تكون عنايته

---

[110]

(1) القوهي: نسبة إلى قوهستان. كورة من كور فارس (معجم البلدان [قوهستان] وانظر: المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة 246.

[111] زهر الآداب 588، أحاسن المحاسن ق 9.

(1) أبو إسحاق الصابىء: إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحراني (313-384 هـ): كاتب وشاعر، تقلد دواوين الرسائل والمظالم أيام المطيع وغيره، سجن أيام عضد الدولة، له مؤلفات. يتيمة الدهر 23/2.

(2) الأصل فادر، تحريف (3) القارح: الذي بلغ تمام القوة.

(4) الزهر: الفدامة.

[112] زهر الآداب 588، التمثيل والمحاضرة 141، أحاسن المحاسن ق 9.

(1) كذا في الأصل، وفي المصادر: القدر. (2) التمثيل: البعيدة.

بفرسه المجنوب مثل عنايته بفرسه المركوب.

[113] مثل آخر ضربه أيضاً:

إذا بنى الملك أموره على أصل زائد عن حقيقة الصواب زوالاً يخفى في الابتداء ويظهر على طول المدى كان كالسائر على جادة الطريق الذي ينحرف عنها انحرافاً قليلاً، فلا تكون في أول انحرافه عن القصد بعيداً، حتى إذا طال به المسير زاد ذلك القدر، وانفرج الانفراج الكثير، فتكامل الضلال، وخفي الرشاد.

الباب الثالث

في نكت كلام الملوك ووصاياهم وتوقيعاتهم
ولطائف الفضلاء ومخاطباتهم

فصـــل
في كلام الملوك

[114] ليس بعد كلام الله تعالى، وكلام رسوله عليه السلام، وكلام الخلفاء الراشدين من بعده، كلام أشرف وأنفع وأوقع من كلام الملوك، لأن عامة الملوك أعقل وأفضل من خاصة الرعايا، فكيف إذا كانوا من خواص الملوك الذين يدون كلامهم وتجلّد سيرهم، وإنما ينطقون بتأييد من الله تعالى، وتوفيق وتسديد، وكلماتهم(1) قلائل إلّا أنها قـلائد، معهـا عِزّة الملك، وعليها رونق الصدق، ومعها سيماء المجد.

[115] وكان شبيب بن شيّبة(1) يقول: احفظوا كلام الملوك، فإنها أولج في المسامع، وأعود في المجامع، وأعلق بالنفوس، وأشفى للقلوب.

[116] وكان ابن المقفع يقول: اسمعوا وعوا كلام ملوككم. وإن لم

[114]
(1) الأصل: وكماتهم، تحريف.
[115]
(1) الأصل شبيب بن شبّة، تحريف، وهو شبيب بن شيبة بن عبد اللّه التميمي، أبو معمر (نحو 170 هـ): أديب، نادم خلفاء بني أمية، له أقوال تحفل بها كتب الأقدمين. البيان والتبيين 24/1، 47، تهذيب التهذيب 307/4، الاعلام 156/3.

تحط به عقولكم، فإن فيه جواهر وبدائع بواهر.

[117] وكان أبو مسلم يقول: من لم يؤدبه كلام الملوك، لم ينفعه التأديب والتهذيب.

فصــل
في أقوال صادرة عن الملوك والاجلة دالة على علّو أقدارهم، وبعد هممهم وعِظم أخلاقهم وشرف طبائعهم

[118] لما توجه الأسكندر إلى حرب دارا قيل له إن دارا في ثمانين ألفاً، قال: القصاب لا تهوله كثرة الغنم.

ـ ولما قرب من عسكر دارا أُشير عليه بالمبايتة، فقال لا أجعل غلبتي سرقة.

ـ وقيل له قد بسط الله لك الملك، فاستكثر من النساء، ليكثر ولدك، وتحيي بهم ذِكرك، فقال: احيي الذكر بالسير الحسنة، والسنن الصالحة، ولا يحسن بمن غلب الرجال أن تغلبه النساء.

[119] واصطنع أنو شروان رجلاً فقيل له إنه لا قديم له فقال: اصطناعنا إياه بيّته وشرّفه.

ـ وكان يقول وجدنا للذة العفو ما لم نجده للذة العقوبة.

[120] ولما رهن جاور(1) بن زرارة قوسه عند كسرى أبرويز من العرب، قال كسرى:

لولا أنهم عِندي أقل من القوس لم أقبلها.

---

[118] التمثيل والمحاضرة 133، أحاسن المحاسن ق 9، اللطف واللطائف 21، زهر الآداب 212/1، البصائر والذخائر 484/3، الجوهر النفيس 77.

[119] التمثيل والمحاضرة 133، أحاسن المحاسن ق 9، غرر السير 607-608.

[120] التمثيل والمحاضرة 133، أحاسن المحاسن ق 9، غرر السير 690.

(1) كذا وفي المصادر: حاجب.

[121] وسمعت أبا جعفر الموسوي يقول: سمعت أبا علي البلعمي(1) يقول: لم أسمع شعراً أدل على أن قائله ملك [أحسن](2) من قول النعمان بن المنذر في العفو والعقوبة:

تعفو الملوكُ عن العظيـ ـم من الذنوب بفضلِها
ولقد تُعاقبُ في اليسـ ـير وليس ذاك لجهلِها
إلا ليعرف حِلمُها ويخاف شِدّة نكلِها

[122] وكان معاوية يقول نحن الزمان من رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتّضع.

ـ وكان يقول إني لأنفُ أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حِلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جُودي.

[123] ولما قال معاوية: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هودونه. قال الأحنف:

وأحقّ الناس بالإحسان من جاز حكمه. فقال معاوية: هذه والله أحسن من الأوليين.

[124] وكان عبد الملك بن مروان يقول: أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قُدرة وأنصف عن قوّة.

ولما وقعت الحرب بين عبد الملك ومصعب بن الزبير تراءت الفتيان

---

[121] أحاسن المحاسن ق 9، حماسة الظرفاء 178/1، التمثيل والمحاضرة 134 (عدا الثالث).
لغير النعمان في: عيون الأخبار 100/1، التذكرة الحمدونية 306/1 رقم 831 (بدون عزو).
(1) أبو علي البلعمي: محمد بن محمد البلعمي: وزير الرشيد (عبد الملك بن نوح): زين الأخبار: 45-46.
(2) إضافة مناسبة.
[122] التمثيل والمحاضرة 133، اللطف واللطائف 21، أحاسن المحاسن ق 9، من غاب عنه المطرب: 236.
[123] الجوهر النفيس 87 (الفقرة الأولى فقط)، الإيجاز والإعجاز 16-17.
[124] الإيجاز والإعجاز 17، أحاسن المحاسن ق 10، التمثيل والمحاضرة 134، اللطف واللطائف: 22 (الفقرة الأخيرة فقط).

وحمي الوطيس أرسل عبد الملك أخاه محمد بن مروان يعطيه الأمان فقال مصعب: مثلي لا ينصرف عن هذا المكان إلّا غالباً أو مغلوباً.

[125] وكان زياد يقول اشفعوا إلينا لمن وراءكم، فليس كل أحد يصل إلى السلطان، ولا كلّ من يصل إليه يقدر على كلامه.

[126] وكان المهلب بن أبي صفرة يقول عجبت لمن يشتري العبيد بماله، ولا يشتري الأحرار بفعاله.

وكان يقول [لبنيه](1): أحسن ثيابكم ما كانت(2) على غيركم.

[127] وإلى ذلك أشار أبو تمام حيث يقول لمن يستهديه فرواً يستظهر به على سفره:

فـأَنـتَ العـليـمُ الـطَّبُ أيُّ وَصيَّـةٍ بهـا كان(1) أَوصَى في الثِّيـاب المُهلَّبُ

[128] وكان يزيد بن المهلب يقول: لضربة بسيف في غزو أحبّ إليّ من ضربة بسوط في ذل.

وكان يقول لإخوانه استكثروا من الحمد، فإن الذّم قلَّ من ينجو منه.

فصل

فيما صدر منها في أيام العباسية عن ملوكهم وملوك زمانهم.

[129] كان أبو العباس السفاح يقول: ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا،

---

[125] التمثيل والمحاضرة 134.

[126] التمثيل والمحاضرة 134، اللطف واللطائف 22، الإعجاز والإيجاز 7، أحاسن المحاسن ق 10.

(1) زيادة مناسبة.

(2) المصادر: كان.

[127] شرح الصولي لديوان أبي تمام 329/1 رقم 21.

(1) إضافة من الديوان لإقامة البيت.

[128] التمثيل والمحاضرة 134، الإيجاز والإعجاز 17.

[129] التمثيل والمحاضرة 134، أحاسن المحاسن ق 10، الإيجاز والإعجاز 19، اللطف واللطائف 22، خاص الخاص 277، نهاية الإرب 8/6.

وأولياؤنا خالون من حسن آثارنا.

[130] وقال عبد الصمد بن علي للسفاح: إذا قتلت أكفاءك [من قريش][1]، فمن تباهي بملكك؟

[131] وأراد الرشيد سفراً فقال جعفر بن يحيى: تثقل المؤونة يا أمير المؤمنين، قال: ومتى خفت مؤونتنا؟ فبلغ ذلك ملك الروم فقال: هذا والله من كلام الملوك.

[132] وقرأ الرشيد يوماً حكاية الله تعالى عن فرعون ﴿أليس لي مُلك مصر﴾ (الزخرف 51) فقال: والله لأولينها أحسن خدمي، فولّاها الخَصيب، وكان على الوضوء.

[133] وكان المأمون يقول: إنّما تطلب الدنيا لتملك، فإذا ملكت فلتوهب. وكان يقول: إنما يستكثر بالذهب والفضةَ من يقلان عنده.

[134] وكان الحسن بن سهل يقول: الشّرف في السَّرف.

[وقيل له: لا خير في السَّرف]، فقال: لا سرف في الخير فردّ اللفظ، واستوفى المعنى.

وتعرض له رجل فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنت إليه عام كذا، فقال الحسن: مرحباً بمن توّسل إلينا بنا.

[135] وكان بكر بن عبد العزيز[1] يقول ما رأيت أحداً قطُّ في داري،

---

[130] التمثيل والمحاضرة 135.

[131] أحاسن المحاسن ق 10، اللطف واللطائف 23، لطائف اللطف 38.

[132] أحاسن المحاسن ق 10، لطائف اللطف 38، ربيع الأبرار 236/4.

[133] اللطف واللطائف 23، التمثيل والمحاضرة 135، الإيجاز والإعجاز 20.

[134] التمثيل والمحاضرة 135-136، الإيجاز والإعجاز 25، أحاسن المحاسن ق 10.

[135] من غاب عنه المطرب 237.

(1) بكر بن عبد العزيز: بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي (285 هـ): شاعر، من بيت رئاسة ومجد: ابن الأثير 158/7، النجوم الزاهرة 113/3، الاعلام 65/2.

ولا على بابي ليس لي عنده إحسان، إلّا استحييت منه.

[136] وكان رافع بن هرثمة يقول والله ما أُريد المُلك إلّا لولي أرفعه وعدو أضعه.

[137] وكان عضد الدولة(1) يقول: الدنيا أضيق من أن تسع ملكين.

[138] وكان شمس المعالي قابوس بن وشمكير(1) يقول: إنما لذّة الملوك فيما لا تشاركهم فيه العامة من الحل والعقد، والأمر والنهي، وحسن السياسة، فتح البلاد، وقمع الأعداء، فأما ما تشاركهم فيه العوام من الأكل والشرب والتمتع فلا ينبغي لهم أن يعبأوا به ويعدوه في الملاذ.

فصـــل

في كلمات للملوك تشتمل على حسن التقسيم

[139] كان أنوشروان يقول: يوم الريح للنوم، ويوم الغيم للصيد، ويوم المطر للشرب، ويوم الشمس للحوائج.

[140] ولما ورد قتيبة بن مسلم خراسان قال: من كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم(1) فلينبذه، وإن كان في فمه فليلفظه، وإن كان في جوفه فليقذفه، وإن كان في صدره فلينفثه، فعجب الناس من حسن ما قسّم وفصّل.

[141] وكان المأمون يقول: الناس أربع طبقات بين إمارة، وتجارة،

---

[137] اللطف واللطائف 23، الإيجاز والإعجاز 25.

(1) عضد الدولة: ترجمته في الهامش 575.

[138] اللطف واللطائف 23-24، الإعجاز والإيجاز 96، الإيجاز والإعجاز 23.

(1) قابوس بن وشمكير (403 هـ) أمير طبرستان والجبل وجرجان، كان قاسياً فخلعه قواده ونصبوا ابنه مكانه. له مؤلفات: يتيمة الدهر 59/4-61، المنتظم 264/7، معجم الأدباء 143/6.

[139] التوفيق للتلفيق 147، لطائف اللطف 31، زهر الآداب 156، غرر السير 607.

[140] الإيجاز والإعجاز 17.

(1) الأصل ابن حازم ـ بالحاء ـ تحريف: عبد الله بن خازم (نحو 80 هـ) أمير خراسان، من الفرسان المشهورين: المعارف لابن قتيبة 418، الوافي 157/17 رقم 143.

[141] التمثيل والمحاضرة 472، برد الأكباد 129.

وزراعة، وصناعة، فمن لم يكن منهم كان كلاً عليهم.

[142] وذكر المأمون يوماً الفواكه فقال: الرمان للكبد، والسفرجل للمعدة، والتفاح للقلب، والبطيخ للمثانة.

[143] وكان محمد بن عبد الله بن طاهر(1) [يقول](2): أربعة لا يُستحيى(3) من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لأمن الإبدال، والدواء للاحتياط، والطِّيب للصيانة.

فصل
في كلمات للملوك في شأن الملك

[144] قال أردشير: إذا رغب الملك عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة. وكان يقول: لا صلاح للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء.

وكان يقول: أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذنباً أو ذنب صار رأساً.

[145] وكان أنوشروان يقول لكل(1) من عماله: لا تحركنّ ساكناً، وسكّن كل متحرك.

وكان يقول: ما ضاع الملك بمثل الإهمال ولا استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا استنزل(2) النصر بمثل العدل، ولا حصنت النعم بمثل

---

[142] لطائف اللطف 41.

[143] برد الأكباد 29، لطائف اللطف 45، التمثيل والمحاضرة 472، نثر الدر 159/4.

(1) محمد بن عبد الله بن طاهر (209-253) أمير ولي بغداد أيام المتوكل. ابن الأثير 251، 252.

(2) إضافة مناسبة.

(3) الأصل: تستحيي، التصحيح من المصادر.

[144] التمثيل والمحاضرة 136، غرر السير 482، ثمار القلوب 178، عهد أردشير 98، 102، الشهب اللامعة 26، ربيع الأبرار 74/3، الآداب ق 21.

[145] التمثيل والمحاضرة 138 [بعضها منسوباً إلى هرمزد]، غرر السير 607.

(1) الأصل: من كل. (2) الكلمة غير واضحة في الأصل.

المواساة، ولا استنجحت الحوائج بمثل الصبر.

[146] وكان سابور ذو الأكتاف [يقول](1): إنما أملك الأجساد لا النّيات، وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

[147] ولما خلعت الفرس أبرويز وملكوا ابنه شيرويه قالوا له: إنّا خلعنا أباك وملكناك، لنستبدل إساءته بإحسانك، فإن فعلت وفيناك حق الطاعة، وإلاّ صارت عليك يد الجماعة.

فقال لهم: احفظوا لي ثمرة الملك أحفظ لكم ثمرة العدل، وافِ لكم بالقول والفعل. ففكّروا فيما قال، فإذا هو قد جمع في كلمة واحدة كل ما يريدون.

[148] وكان المنصور يقول: الملوك يحتملون كل شيء إلاّ ثلاث خلال: إفشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك.

[149] ولما قال العباس بن محمد للرشيد يا أمير المؤمنين إنّما هو سيفُك ودرهمُك، فازرعْ بهذا من شكرك، واحصد بذاك من كفرك، فقال له الرشيد ما أجد للخلافة غير هذين.

[150] وكان المأمون يقول ما انفتق عليّ فتق إلاّ وجدت سببه جَور العمال.

[151] وكان المتوكل يقول: إن الملوك كانت تتصعب على الرعية

---

[146] محاضرات الراغب 167/1، عيون الأخبار 8/1، العقد 25/1، عهد أردشير 56، قوانين الوزارة 176-177، تسهيل النظر 295 [وفي هذه المصادر تتراوح نسبته بين أردشير، وكسرى قباذ.. الخ] ربيع الأبرار 70/3.

(1) إضافة مناسبة.

[147] الإيجاز والإعجاز 15.

[148] زهر الآداب 264، نثر الدر 119/3، التمثيل والمحاضرة 139 [نسب إلى المأمون]، واسطة الآداب ق 252.

[149] التمثيل والمحاضرة 135.

[150] نثر الدر 108/3.

[151] نثر الدر 130/3.

لتطيعها وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني.

فصـــل

في غُرر كلمات للملوك في سائر الفنون

[152] أفريدون: الأيام صحائف آجالكم، فخلدوها أحسن أعمالكم.

[153] أسفنديار: الشكر أكبر من النِّعم، لأنه يبقى وتلك تفنى.

[154]... قـال الناس أفسـد ضيعة، وإن احتملت لم أخـل من جناياتك.

[155] قال عبد الله بن طاهر لأبي العميثل: أما أقللت فضولك أو دخولك.

فصـــل

في نصوص وصايا الملوك ومواعظهم

[156] قال الاسكندر لبعض قواده لا تستحقرن الرأي الجليل يأتيك به الرجل الحقير، فإن الدّرة النفسية لا تستهان لهوان غائصها.

[157] وممّا يستحسن من وصايا أردشير قوله: لا تستشعروا الحقد فيدهمكُم العدوّ، ولا تحبّوا الاحتكار فيشملكم القَحط، وكونوا لأبناء السبيل مأوى تبؤوا غداً في دار المعاد، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا فإنها لا تبقي على أحد ولا ترفضوها، فإن الآخرة لا تنال إلّا بها.

[158] وقال أنوشروان لابنـه هرمز: استقلل الكثير مما تعطي، واستكثر القليل مما تأخذ.

---

[152] التمثيل والمحاضرة 137، الإيجاز والإعجاز 9، زهر الآداب 212.

[153] التمثيل والمحاضرة 136.

[154] في النص نقص ظاهر أذهب بقائله.

[156] الإيجاز والإعجاز 11.

[157] عيون الأخبار 7/1، غرر السير 482، العقد 41/1، عهد أردشير 78 [فيه تخريجات أخرى].

[159] وفي وصية أبرويز لابنه شيرويه: لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم، فيضجوا منك، أعطهم عطاء قَصْداً، وامنعهم منعاً جميلًا، ووسّع عليهم في الرجاء ولا توسّع عليهم في العطاء.

[160] وفي وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري: لا تكن كالبهيمة ترتع طلباً للسِّمن، وإنما حتفها في سمنها.

[161] في وصية عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر والياً: تفقد كتّابك وحاجبك وجليسك، فإن الغائب يعرفك بكاتبك والحاضر يعرفك بحاجبك والداخل عليك يعرفك بجليسك.

[162] وقال الحجاج لقتيبة بن مسلم إذا وجهت عيونك إلى العدو وفاجأك أحدهم بما يسرّك فاعطه وأحسن إليه، وإذا جاءك بما يسؤوك فاضعف له الصلة، لئلا يكتمك كائناً ما كان.

[163] وكان المنصور يقول: إذا مدّ عدوك إليك يده، فإن استطعت فاقطعها، وإلاّ فقبلها!

وخطب يوماً فقال: يا أيها الناس، لا تضمروا غش الأئمة، فإن من أضمر ذلك أظهره الله على سقطات لسانه، [وفلتات](1) أفعاله وفي سحنة وجهه.

[164] ولما وجه المأمون بشر بن داود إلى السند قال له يا بشر احفظ عني ما أقول: لا تحرك ساكناً. وسكّن كل متحرك وإذا ظلمت من دونك فلا تأمن عقاب من فوقك.

---

[159] نثر الدر 8/7، عيون الأخبار 11/1، غرر السير 690.
[160] عيون الأخبار 11/1.
[161] نثر الدر 46/3، عيون الأخبار 51/1، محاضرات الأدباء 101/1.
(1) الأصل: فكتات، تحريف.
[163] نثر الدر 87/3، تاريخ الخلفاء 275.
[164] غرر السير 607 (منسوب إلى أنوشروان) وانظر الفقرة 145.

فصــل
في لطائف توقيعات الملوك

[165] رفع أهل إصطخر(1) إلى أردشير يشكون إليه إمساك القطر وسوء أثر القحط ويشكون حسن النظر، فوّقع:

إذا بخلت السماء بالمطر، جادت سحابة الملك بالدرر. وقد أمرنا لكم بما يجبر كسركم، ويغني فقركم.

[166] ورفع إلى نرسي أنّ الناس ينكرون على الملك تقاعده عن بيت النار الأعظم وإخلاله برسم آبائه في المصير إليه فوّقع:

شغلني جلال خالق النار عن النار.

[167] ورفع إلى بهرام جور أن الرعية يقولون: ليس للملك شغل غير الشرب واللهو والإكباب على العزف والقصف، فوقع: هي آيين الملوك عند سكون الدهماء وخصب الرعية.

[168] ورفع إلى أنوشروان أن الوكيل تزيد نفقته ومروءته على المقدر له فوقع: إن كنتم رأيتم نهراً روى بستاناً أو مزرعة قبل أن يروى فذلك عجب وإن لم تكونوا رأيتموه فما عجبكم من هذا الوكيل.

ورفع إليه عامل «جور»(1) أن آفة البرد أتت على الورد العام، فأعوز اتخاذ ماء الورد، وإقامة وظيفة الخضرة منه كالعادة في كل سنة فوّقع: سلامة النفس والدين تسلي عن كل ذاهب، ولو لم يخلق الورد فكان ماذا؟

---

[165] ربيع الأبرار 234/4، غرر السير 484، عهد أردشير 101-102، الإيجاز والإعجاز 13.

(1) أصطخر: بلدة بفارس، قديمة جداً بها كان مسكن ملك فارس: معجم البلدان [إصطخر 211/1-212].

[167] غرر السير 557-558.

[168] الإعجاز والإيجاز 58، غرر السير 608.

(1) جور مدينة بفارس بناها اردشير، إليها ينسب الورد الجوري فتحها عبدالله بن عامر: معجم البلدان [جور ـ 181/2-182].

[169] ورفع إلى أبرويز أن بعض العمال استدعي إلى الباب فتثاقل عن الإجابة. فوّقع:

إن ثقل عليه المصير إلينا بكله، فإننا نقنع منه ببعضه، ونخفف عنه المؤونة، فيحمل رأسه إلى الباب دون جسده.

[170] ومن معنى هذا التوقيع أخذ المنصور قوله في توقيعه إلى قائد من قواده: ركب محظوراً يا هذا، إن كان رأسك قد أثقلك خففنا عنك.

[171] وكتب سوار بن عبد اللّه[1] ـ قاضي البصرة ـ إلى المنصور يسعى بالسيّد الحميري[2] فوقع في كتابه:

إنّا بعثناك قاضياً لا ساعياً.

ورُفع إليه رجل في التظلم فوقع إلى خصمه: اكفني أمر هذا الرجل وإلّا كفيته أمرك.

[172] ورفع إلى المأمون في بعض شكاية أحد عماله فوقع إليه:

قد كثر شاكوك، وقل حامدوك، وترادف متظلموك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت.

[173] ورفع بعض أصحاب مالك بن طوق إليه يشكو حاله، ويستأذنه لمفارقته فوقع:

---

[169] غرر السير 689.

[170] الإيجاز والإعجاز 19، غرر السير 689.

[171] طبقات الشعراء 35.

(1) سوار بن عبداللّه: ترجمته هامش الفقرة 370.

(2) السيد الحميري: إسماعيل بن محمد بن يزيد (105-173 هـ) شاعر محدث مطبوع، كان من شعراء أهل بيت الرسول ﷺ: طبقات الشعراء، 32-36، الأغاني 7/2-23، الذريعة 1/333-335، الاعلام 1/322.

[172] أحاسن كلم النبي 24 [نسب إلى المنصور]، ربيع الأبرار 3/69 [نسب إلى جعفر بن يحيى].

اصبر على مصاحبة الكريم، وإن اختلّت حاله، فليس ينتفع بالجوهر من لم ينتظر.

[174] ورفع أبو عبد اللّه الشاتلي إلى شمس المعالي[1] يعتذر مما أنكر عليه من اختلافه إلى غيره، فوقع:

قبيح بمن تسمو همته إلى قصد من تغلو، عند قيمته أن تكون على غيره عوجته أو إلى سوى بيته حجه وعمرته.

[175] وكتب أبو علي الحسن بن أحمد[1] إلى فخر الدولة أبي الحسن، في فتح جبل شهريار فوقع إليه:

قد حصلت من إخمادنا في الزمان القصير ما سبقت به أهل التقرب الطويل وستجتني من ثمرة السعادة في ذلك ما يبلغك نهية الإرادة في أحوالك والصاحب يفصل ما تحت هذه الجملة ويخاطبك في الأبواب المهمة إن شاء الله.

[176] ورفع إلى الملك خوارزم شاه بعض المنكوبين من حاشيته، يستقيل عثرته فوّقع فيها:

قد وقفنا عليها والأمور بيد الله، يصرفها كيف يشاء، ولكل أجل كتاب.

فصـــل

في لطائف مكاتبات الملوك، القليلة الألفاظ، الكثيرة المعاني

[177] كتب مروان بن محمد إلى الشيبانيّ الخارجيّ:

---

[174]

(1) شمس المعالي: تقدمت ترجمته في الهامش 138.

[175]

(1) أبو علي الحسن بن أحمد: لم أعثر له على ترجمة.

(2) فخر الدولة: ترجمته في الهامش 296.

[177] الإيجاز والإعجاز 19، اللطف واللطائف 22.

إني وإياك كالحجر والزجاجة، إن وقع عليها رضَّها، وإن وقعتْ عليه قضَّها.

[178] وكتب نقفور ملك الروم إلى الرشيد كتاباً طويلاً في الإرعاد والإبراق فكتب إليه:

الجواب ما تراه لا ما تقرأه.

[189] ولما قتل طاهر بن الحسين المخلوع(1) بعث برأسه وبخاتم الخلافة والبردة والقَضيب إلى المأمون وكتب إليه:

قد بعثت إلى أمير المؤمنين بالدنيا والآخرة والسلام.

[180] وكتب المعتصم إلى المأمون في بعض فتوحه، التي تولاها، كتاباً قال فيه:

وكتابي هذا كتاب منه للخبر، لا كتاب معتّد بالأثر.

[181] ولما ظفر إسماعيل بن أحمد(1) بعمرو بن الليث أراد أن يكتب كتاباً في نهاية الاختصار إلى المعتضد يذكر جملة الحال إلى أن يكتب بتفصيلها، ولم يرض إطالة كتابه فكتب إليه:

أما بعد فإن عمرو بن الليث(2) أصبح أميراً، وأمسى أسيراً، والسلام.

---

[178] اللطف واللطائف 22-23، الإيجاز والإعجاز 19، لطائف اللطف 39.

[179]

(1) في الهامش ـ بخط مغاير: وهو الأمين قتله طاهر بعدما خُلع.

[181] الإيجاز والإعجاز، 22، الإعجاز والإيجاز 88.

(1) إسماعيل بن أحمد بن أسد الساماني، أبو إبراهيم (234-295 هـ): ثاني أمراء الدولة السامانية في ما وراء النهر، ولي بعد أخيه (نصر بن أحمد) وأقره المعتضد بالله في ولايته (279 هـ)، ثم ولاه خراسان، فمع كثيراً من الثورات، وكان يلقب بالأمير الماضي: ابن الأثير 2/8، شذرات الذهب 219/2، الاعلام 308/1.

(2) عمرو بن الليث الصفار: ثاني أمراء الدولة الصفارية قتل سنة 289: ابن الأثير، انظر الفهارس.

[182] ولما ظفر أبو علي الصغاني بماكان بن كاكي(1) وأجلت عنه المعركة قتيلاً كتب إلى نصر بن أحمد(2) في الوقت:

أما بعد: فإن «ما كان» قد صار كاسمه! والسلام.

[183] وكتب أبو فراس الحمداني إلى ابن عمه سيف الدولة(1) عند انصرافه من حضرته إلى وطنه بمَنْبِج(2): كتبت أيّد الله مولانا الأمير من الوطن، وقد وردته ورود السالم الغانم، مثقل الظهر وقراً وشكراً، فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته، وبلغ ذلك أبا فراس وكتب إليه:

هل للفصاحة والسما ... حة والعلى عني مجيدُ
إذ كنت والدي الذي ... ربيتني وأبي سعيدُ
في كل يوم استفيـ ... ـد من العلاء واستزيدُ
ويزيد فيّ إذا رأيتك ... للعُلى خلق جديدُ

فصل

في لطائف الفضلاء في مخاطبات الملوك ومحاوراتهم

[184] قال معاوية لسعيد بن مرّة: أنت سعيد بن مُرَّة؟

قال: أنا ابن مُرَّة وأمير المؤمنين السعيد.

[185] ومثل ذلك ما يحكى عن السيّد بن أنس حين قال له المأمون:

---

[182] الإيجاز والإعجاز 23، الإعجاز والإيجاز 92.

(1) ماكان بن كاكي الديلمي. أنظر: ابن الأثير 8-304 (وقتل سنة 344 هـ): زين الأخبار 43.

(2) مرت ترجمته، الهامش: 40.

[183] ديوان أبي فراس الحمداني: 77.

(1) سيف الدولة ترجمته تحت الرقم 261.

(2) مَنْبج: مدينة قديمة، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. معجم البلدان [منبج] 206/5.

[184] التاج 92، المحاسن والأضداد 14، محاضرات الراغب 67/1، رسوم دار الخلافة 60، نزهة الظرفاء 22، التذكرة الحمدونية 431/1.

[185] التاج 92، المحاسن والأضداد 14، قانون البلاغة 52، ربيع الأبرار 319، التذكرة الحمدونية 432/1، نزهة الظرفاء 21.

أنت السيّد؟ قال: أنا ابن أنس وأمير المؤمنين السيّد.

[186] وقال الحجاج للمهلب: أنا أطول أم أنت؟ فقال: الأمير أطول وأنا أبسط قامة.

[187] والأصل في هذا المعنى ما يروى أنه قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟

فقال: أنا أسنّ ورسول الله أكبر، وقال: إني ولدت قبله وهو أكبر منّي.

[188] ودعا المنصور يوماً الربيع فقال له: يا ربيع سلني فقد سكتّ حتى نطقت، وخففت حتى ثقلت، وأقللت حتى أكثرت فقال:

ما أرهب بخلك، ولا أستقصر عمرك، ولا أغتنم مالك.

[189] ولما بلغ المنصور خروج محمد وإبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن كان في بستان له فرأى شجيرة حين طلعت فقال للربيع ما هذه، وكانت شجرة خلاف، فكره أن يقول خلاف فقال: هذه إجماع يا أمير المؤمنين فاستعقله، وعلم أنها خلاف وتفاءل بالإجماع.

[190] ومثل هذا ما يحكى أن رجلاً مرّ في صحن دار الرشيد وبيده حزمة خيزران فقال الرشيد للفضل بن الربيع: ما تلك بيدك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين. ولم يرد أن يقول الخيزران.

[191] وقال المنصور لبعض أصحاب بني أُميّة(1) فقال: يا أمير المؤمنين من وفّى لمن لا يرجى، كان لمن يُرجى أوفى. فقال صدقت وأمر له بصلة.

---

[186] المحاسن والأضداد 14، نثر الدر 183/2، ربيع الأبرار 684/1، التذكرة الحمدونية 432/1.
[187] الأذكياء 158.
[189] النهاية في فن الكناية ق 207.
[190] الأذكياء 50، أخبار الظراف 44، رسوم دار الخلافة 59، نزهة الظرفاء 24.
[191] الشهب اللامعة 260، العقد 130/2.
(1) كذا في الأصل؛ وفي المصادر تمام الخبر مع ذكر اسم الشخص:
قال المنصور لإسحاق بن مسلم: أفرطت في وفائك لبني أمية؟ قال.. إلخ.

[192] وقال المهدي يوماً لجرير بن يزيد[1]: إني قد أعددتك لأمر. فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الله قد أعدّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على عدّوك.

[193] وقال الرشيد[1] يوماً لمعن بن زائدة: كبرت يا معن، قال في طاعتك، قال وإنك لتتجلد، قال على أعدائك، قال: وإن فيك لبقيةً، قال: هي لك يا أمير المؤمنين. لو قُسّم هذا الكلام على أهل الأرض لاوسعهم فضلاً وأعجزهم شكراً وذلك أنه لا دين إلاّ بك، ولا دنيا إلاّ معك.

فقال: سلني قال: يدك بالعطيّة أطلق من لساني بالمسألة.

[194] وقال المأمون يوماً لأحمد بن أبي يوسف[2]: ناولني السكين فناوله إياها وحدّها مما يلي المأمون، وعلم أنه أخطأ فقال: في نحر عدوك يا أمير المؤمنين.

[195] وقال المعتز يوماً لأحمد بن هارون: هل تحبّ يونس - يعني يونس بن بغا - وكان أحسن أبناء عصره، والمعتز يميل إليه جداً فقال: لا يا أمير المؤمنين قال ولِمَ؟ قال: لأني أُحب من يُحبّك ولا أُحب من تحبّه.

---

[192] عيون الأخبار 92/1، العقد 130/2.
(1) جرير بن يزيد بن خالد القسري البجلي: أديب، شاعر أدرك الرشيد: الوافي 79/11.
[193] العقد 129/2، زهر الآداب 911، ربيع الأبرار 709/1، نزهة الظرفاء 22 الجوابات المسكتة ق 625.
(1) كذا في الأصل، وهو خطأ حيث قتل ابن زائدة سنة 152 هـ (تاريخ بغداد 235/13، شذرات الذهب 231/1) وهذا الحوار جرى مع المنصور كما تشير المصادر.
[194] لطائف اللطف 60 رقم 81.
(1) تحريف، والمقصود هنا: أحمد بن يوسف بن القاسم الكاتب (213 هـ): الأغاني 564/22-571، معجم الأدباء 183/161/5، أخبار الشعراء المحدثين 236/206، الوافي 279/8 رقم 3703.
[195] قارن ببصائر الذخائر 254/7، وفيات الأعيان 354/1.

[196] وقال سعيد بن سلام(1) يوماً لبعض جلسائه وهو في بستان له: أما ترى ما أحسن بستاني فقال: أنت أيها الأمير أحسن منه، لأنه يؤتي أكله كل عام، وأنت تؤتي أكلك كل يوم.

[197] ودخل أبو العميثل يوماً على عبد اللّه بن طاهر فلما قبّل يده قال له عبد اللّه قد آذت خشونة شاربك يدي. فقال له أيّد الله الأمير: إنَّ شوك القنفذ لا يضرّ ببُرثُن الأسد.

[198] ورأى عبد اللّه يوماً على «أبي العميثل» قباء مبطناً بفرو سمور وذلك في الخريف فقال له يا أبا العميثل: ما أعددت للشتاء؟ فقال: خِلَع الأمير، فقال: عجّلوها له.

[199] وقال المتوكل يوماً لمحمد بن الفضل الجرجاني(1) ـ وزيره ـ يا محمد قيل لي إنك مشغول بمحاسن أنسك وندمائك وقيانك، عن إمضاء الأمور والنظر في المهمات. فقال: يا أمير المؤمنين أنا عندي نعمتك، وما أنكر أني أستعين بهزل على جدّ، وبراحة على تعب، فأما التفريط أو الإضاعة، فلو لم أقضِ حق الله وحقّك يا أمير المؤمنين في اجتنابهما، لقضيت حق نفسي بتجنبهما، إذ كان عارهما لاحقاً بي.

---

[196]

(1) هو سعيد بن سلم ـ حفيد قتيبة بن مسلم الباهلي. (217هـ): تولى سعيد أرمينية والموصل والجزيرة وغيرها: تاريخ بغداد 47/9، الوافي 225/15، رقم 313.

[197] ثمار القلوب 384 رقم 602، البصائر والذخائر 130/4.

[198] لطائف اللطف 76 رقم 120، الجوابات المسكتة ق 25.

[199] الإيجاز والإعجاز 26، الإعجاز والإيجاز 102، نكت الوزراء: 57، تحفة الوزراء 47.

(1) الجرجاني تحريف: الجرجرائي (251 هـ) كان شيخاً ظريفاً، حسن الأدب، عالماً بالغناء: معجم الشعراء 378، الوافي 324/4 رقم 1878.

فصــل

في أقاويل الملوك في السياسة

[200] كانت آراء الملوك والحكماء اجتمعت على [أن][1] السياسة شدّة من غير عنف، ولين من غير ضعف، وهذه كلمة متشارك[2] فيها، لحسنها، وبراعتها، ووقوعها أحسن مواقعها.

[201] ويحكى أيضاً عن عدّة في الملوك ـ منهم أنو شروان . أنهم قالوا لولاتهم وأولياء عهودهم: سوسوا الأحرار والأشراف باللين والعطف، والأنذال والأرذال بالغلظ والعنف، وامزجوا للعامة الرغبة بالرهبة واللين بالشدّة.

[202] ومن أحسن ما سمعت في هذا المعنى ـ نظماً ـ قول عبد اللّه بن طاهر ـ وهو ملك ابن ملك ابن ملك ـ.

إذا كنتمُ للنـاس أهل سيـاسـةٍ　　فسوسوا كرامَ الناس بالرفق والبذلِ
وسوسوا لئامَ الناس بالذلّ يصلحوا　　على الذّل إنّ الذل أوفق للنّذلِ

[203] وسئل أنو شروان عن السياسة فقال: استجلاب محبّة الخاصة بأكرامها، واستبعاد[1] العامة بأنصافها.

[204] وسئل زياد عن السياسة فقال: الشدّة على المريب، واللين

---

[200] قارن بـ: عين الأدب والسياسة: 135.
(1) زيادة مناسبة.
(2) الأصل: متشاركة.
[202] تسهيل النظر (السيّد) 285 (السرحان): 269، نصيحة الملوك 377، عين الأدب والسياسة 136.
[203]
(1) كذا تحريف، والمقصود هنا: استعباد العامة.

للمحسن، وصدق الوعد والوعيد، وإطلاق الأرزاق في أوقاتها، وتسهيل الإذن لرسل أصحاب الثغور، وطراق الليل.

[205] وسأل الوليد بن عبد الملك بن مروان أباه عن السياسة ما هي؟ فقال: احفظ عني يا بني: هي هيبة الخاصة مع صدق مودها ، واقتياد قلوب العامة بإنصافها واحتمال هفوات الصنائع.

[206] وسأل الوليد أيضاً الحكم بن نوفل عن السياسة؟ فقال: الرفق بالخاصة وترك الاضرار بالعامة فقال: أين أنت عن ترك الظلم وإدامة البرِّ؟

---

[205] بهجة المجالس 335/1، الشهب اللامعة 262، عيون الأخبار 10/1، تسهيل النظر 266، نثر الدر 15/3، التذكرة الحمدونية 293/1 رقم 796.

الباب الرابع

في السياسة وأقاويل الملوك وغيرهم ومواعظ الحكماء للملوك في إقامة شروطها

فصـــل
في وصف الملوك بسياستهم

[207] كتب ملك الروم إلى سابور ذي الأكتاف يسأله عمّا ضبط به ملكه، فكتب إليه: إني ضبطته بثماني[1] خلالٍ، لم أهزل في أمر ولا نهي، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ووليت للغناء لا للهوى، وضربت للأدب لا للغضب، وأودعت قلوب الرعية هيبة لم يشبها مقت، ومودة لم يتداخلها جرأة، وعممت بالكفاية والقوت، ومنعت الفُضُول.

[208] وكان معاوية يقول لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين النـاس شَعرة مـا انقطعت، قيل وكيف ذاك؟ قال كنت إذا مدوها خليتها، وإذا خلّوها مددتها!

وقال يوماً لزياد أنا أسوس أم أنت؟ فقال أتجعل رجلاً خبط الناس بسيفه، كمن ساسهم بالرفق واللّطف حتى سمعوا له وأطاعوه؟

[207] العقد 24/1، عيون الأخبار 10/1، نثر الدر 84/4، بهجة المجالس 337/1، تسهيل النظر: 292، التذكرة الحمدونية 400/1 رقم 1046، الجوهر النفيس 87، نهاية الأرب 43/6-44.

(1) الأصل: بثمان.

[208] الأداب ق 23، العقد 25/1، عيون الأخبار 9/1.

[209] وكتب الحجاج إلى المهلب يأمره أن يكتب إليه بسيرته في السياسة فكتب إليه: إني أيقظت رأيي وأنمت هواي، فأدنيت السيّد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلّدت الخراج الموفّر لأمانته، وقسّمت لكل خصم من نفسي قسماً يعطيه حظه من نظري، فخاف المريب صولة العقاب، وأيقين المحسن بحظه من الثواب.

فصل
في غرر الحكماء والبلغاء في السياسة والساسة

[210] كان يقول أسوس الملوك من قاد أبدان رعيته إلى طاعته بقلوبها.

[211] وممّا وقع الإجماع عليه أن أسوسهم من جمع الهيبة والمحبة.

[212] وكان يقال إنّ الملك السائس يرحم ما وسعت الناس النعمة ويعاقب إذا أصلحتهم النقمة، فإنّ الله قرن وعده بوعيده، وجوده بباسه.

[213] ومن أحسن ما سمعت في وصف السياسة نثراً قول الصاحب(1) في وصف بعض الملوك: قد صرف رعاياه بين خشونة إيعاده ولين معاده وأراهم بريق حسامه مشفوعاً ببروق إنعامه.

[214] وذكر المبرد أن أحسن ما قيل في المدح بالسياسة قول أشجع السّلمي في إبراهيم بن عثمان بن نهيك، وكان على الشرط، للرشيد:

في سيف إبراهيم باسٌ واقعٌ   لذوي النفاق وفيه أمنُ المسلمِ
ويبيت يكلأ والعيونُ هواجعٌ   مال المضيع ومهجة المستسلم

---

[209] عيون الأخبار 10/1 [نسبه إلى الوليد والحجاج].
[213]
(1) الصاحب بن عباد: تقدمت ترجمته في الهامش ٣٨.
[214] الأغاني 34/17-35، زهر الآداب 1007، شعر أشجع السلمي 250/251 فيه تخريجها. =

ليـلٌ يـواصله بضـوءِ نهـاره		يقـظان ليس يـذوقُ نـومَ النُـوَّم
شـد الخطام بـأنف كلِّ مخـالفٍ		حتى استقام له الـذي لم يخطم
لا يُـصـلِحُ الـسـلطانَ إلاّ شِـدّةٌ		يغشى البرىء بفضلِ ذنب المجرمِ
أوضحت قـارعـة الـطريق لأهلهـا		فاستوثقوا[1] لك في الصراط الأقوم
ونهجت من حزم السياسـة منهجاً		فهِّمتَ مـذهبـه الـذي لم يفهم
منعت مهـابتُك النفـوسَ حـدثتهـا		بـالأمـر تكـرهـه وإن لم تَعلَمِ

[215] وسمعت أبا بكر الخوارزمي[1] يقول: لله درّ الأعرابي الذي وصف سياسة أمير فقال: كان والله إذا ولي لم يطابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم، شاهد لهم، فالمحسن راجٍ والمسيء خائف.

[216] وفي كتاب المبهج من أحسن سياسة نفسه وأهله، كان أهلاً لسياسة الناس.

[217] وسمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن رملة الهروي يقول: سأل الأمير السديد أبو صالح منصور بن نُوح[1] رحمه الله وزيره أبا جعفر أحمد بن الحسين العتبي عن السديد، وملاك أمر الملك، فقال له لان [لأبي] زيد البلخي[2] كتاباً في السياسة، شافياً كافياً، إن رسم الملك ترجمته... أمرت

= (1) الأصل: فاستوسقوا، والتصويب من المصادر.

[215] عيون الأخبار 13/1.

(1) أبو بكر الخوارزمي: محمد بن العباس الطبري، الخوارزمي (383 هـ) أديب، لقي سيف الدولة، مدح الأمراء والوزراء، وهو أستاذ الثعالبي: اليتيمة 194/4-241، درج الغرر 40-42، الوافي 191/4/196.

[217]

(1) منصور بن نُوح بن نصر الساماني (366 هـ): أمير ما وراء النهر، ولي بعد وفاة أخيه عبد الملك (سنة 350 هـ). توفي في بخارى: ابن الأثير 223/8، النجوم الزاهرة 111/4، الاعلام 306/7.

(2) أبو زيد البلخي: أحمد بن سهل (235-322 هـ): «فيلسوف، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون. له مؤلفات كثيرة منها في السياسة وغيرها. الفهرست 153 حكماء الإسلام»: 22. =

من أن تعمد لها بسرعة وافق الفراغ منها. فقال دعني من كثرة إطالته وقلة طائله، وأجبني عمّا سألتك عنه على اختصار واقتصار فقال: إن رأى الملك أن يمهلني ريثما أفكر فيه فعل، قال: قد أمهلتك، فارجع إلى منزلك، وخمّر رأيك وشاور أصحابك، ثمّ اكتب ما التمسته منك في درج وائتني به، ففعل أبو جعفر ذلك، وجمع مشايخ الباب، وعقلاء الحضرة، فما زالوا يتحاورون فيه حتّى اجتمعت آراؤهم على أن عمدة السياسة وملاك الملك ورونق السلطان أن تشتّد الهيبة وتكثر المحبة وترتاش الرعية ويستظهر الجيش، وتظهر المروءة وينقمع المتغلبون وتأمن الطرق ويتمكن العمال وتدّر الأموال وتكثر الحمول وتمتلىء الخزائن وتتصل الصلات والخلع وتكثر الوفود والرسل وتدوم الصنائع وتحسن الآثار.

وكتب أبو جعفر هذه الأحرف في قرطاس وعرضه على السديد، فارتضاه وأعجب به ودفعه إلى أخصّ غلمانه الواقفين على رأسه وأمره بأن لا يخلي كيس منطقته منه، فكان يدعو به في الوقت بعد الوقت، ويردّد نظره فيه ويبني أمره عليه ثمّ يردّه إليه.

فصل
في غرر مواعظ الحكماء للملوك

[218] كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر في رسالته السياسية: إن المكافأة واجبة في الطبيعة، فاحذر الإساءة ما استطعت.

[219] وقال بزرجمهر لأنوشروان: ليكن تشميرك للأمر الصغير إذا أردته كتشميرك للأمر الكبير إذا مارسته، فإن الأسد يثب على الأرنب كوثبته على العير.

= ـ الأصل: يدر.

[218] شرح نهج البلاغة 130/4، نثر الدر 74/7-75.

[219] التمثيل والمحاضرة 349.

[220] وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أيها الملك إن زمام العافية بيد البلاء، ورأس السلامة تحت جناح العطب، وباب الأمن مستور بالخوف، فلا تكونن في حال من الأحوال غير متوقع لأضدادها.

[221] وفي يتيمة ابن المقفع: لا تعاجل بالثواب والعقاب، فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجي.

ـ ادعم سلطانك بسد فاقة الأحرار ودفع غائلة الأشرار.

ـ استوف من الرعية الحق ووفها الحظ واعلم أن رأيك لا يتسع كل شيء ففرغه للمهم، وأن مالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به ذوي الحقوق وأن كرامتك لا تعم العامة فتوّخ بها أهل الفضل وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك فاشغلهما باعودها عليك.

[222] وقال عمرو بن عبيد للمنصور: يا أمير المؤمنين إنّ الله أعطاك الدنيا بأسرِها فاشترِ نفسَك منه ببعضها.

[223] وقال ابن السماك للرشيد يا أمير المؤمنين احذر أن لا يكون لك في جنة عِرضها السموات والأرض موطىء قدم.

---

[221] الأدب الكبير 47، التذكرة الحمدونية 289/1 رقم 787.

[222] عيون الأخبار 337/2، أنساب الاشراف 233/3-234، نثر الدر 64/7 رقم 19، زهر الأداب 102-103، بهجة المجالس 335/2، التذكرة الحمدونية 219/1 رقم 543. ربيع الأبرار 224/4.

[223] الاقتباس من القرآن الكريم 210.

الباب الخامس

في أخلاق الملوك وعاداتهم ورسومهم المحمودة والمذمومة

فصل
في فضل العدل الذي هو أفضل أخلاق الملوك

[224] بالعدل استقامت السّموات والأرض، وهو عند كافة أهل الملل والنحل وأصحاب الدول من العرب والعجم، قوام الدّين، وعمدة الملك، وأس السياسة، بل هو السياسة الكبرى، والفضيلة العظمى، ومن يحصي ما للملك العادل من المحاسن، وما للخلق فيه من المرافق والمنافع ومن يشكّ في أنه[1] إذا آثر العدل، واستمر عليه، واشتهر به، وأعطاه حقوقه، ووفاه شروطه، أجلّه من فوقه من الملوك، وعظّمه أكفاؤه، وهابه أعداؤه، وازداد طاعة له أولياؤه، وأحبّه من لم يكن من رعيته، فكيف رعيته، ووالاه من لم يره، وشايعه من سمع خبره، وفاز بنعيم[2] العاجلة، وثواب الآجلة، وإذا مال عن العدل، واتسم بسمة الجور، جرت أحواله كلها على الضد ممّا تقدم ذكره وساءت بسياسته والشأن في أن العدل أكثر استدراراً للأموال من الجور الذي يؤدي إلى محقها. ويسدّ أبواب ارتفاعها وما أحسن ما قال

[224]
(1) كرر الناسخ هذه العِبارة.
(2) الأصل: بنعيهم.

=

يحيى بن خالد[3]: الخراج عمود الملك وما اسْتَغزز بمثل العدل، ولا استنذَر بمثل الجَور.

[225] فصول قصار من كتاب المبهج صنعة مؤلف هذا الكتاب في ذكر العدل وعوده على من يتحلى به من الملوك بصلاح الدارين:

- إذا عدل السلطان فقد اعتدل الجانف[1]، وأمن الخائف واقتصر الحايف.

- حق الملك العادل على رعيته أن يقتدوه بسنا أبصارهم وسني أعمارهم.

- عدل الملك لدينه أحوط، ولدنياه أضبط ولأوليائه أثبت، ولاعدائه أكبت.

- أحْر بالمَلِك العادل أن يستقرّ سريرُه في سرُّة الأرض.

- إذا ملك العادل، زال الروع وأفرخ، وإذا ملك الظالم عشش الشر وفرّخ.

- الملك العادل مكنوف بعون الله، محروس بعين الله.

- كأنك بالملك العادل وقد جرى القضاء على إيثاره، وأخذله حسن إيثار بثاره.

- إذا عدل الملك فقد سكن حلة الأمن، ولبس حلة اليُمن.

- إذا عقد الملك العادل بالعدل عقيدته، وطوى على الإحسان طويته، فليبشر بالجد الأصعد الأسعد.

- إذا امتثل الملك أمر الله المنان بالعدل والإحسان، دانت له أداني البلاد وأقاصيها وافتتحت باسمه قلاعها وصَياصَيها.

=(3) قارن بـ: عيون الأخبار 13/1، العقد 31/1، الإيجاز والإعجاز 99، عهد أردشير 101 رقم 24، غرر السير 484، تسهيل النظر 227، التمثيل والمحاضرة 146، بدائع السلك 169/1، نصيحة الملوك 342.

[225] المبهج ق 59 ظ - 96 و، التمثيل والمحاضرة 132-133.

(1) في هامش الأصل: الجنف: الميل عن الحق.

فصــل

من كتاب المبهج أيضاً في ذكر الظلم وذمه وسوء عاقبته

[226] أخلق بالملك الظلوم، أن يصير عِظة الرائين وعِبرة الراوين.

ـ لا كان جناح الظالم بالمحن من وجوه المنح والنوائب من أماكن المواهب وبالفتوق من وجوه الفتوح.

ـ كأنك بدار الظالم، وقد دارت عليها دائرة السوء. أخلق بالظالم أن ينهار في جرف هاو.

ـ الظالم مخذول وإن حشر وحشد، ووفر العدد واستجلب المدد وكثر العدد والعادل منصور وإن تفرد وتجرد.

ـ من نتائج الظلم قصر المدة، وانحسام المادة وانقطاع المدد.

ـ أخلق بالظالم أن يكون مقتسراً وماله مقتسماً.

ـ حبل الظالم مبتوك وستره مهتوك.

ـ ظل المال المستثمر من ظلم الرجال، كسحاب تمزقه أيدي الشمال وتفرقه ذات اليمين وذات الشمال.

ـ مال الظلم قيل المعونة والمغوثة، قبيح الذكر والأحدوثة.

ـ الظلم لا يقال صريعه، ولا يساغ ضريعه.

ـ كأنك بالظلمة، وقد كبّوا على مناخرهم وتحكّمت سيوف الحق في متاجرهم.

فصــل

في المشورة وحسن أثرها، وطيب ثمرها

[227] من أخلاق الملوك الأفاضل المشورة التي هي من أركان السياسة

---

[226] المبهج ق 96.

[227] عيون الأخبار 31/1، الشهب اللامعة 162.

وفرائض المملكة، وكان عمر رضي الله عنه يقول رأي الواحد كالخيط الواحد، كالخيط الفرد، والرأيان كالخيط السَّحِيل والثلاثة كالحبل.

[228] وكان الحسن البصري يقول إن الله تعالى لم يأمر نبيه ـ عليه السلام ـ بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى آرائهم، وإنما أراد أن يعلمنا ما في المشورة من الفضل حيث قال تعالى ﴿**وشاورهُم في الأمر**﴾ [آل عمران 159].

[229] وقال حكاية عن الملكة بلقيس: ﴿**ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون**﴾ [النمل 32].

[230] وقال الأصمعي قلت لبشّار بن بُرد: يا أبا معاذ والله ما سمعتُ أحسن من قولك في المشورة:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ ... برأي نصيحٍ أو نصاحة حازمِ
ولا تجعل الشُورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافي قوةٌ للقوادمِ

فقال لي أوما علمت أن المشار بين إحدى الحسنتين؛ بين صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشاركه في مكروهه.

فقلت له: أنتَ في هذا الكلام أشعر منك في شعرك!

[231] وأحسن ما سمعته في المشورة قول أبي عثمان الجاحظ: الشورى لقاح العقل، ورائد الصواب، والمستشير على طرف النجاح.

ـ واستشارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير.

ـ وقد أمر الله بالمشورة أكرم الخلق فقال لرسوله الكريم في كتابه

---

[228] الشهب اللامعة 150، الذخائر والاعلاق 156-157، الظرائف واللطائف 80.

[230] التمثيل والمحاضرة 74، محاضرات الراغب 28/1، المختار من شعر بشار 201، ديوان بشار بن برد 172/4، الظرائف واللطائف 80-81.

[231] التمثيل والمحاضرة 417، 418 [الفقرة الثانية نسبها إلى ابن المعتز]، الشهب اللامعة 151، الظرائف واللطائف 81.

الحكيم: ﴿وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت، فتوكل على الله﴾ [آل عمران 159].

[232] ومن يتيمة ابن المقفع في نصيحة الملك:

لا يقعن في روعك أنك إن استشرت ظهرت منك للناس الحاجة إلى رأي غيرك، فإن أحسن الذكر عند الناس أن يقال إن الملك لا ينفرد برأيه.

[233] وقال مؤلف الكتاب:

وأكثر الملوك يرون المشاورة فرضاً واجباً، وحقاً لازماً للملك الذي يستخدم به العقول، ومن أجله يرتبط الحكماء ونصحاء الوزراء، إذ هو أعظم الأشياء، وأعلى الأخطار، وأجل المراتب، وأولى الأحوال بأن يجعل لها الآراء الصاينة، ويستعان فيها بالأذهان الثاقبة، وله شوائب، وعوارض، ونوائب، لا تداوى إلّا بثمرات الألباب، ونتائج الأفكار.

وليس الملك بمشاورة حذاق الأطباء في حفظ صحته ومرمة عِلته، أجدر منه بمشاورة ثقات الحكماء في تحصين ملكه ومداواة ما يعرض من رأيه، ومما يعدّ في محاسن الملوك السامانية، وارتباطهم مشايخ يجمع كل منهم إلى الحنكة: التحصيل وإلى التجربة الرأي الأصيل وإجراؤهم عليهم الأرزاق السنية ومواصلتهم لهم بالصلات(1) الجزيلة لا لشيء غير الاستضاءة بعقولهم في ظلم الأمور والرجوع إليهم في مشكلات التدابير، فإذا استشاروهم في الخطوب العارضة، والأعداء الناجمة خمّروا آراءهم، وأجالوها، وأجادوا أفكارهم، وأطالوها حتى يحصلوا على لب الصواب ومحض الرأي، ولم تزل دولتهم غَضّة العود معتدلة العمود، ما دامت تلك العادة من سيرهم، ورسومهم المذكورة فحين أخلّوا بها واستبد وزراؤهم

---

[232] عيون الأخبار 31/1.
[233]
(1) الأصل: الصلاة، تحريف.

بالآراء الفاسدة كما قال أبو محمد السُّلمي(2).

قد كان آراؤكم فيما مضى كرة كأنما صنعتها كفّ خراطِ
فالآن سبعون(3) رأياً من وزيركم في السوق لا تُشترى منكم بقيراط

دبّ الفساد في ملككم وسعى وشب ونمى ولحقه الالتياث، وحدثت منه الأحداث حتى مرضت دولتهم، فأعضل داؤها وأعوز شفاؤها، وإذا أراد الله رحلة نعمة عن دار قوم أخطأوا التدبير.

[234] ومما عيب عبد اللّه بن طاهر مع وفور فضله، وكمال عقله، وعدله، وحسن سياسته، وجميل سيرته، أنه كان يترفع عن المشاورة يقول: لئن أخطأت ألف خطأ أحب إليّ من أن أستشير، فالخطأ بعين النقص والحاجة.

[235] وما أبعد رأي عبد الملك بن صالح الهاشمي من الصواب، وأقرب من خرق الإجماع في قوله:

ما استشرت أحداً قط إلّا تكبر عليّ، وتصاغرت له، ودخلته العزّة، ودخلتني الذلة، فإياك والمشاورة، وإن ضاقت بك المذاهب، واستبهمت عليك المسالك وأدّاك الاستبداد إلى الخطأ الفادح، لا جرم أنه لاستبداده برأيه، وترك مشاورة نصائحه، أقدم على ما أوحش الرشيد، فحبسه حتى أطلقه الأمين بعد موته.

=(2) البيتان في: اليتيمة 92/4.
وأبو محمد السلمي من شعراء اليتيمة، لم يدركه الثعالبي، ووصفه «يحسن التصرف في ملح الشعر، كثير النوادر، لا يسقط له بيت واحد»: اليتيمة 91/4-93.
(3) اليتيمة: تسعون.
[234] الظرائف واللطائف 83، الجوهر النفيس 125 [منسوباً إلى عبد الملك بن مروان]، بهجة المجالس 455/1.
[235] الظرائف واللطائف 82-83 (باختصار).

فصـــل
في العفو والأخذ(*)

[236] العفو من أفضل الأخلاق، وللملوك الأفاضل وأعودها عليهم في العاجل والآجل، لأمر ما قيل «عفو الملك أبقى للملك»(1) وذلك إن الملك إذا تكرم بالعفو عن المذنبين من أصحابه وقواده ممن لم يقدحوا في ملكه، ولم يتعرضوا لحرمه، ولم يقدموا على إفشاء سرّه، اشتدّت محبتهم له وظهرت موالاتهم إياه، وازدادت شفقتهم عليه، فبذلوا الجهد في مناصحته والذبّ عن سلطانه، وامتثال أوامره، وإذا لم يأخذ نفسه بالعفو وأخذته العزة بالإثم وأسرف في العقوبة والقتل فسدت نياتهم، وساءت آراؤهم فسعوا في هدم ملكه، والإتيان على نفسه، وما أكثر أساطير الأولين في ذلك.

[237] وقليل العيان أصدق عندي من كثير يقص في الأنباء: هذا قابوس بن وشمكير شمس المعالي(1) بالأمس(2) عن السياسة كلها في إراقة الدماء وإخافة الأولياء وكان لا يعرف العفو، ولا يرى التجاوز، ويديم القتل على التهمة، حتى خافه كل بريء واستحال عدو كل ولي، وتساوت أقدام قواده وحاشيته وبطانته في الاستيحاش منه، والانطواء على كل مكروه، فصاروا يداً واحدة في خلعه وإزالة أمره، ومع الذي سقت الكلام إليه، فالقتل في أماكنه كالعفو في مواطنه والقتل [أقل](3) للقتل كما قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة، يا أولي الألباب﴾ [البقرة 179].

(*) الأصل: الأخد ـ بالدال المهملة.

[236]

(1) التمثيل والمحاضرة 411.

[237] قارن بـ: تاريخ ابن العبري 178-179.

(1) قابوس بن وشمكير: تقدمت ترجمته في الهامش 138.

(2) ثمة انقطاع يسير في الأصل، والسياق يوضح المعنى.

(3) كذا في الأصل، ووضع الناسخ إشارة شك، والآية توضح المعنى المطلوب.

[238] وقد أحسن أبو الطيب المتنبي في قوله:

لا يسلم الشَّرفُ الرفيعُ من الأذى حتّى يـراقَ على جَـوانِبِـه الـدَّمُ

ومن لم ينفعه الصفح الجميل، نفعه السَّيف الصقيل.

[239] وقال بعضهم: إذا الخير لم ينفعك، فالشر نافع، والسّر في إيقاع الملك كلًا من الأمرين موقعه وإصابته موضعه.

[240] وممّا ينبغي للملك أن لا يعرف بلين الجانب وسلامة الصَّدر وخفة السَّطو ودوام العفو فتقل الهَيبة له، وتكثر الجرأة عليه، كما لا ينبغي أن يعرف بغلظ القلب، والبسط في البطش، والإسراف في القتل، فتنبو القلوب عنه وتسوء الظنون به، وتدبّ الغوائل إليه.

[241] ومن الملوك مَنْ في طبعه العفو عن المذنبين كالمأمون، فإنه كان يقول أنا والله ألذّ العفو، حتى أخاف أن لا أُوجر عليه، ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا إليّ بالذنوب.

[242] ومنهم من لا يعرف من العقاب إلّا ضرب الرقاب لما في طبعه من محبة سفك الدماء وقل من كان كذلك إلّا كان القتل عاقبة أمره كأحمد بن إسماعيل الساماني[1] ومرداويج بن زيار الجيلي[2] وغيرهما من أجلة الملوك.

فينبغي للملك إذا عثر من أصحابه على جريمة، أن يتثبت في أمره، ويأمر بحبسه إلى أن يسكن[3] عنه الغضب ساكنه، فينسب ما يكون منه

[238] شرح ديوان المتنبي للبرقوقي 252/3.
[241] العقد 60/6، نثر الدر 113/3.
[242]

(1) أحمد بن إسماعيل الساماني: أبو نصر (301 هـ): من أمراء بني سامان، تولى سنة 295 هـ بعد وفاة أبيه، كان طموحاً عالي الهمة. ذبحه بعض غلمانه ولقب بالشهيد: ابن الأثير 25/8، الاعلام 96/1.

(2) مرداويج بن زيار الجيلي، من ملوك الديلم أخباره: ابن الأثير (تنظر الفهارس).

(3) الأصل: يسكت.

حينئذ إلى الرأي الصائب لا إلى غضبة أمضاها وحاجة من حاجات الانتقام في نفسه قضاها.

[243] هذا ومن أسرار الملك، أن الملك لا يستحكم هيبته، ولا تكمل سياسته، ولا يفخم سلطانه، ما لم يفتك برجل كبير من قواده، ورأس عظيم من رؤساء عساكره، إذا شمّ منه رائحة العصيان، وشام فيه بارقة الخلاف، كما فعل عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد، والمنصور بأبي مسلم، وعبد الملك بن نوح[1]، بالفتكين[2] والسلطان المعظم ناصر دين اللّه وحافظ عباد اللّه بعلي القريب وغيرهم من الملوك، بغيرهم من الجبابرة، فإنه إذا ذهب مع الحزم في ذلك، وأمضاه بعد التأني والروية، وأخذ الاهبة، وبعد الاستخارة والاستشارة، اتعظ زيد بعمرو، وبعدت مطارح الهيبة والحشمة، واستقامت قناة المملكة.

فصـــل
في مدح الجود وذم التبذير

[244] معلوم أن الجود من أفضل الأخلاق وأعظمها وأشرفها لأنه من صفات الله سبحانه، وأحق الناس به الملوك، لقدرتهم عليه، وتوغلهم[1] في ذرى المعالي[2]، ووقوف جلائل أمورهم، ومعاظم شؤونهم عليه.

[245] وكان يقال: إذا جمع الملك العادل، العدل الشامل، والمال الوافر، والجود الغامر، والوزير الناصح عسر على الملوك إدراك شأوه.

---

[243]

(1) عبد الملك بن نوح: أبو الفوارس (349 هـ) تولى السلطة سنة 343 هـ بعد وفاة والده لقب بالرشيد: زين الأخبار 42-46.

(2) الفتكين صاحب الخزينة: قتل سنة 345 هـ: زين الأخبار 44.

[244]

(1) الأصل: توقلهم.

(2) الأصل: المعال.

[246] ومما استحسنه غاية الاستحسان في السياسات قول بعض الحكماء: ما كان في الملك، فلا ينبغي أن يكون فيه خمس خصال: البخل والكذب والحدّة والحسد والجبن، فإنه إذا كان بخيلاً لم يحبه ولم يناصحه أحد، ولا يصلح الملك إلّا بالمحبة والمناصحة، وإذا كان كذوباً لم يرج وعده، ولم يخش وعيده[1].

ولا يطرد أمر الملك إلّا بالرجاء والخوف، وإذا كان حدّياً مع القدرة هلكت الرعية، وإذا كان حسوداً لم يشرف أحداً، ولم يرفع منه، ولا يصلح الناس إلّا على أشرافهم وإذا كان جباناً اجترأ عليه عدّوه، وضاعت ثغوره.

[247] وذاكرتُ يوماً بنيسابور أبا الفتح علي بن محمد البستي الكاتب بقولي في كتاب المبهج: بخيل الملوك دخيل فيهم، فأعجب به، ثمّ أنشدني لنفسه:

إذا ملك لم يكن ذا هِبه فدعه، فدولته ذاهبه

[248] وسمعته يقول: ترجمت يوماً للأمير ناصر الدين أبي منصور سبكتكين[1] قول بعض الحكماء: ينبغي للملك أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير، وحافظاً لا يبلغ البخل، وشجاعاً لا يبلغ التهور، ومحترساً لا يبلغ الجبن، وقائلاً لا يبلغ الهذر، وصموتاً لا يبلغ العي، وحليماً لا يبلغ العجز.

قال فاستحسنه جداً، وكان كثيراً ما يستعيدنيه لإعجابه به، وإيثاره أن تبنى أموره عليه.

[249] قال مؤلف الكتاب: كما أن الجود من أخلاق الملوك

---

[246] برد الأكباد 137 (نسب إلى مزدك).
(1) في النص أخطاء صححت من برد الأكباد.
[247] ديوان البستي: 228، المبهج ق 94.
[248]
(1) سبكتكين أبو منصور ترجمته هامش الفقرة (270).

المحمودة، فالتبذير من عاداتهم المذمومة لأن المال للملوك فريضة وللرعية نافلة وقوة الملك بالجند وقوة الجند بالمال، ومن أعظم آفات الملك أن يركب الهوى في الإطلاقات، والإنفاقات، وتوسعة الإقطاعات، وتحكيم السكن في تفخيم الصلات والسفر في إتلاف المال على البنيان، وبذل الرغائب في أثمان القيان، فيتعذر عليه أن يدّخر ذخيرة لنوائبه، أو يستفضل شيئاً من ارتفاع مملكته، فلا تزول مؤونة تزيد، ومواده تنقص حتى ينهتك الستر، وتزول الحشمة، وتسقط الهيبة، ونعوذ بالله من الجَور بعد الكور.

[250] وفي يتيمة ابن المقفع، ليس إعطاؤك من هو أهل للعطاء، بأقرب إلى الرشد، ولا أعظم للأجر، من منعك مستحقاً للمنع.

[251] وكان الرشيد يقول لم أُمدح بأحب إليّ من قول أبي العتاهية:

إنّ لله خازناً من بني العباس   في الأرض موطناً للسماحِ
عارفاً للعطا والمنع يستو   فيهما في مواضع الإصلاحِ

[252] قال بعض السلف: لو كان شيء يشبه الربوبية، لقلت: إطعام الناس. وما أقل من يوصف من الملوك بهذه المكرمة الشريفة،وما أكثر من يجود منهم بالصلات الجسام ويبخل بأدنى الطعام.

[253] فمنهم محمد الأمين المخلوع وهو خليفة ابن خليفة ابن خليفة ابن خليفة. وكان يهب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ويبخل بالرغيف الواحد على ندمائه ويسقيهم على الريق طول أيامه.

[254] ويحكى أن بعضهم ممن بلغ به الجود كل مبلغ، وشاع عليه أثر الشرب في مجلسه من غير أكل، اشترى سرّاً من بعض الخدم (1) بزماورد بمائة دينار وأكلها عند دخوله المتوضأ، فلما خرج وعاد إلى مكانه

[251] أحاسن المحاسن ق 11 ظ.

[254]

(1) كلمة غير واضحة لعلها: لغة بزماورد ـ والبزماورد فارسية معربها: الرقاق الملفوف باللحم.

أنكر عليه المخلوع تماسكه، وقال قد رجعت بغير اللون الذي ذهبت به، وما أشك في أنك أكلت شيئاً ثم أمر به فقِيء.

[255] ومنهم أبو دُلَف القاسم بن عيسى، فإنه أول من كان يهبّ ـ بعد الخلفاء ـ لشاعر من الشعراء مائة ألف درهم، وكان من الجود والكرم بحيث يضرب به المثل، وكان مع ذلك لا يمكنه أن يكتحل من يكسر رغيفاً له بين يديه، ويعرف هذا العيب الشنيع من نفسه وفي طبعه فيقول: دعوت الله ستين سنة أن يذهب عني البخل بالطعام فما استجاب دعوتي بعد، وأرجو أنه يفعل.

[256] وفيه يقول الشاعر:

أبـو دُلَفٍ يجـود بـألف ألفٍ ... ويبخـلُ بالـطَفيف من الرغيفِ
أبـو دُلَـفٍ لمـطبـخـه قتـارٌ ... ولكن دونـه قـرع الـسيـوفِ

[257] وقد وقع الاتفاق وتقرر الإجماع، وشاعت الأخبار، وشهدت الآثار، بأنه ليس اليوم في ملوك العصر أوسع رَحلًا وأخصب وجهاً وأدوم قرى وأظهر فيه مروءة، وأجمع بين الإنعام التام، والإطعام العام من مولانا الملك(1) حرس الله دولته وهذه إحدى فضائله المشهورة ومحاسنه الكثيرة، فأدام الله له جمال هذه الحال ما تأدت البِكر إلى الآصال.

فصـــل
في كبر الهمّة

[258] أولى الناس بكبر الهمة وارتفاعها الملوك، وما شيء أقعـد

---

[255]

(1) أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي (226 هـ): أمير الكَرَج ـ بالجيم ـ أحد الأمراء الشجعان، شاعر، كان من قادة جيش المأمون، له مؤلفات: الأغاني 248/8، تاريخ بغداد 416/12، سمط اللآلي: 331.

[257]

(1) الملك: مأمون بن مأمون: تقدمت ترجمته في الهامش 2.

[258] قارن بالخراج وصناعة الكتابة 443-444.

بالملك من صغر همته، وقد تقدم من أقاويل الملوك الدالة على كبر هممهم، وارتفاع أخطارهم، ما فيه غنية عن الإعادة.

[259] وأحسن ما سمعت في بعد الهّمة قول بعض السادة لابنه: يا بني لا تكونن لك همة دون الأمد الأقصى في طلب دِين أو دنيا، فإن العاقل لا يرضى لنفسه إلّا بإحدى منزلتين: أما أن يكون في أبعد الغايات من طلب الدنيا أو في الغاية القصوى من الترك لها.

[260] وأحسن ما سمعت في المدح قول بعضهم:

لـه هممٌ لا منتـهى لـكبـارِهـا   وهمته الصغرى أجـلّ من الدَهـرِ
لـه راحةٌ لـو أن معشار جـودِهـا   على البر صار أكبر وأندى من البحر

[261] وكانت العجم تقول في بعد الهمة وكبرها يكون النصب، فجاء أبو الطيب المتنبي فكسى هذا المعنى الشريف شعاراً أنيقاً من عبارته، فقال لسيف الدولة(1)، وأحسن ما شاء وأجاد:

كـلُ يومٍ لـك ارتحالٌ جـديدٌ   ومسيـرٌ للمجـد فـيـه مقـامُ
وإذا كـانت النـفـوسُ كبـاراً   تعبت في مـرادِهـا الأجسـامُ

[262] وحدّث المبرّد قال: أمر المنتصر يوماً لرجل من المرابطين بخمسمائة درهم، فقال له أحمد بن الخصيب: لا ينبغي للملك أن يجري على لسانه وقلمه عدداً أقل من الألف.

[263] ورفع إلى المأمون أن العباس ابنه قال لـوكيله: رأيت في الرصافة بقلاً هشاً فخذ لنا منه بنصف درهم. فاسترجع المأمون وقال: إذ قد عرف أن للدرهم نصفاً فلن يفلح أبداً!.

---

[261] لباب الأداب 103/2، ديوان المتنبي 343/3.

(1) سيف الدولة: أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان (303-356 هـ): أمير من أسرة عريقة في الإمارة والأدب والجود. يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهـر: اليتيمة 27/1، المنتـظم 241/7، وفيات الأعيـان 401/3-406.

[263] نثر الدر 112/3.

=

وشتّان ما بين العباس وأبيه المأمون[1]: فقال المأمون اهدوا له ما يكون مائة ضعف لها ليعلم عزّ الإسلام ونعمة الله علينا، فامتثل أمْره: فقال وقد أعدّوها ما أعزّ الأشياء عندهم قالوا: المسك والسمور والفيروزج قال فكم في الهدية منها؟ قالوا: مائة رطل من المسك، ومائتان من جلود السمور، ومائتان من خواتم الفيروزج فقال: بلغوا بكل منها ألفاً وضموها إلى سائر الأشياء ففعل.

فصل
في كتمان السّر

[264] من أخلاق الملوك كتمان السر لما في ذلك من الحزم والاحتياط على الملك، والأصل فيه قول النبي ﷺ: استعينوا على حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود.

[265] وكان بعض ملوك فارس يقول لقواده ووزرائه: صونوا أسراركم، فإنه لا سرّ لكم إلاّ في ثلاثة مواضع: مكيدة تحاول أو منزلة تزاول أو سريرة مدخولة تكتم، ولا حاجة بأحدكم إلى ظهور شيء منها.

[266] وأوصى ملك صاحب جيشه فقال: اعمل على أن كل من في عسكرك عين عليك لعدوك.

[267] وكان يقال من وهن الأمر إعلانُه قبل إحكامِه، ومن ضاع قلبه اتّسع لسانه.

=(1) انقطاع في الأصل، ولعل الإشارة هنا إلى الهدية التي أرسلها ملك الهند إلى المأمون انظر: التحف والهدايا 159-165، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس: 50.

[264] انظر الحديث: عيون الأخبار 119/3، العقد 120/1، بهجة المجالس 319/1، تسهيل النظر (السيد) 159، (السرحان) 89، نصيحة الملوك 248، الأمثال والحكم 117، مجمع الزوائد 195/8، الجامع الصغير 150/1.

[265] عيون الأخبار 40/1.

[267] الامتاع والمؤانسة، 147/2، تسهيل النظر 163، التمثيل والمحاضرة 420، الظرف والظرفاء 105، عيون الأخبار 40/1.

[268] وكان بعض الملوك يقول: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإذا لم أتكلم بها ملكتها.

[269] وكان معاوية يقول أُعنتُ على علي رضي الله عنه بخلالٍ منها أنه كان رجلاً ظهرةً علنة أي لا يكتم سرّه بل يظهره ويعلنه، وكنت كتوماً لأمري.

[270] وسمعت أبا الفتح البستي يقول: لم أر ملكاً أميناً أجمع لآلآت الرئاسة من الأمير ناصر الدين أبي منصور سبكتكين(1) رضي الله عنه، وكان من أغلب خصال الملوك عليه كتمان السرّ، وترك تأخير عمل اليوم إلى غد.

فصـــل
في جمع الملك بين الخير والشر

[271] قال الجاحظ [ ](1) أبي مالك: كان خيره محضاً عدم الهيبة ومن لم يعمل بإقامة جزاء الحسنة والسيئة، ولم يقتل في موضع القتل إحياء للجميع. وبعض العفو إغراء، كما أن بعض المنع إعطاء، ولا خير فيمن كان [ ](2) ولكن ينبغي أن يخلط الوعد بالوعيد والبشر بالعبوس، والإعطاء بالمنع والحلم بالإيقاع، فإن الناس لا يصلحون إلاّ على الثواب والعقاب والأطماع والإخافة.

ـ من أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم [ ](3) ولو

[269] العقد 367/4، المحاسن والأضداد 30، المحاسن والمساوىء 84/2، نثر الدر 29/3.

[270]

(1) سبكتكين ناصر الدين، أبو منصور (364 هـ)، صاحب معز الدولة، خلع عليه الطائع للّه وطوقه، ولم تطل أيامه، كانت شهرين ونصفاً، وقع من فرسه فانكسرت ضلعه: المنتظم 76/7، زين الأخبار [فيه أنه توفي سنة 387 هـ] تنظر الفهارس، الوافي 116/15 رقم 166.

[271]

(1) نقص في الأصل أدى إلى ارتباك مواضع في عبارات الجاحظ.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل.

(3) كلمة غير واضحة.

كان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله تعالى أولى بذلك الحكم.

- وفي أطباق جميع الملوك وجميع الأئمة في جميع الأقطار وفي جميع الأعصار على استعمال المحبوب والمكروه دليل على أن الصواب فيه دون غيره.

- وإذا كان الناس إنما يصلحون على الشدّة، واللين على العفو والانتقام، وعلى البذل والمنع، وعلى الخير والشر عاد ذلك الشرّ خيراً وذلك المنع إعطاء وذلك المكروه محبوباً.

فصل
في الإذن والحجاب

[272] عادات الملوك وآراؤهم مختلفة فيهما من يسهّل الإذن ويديمه، ومنهم من يكثر الاحتجاب ويقل الإذن، ومنهم من يرى الطرفين مذمومين ويرى الواسطة أحمد، فهو أمثلهم طريقة وأسدهم رأياً وأحسنهم سياسة، وفي كثرة الإذن مصالح ولها معايب.

- فمن مصالحها سكون الرعية وتناصفها وحسن جري الأعمال واستقامة العمال على الطريقة وكفّ الأقوياء عن ظلم الضعفاء وهدوء الأطراف وزوال الأراجيف وابتهاج(1) الأولياء وانزعاج الأعداء وقرب متناول الحاجات.

* - ومن معايبها أن الملوك بشر لا يخلون من العلل والأمراض وحقها أن تستر عن الناس ولا يطلع عليها غير الخواص نظراء للملوك، وإبقاء عليهم، فإذا احتجبوا وأخلوا بعادة الإذن ظهر ما ينبغي أن يستر وساء أثره على المملكة وتطايرت الأخبار إلى الغد وبخلاف الواجب، وجال شيطان الأراجيف في الرعية، وربما احتاج الملك أن نهض نفسه إلى بعض الجهات

[272]

(1) الأصل: الابتهاج.

في مهم من مهمات الملك يوجب الرأي إخفاءه عن الناس، فإذا كانت عادته جارية بطول الاحتجاب انكتم السرّ في حركته، ولم ينكشف ما يجب الجدّ في ستره.

[273] ومنها أن كثرة ظهور الملك عليه مجلبة لابتذال العيون إياه، ومن حقه التصون عن ذلك وبناء أموره وأحواله كلها على ما يزيد في هيبته، ويعوذ بعلو شأنه، وجلالة سلطانه، وفي وصية بعض الملوك لابنه: لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك، فإن اجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية[1].

[274] وسمعت أبا جعفر محمد بن موسى الموسوي[1] يقول:

خرج السديد منصور بن نوح[2] يوماً من داره للضرب بالصوالجة في السَهله، وكان في رسوم الملوك السامانية ضرب الدبادب، إذا ضربوا بالصيالجة، فسمع أبو جعفر العتبي وهو في ديوان الوزارة قرع الدبادب في غير وقته، فسأل عن ذلك فقيل له إن الملك في غلمانه وخواصه مشتغل بضرب الصوالجة في السّهلة، والنظارة محدقة به من الجهات فدعا بدابته ركبها إلى الموطن الذي فيه السَّديد، فأخبره الحاجب بحضوره، فأنكره وأكبره وظنه لفتق حدث في الملك إذا لم يكن عادة العتبي جارية بحضوره إياه في مثل ذلك الوقت، وفي مثل ذلك المكان، فلما وصل إليه فترجل له قال السديد: سلامة أيها الشيخ، فقال تكون السلامة والملك مبتذل لعيون العامة، وإنما هيبة الملك في قلة رؤية الناس له وتعذر وصولهم إليه، ولا حكمة أعظم من احتجاب الله عن عيون خلقه، ولو كان عزّ اسمه ظاهراً للعيون لما عُبد، فتبسم السديد ضاحكاً من قوله، وقال: قد علمت أيها الشيخ أنه لا بد لنا

[273]

(1) التمثيل والمحاضرة 131، الظرائف واللطائف 107.

[274]

(1) الموسوي: تقدمت ترجمته 44.

(2) السديد ترجمته: الهامش رقم 217.

من تعاطي هذه الآلة لما فيها من الرياضة، فقال: لست أنهي الملك عنها ولكن أشير عليه بأن يمارسها في ميدان أو مكان ولا يصل إليه العامة، فأما هذه السهلة فهي واسطة البلد وهي محفوفة بالأسواق والسوقة، وأنا أربأ بالملك عن عيون الأنذال والغاغة إلاّ في الندرة. فقال: صدقت أيها الشيخ ورمى بالصولجان من يده وثنى عنانه إلى قصره، وما عاد بعدها للضرب بالصوالجة في السهلة.

[275] ثمّ عاد بنا الحديث إلى الإذن والحجاب فمن حق الملك أن لا يأذن إذناً كثيراً متوالياً، فكل كثير عدو للطبيعة، وقد أحسن [ابن](1) المعتز في قوله:

كما يخلقُ الثوبَ الجديدَ ابتذالُه   كذا تخلق المرءَ العيونُ اللوامحُ(2)

وأن لا يديم الاحتجاب الذي لا تحصى مضاره، ولا تعد بوائقه.

[276] وكان خالد القسري يقول لحاجبه إذا أخذت مجلسي فلا تحجب. عني أحداً، فإن الوالي يحتجب لثلاث: إما عيّ يكره أن يطلع عليه. وإما ريبة يخاف انتشارها، وإما بخل يكره أن يسأل شيئاً.

[277] وكانت العجم تقول ما شيء بأضيع للمملكة من شدّة حجاب الملك، ولا شيء أهيب للجند والرعية، وأكف لهم، عن الظلم من سهولته.

[278] ولم أسمع في تحسين الحجاب أحسن من قول أبي تمام:

---

[275]

(1) الكلمة غير موجودة في الأصل.

(2) التمثيل والمحاضرة: 103، الظرائف واللطائف 108.

[276] رسائل الجاحظ: الحجاب 36/2، الظرائف واللطائف 109.

[277] الظرائف واللطائف 109.

[278] تحسين القبيح 55-56، ديوان أبي تمام (عزام) 446/4، رسائل الجاحظ 83/2، أحاسن المحاسن ق 12 و.

يـأيُّهـا الملكُ النـائي بـرؤيتـه وجُـوده لـمـراعي جُـودِه كَـثَبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملًا إنَّ السمـاء تُـرجَّى حين تحتجبُ

[279] وقد أجاد ابن نباتة:

ولو كان الحجـابُ بغير نفـعٍ لمـا احتـاجَ الفؤادُ إلى حجـابِ

فصـل
في تعرف الأخبار وبثّ الجواسيس

[280] من عُمد الملك وأركان السياسة ورسوم الملوك الحزمة(1): صرف العناية إلى أخبار ما قرب وبعد من المملكة وما يجاورها من ممالك الملوك، وبلوغ كل مبلغ من الجدّ في تعرفها، والإحاطة بها ونصب الأمناء، والثقات الكفاة لإدامة أبهائها على وجوهها، وتبليغ ما يدق ويجل منها وترتيب البرد والمجمرين وأصناف الفيوج لها وبثّ الجواسيس في أرض الصديق والعدو. وأخذهم بركب الصعب والذلول وتجشم الحزون والسهول في الوقوف على حقائق الأخبار وصور الأمور وأعمال أنواع الخيل لتحصيلها والتلطف لإنهائها في المشمعات وغيرها.

[281] والأدب في هذا مأخوذ من الله تعالى في قوله: ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ (الزخرف ٨٠) وقوله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيد﴾ (ق ١٨).

[282] ولم تزل حزمة الملوك معتنين بهذا الشأن بالغين فيه أقصى الإمكان، وكذلك اتخذوا الحمام الهدي فجعلوها برداً ووقفوا بها على الخبر الحادث في ماضي يومه، وبينهم وبين البلدة التي حدث فيها مسافة خمسة

---

[279] تحسين القبيح 56، ديوان ابن نباتة 580/1، الظرائف واللطائف 107.

[280]

(1) في هامش الأصل: جمع حازم، كالكتبة جمع كاتب.

[282] قارن بـ: الحيوان 223/3، ثمار القلوب 468.

أيام وأكثروا وعلى هذا التقدير يجري خبر الأبعد فالأبعد، والرسم في اتخاذ الحمام الهدي باقٍ إلى اليوم في بلاد العراق وما يجاورها وربما بلغت قيمة الواحد منها مائتي دينار، فالملك الحازم ومن يبني أموره على أن يكون ما يغيب عنه كما يشاهده معرفة وعياناً ووقوفاً عليه حتى يستوفي لديه أحوال القريب والبعيد، ولا يستعجم عليه ابنا العدو والصديق.

[283] ويكون كأنّما عناه أبو تمام بقوله:

أطلّ على كُلى الآفاق طراً ... كأنَّ الأرضَ في عَينيه دارُ[1]

وأراده الآخر بوصفه:

أحاط علماً بكل خافية ... كأنما الأرضُ في يديه كره

ولارتفاع[2] مقدار البريد ما سما جناح المسلمين ونطقت به الأخبار والأشعار.

[284] وقيل لبعض بني أمية ما الذي أذهب ملككم؟ فقال تحاسد الأكفاء وانقطاع الأخبار.

[285] وكان لعمرو بن الليث في التلطف للتعرف والتخصص بالتجسس طريقة عجيبة، فإنه كان له على كل قائد من قواده، وعامل من عماله ومذكور من رعيته رقيب في السرّ وعين في الستر ينهي إليه دقائق أخباره وخفايا أسراره، فكان عمرو يخبرهم بكل ما يفعلون ويقولون ويأكلون ويشربون وسائر ما يعملون فيجازي المحسن بإحسانه ويكافىء المسيء بإساءته.

والتعجب من ذلك يذهب بهم كل مذهب فيزدادون تحفظاً وتيقظاً بين

---

[283] شرح الصولي لديوان أبي تمام 513/1 رقم 67.

(1) الأصل: طلى ـ تحريف.

(2) كذا وفي العبارة نقص واضطراب.

السرّ والعلانية في احتسامه وقضاء حقوق مناصحته.

[286] وكان الأمير أبو الحسن بن سيمجـور(1) يأخذ برسمه ويزيد عليه في تعرف الأخبار عامة وأخبار نيسابور خاصة وكان له في كل سوق من أسواقها ومحلة من محالها ومجلس من مجالسها وفي كل دار من دور مشايخها وأعيانها وقواده وأصحابه المقيمين بها عيون في السرّ حتّى من العجائز يؤدون إليه كل ما يرون ويسمعون، ويجعلونه من كل ما يجري ويقع ويحدث على بصيرة شافية، فأما جواسيسه في سائر البلاد فمتجاوزون حدّ الكثرة، وكان يقيم لهم ما يصلحهم ويعطي لهم الرغائب، ويقضي لهم الحاجات.

فصـــل
في صيد الملوك

[287] الصيد للملوك كالخمر التي فيها إثم كبيـر ومنافـع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما، كذلك الصيد فيه خطر عظيم ومرافق للملـوك وخطره أعظم من الاستمتاع به، فمن أحسن ما فيه أن فاتحته طلاب لذة ووطر وخاتمته حصول مغنم وظفر وهو من عادات الملوك وآدابهم إذا وجدوا في زمانهم فضلاً عن مهماتهم، وفيه رياضة لأبدانهم وغلمانهم ودوابهم وتدرج إلى مباشرة الحروب وأعمال السيوف إذ هو مثال يحتذى في مطاعنة الفرسان، ومنهج يقتفى في مطاردة الأقران، ولكن لا ينبغي للملك أن يدمنه ويولع به، فإن نفس الملك أعزّ الأنفس وأكرمها وأولاها بالصيانة والحياطة وليس الخطار بها من عزمات الأمور وصوب الآراء.

[288] وكان يقال أربع إذا غلبن على الملك أهلكنه:

حبُّ النِّساء والصيّد والخمر وإراقة الدماء.

---

[286]

(1) ابن سيمجور: ترجمته في الهامش 463.

[288] التمثيل والمحاضرة 472.

[289] وما أحسن قول الشاعر لبعض الملوك:

صَيد الملوك أرانبٌ وثعالبٌ   وإذا ركبت فصَيدك الأبطالا

فصـــل
في حفظ الأولاد في الأباء

[290] مما يغرس به الملك محبته في قلوب أصحابه وأتباعه ويستجلب حسن آرائهم في موالاته ومشايعته، أن يظهر الارتجاع لوفاة من ينتقل عن خدمته إلى جوار ربه ويشهد جنائز قواده وخواصه ويسبل على أولادهم وحرمهم ستراً من رعايته وصيانته ويذيقهم حلاوة إحسانه وانعامه ويحفظ الأولاد في آبائهم والاعقاب في أسلافهم كعادة الملوك الأفاضل الذين ينظرون لاوليائهم وأصحابهم في محياهم ومماتهم.

[291] ولما توفي عبد الله بن طاهر عزم الواثق على تقليد خراسان إسحاق بن إبراهيم المصعبي فاستشار في ذلك أحمد بن أبي دواد فقال: رأي أمير المؤمنين أعلى، ولكنه من أهـل بيت يحفظون الأعقـاب في الأسلاف فقال حسبك وعـقد لطاهر بن عبد الله(2) على خراسان وبعث إليه بالخلع واللواء والعهد.

فصـــل
في المصاهرة

[292] في العادات الشائعة المستفيضة المستحسنة: مصاهرة الملوك

---

[291]

(1) عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي (182-230 هـ): أمير، اعتمد عليه المأمون كثيراً في قمع الخرميّة وغيرهم. مدحه كثير من الشعراء. له مؤلفات وشعر: تاريخ بغداد 483/9-489 رقم 5114، العبر للذهبي 406/1، وفيات الأعيان 83/3-89 رقم 343، الوافي 219/17-223 رقم 205.

(2) طاهر بن عبدالله الخزاعي (248 هـ) أمير خراسان، ولي أمرها بعد أبيه من قِبل الواثق سنة 230 هـ: شذرات الذهب 117/2، الوافي 404/16 رقم 436.

[292] ربيع الأبرار 671/3.

أكفاهم من الملوك، والاستظهار بهم على الخطوب:

وما أحسن ما قال أكثم بن صيفي: المناكح الكريمة مدارج الشرف.

[293] فإما مصاهرة من دونهم وعقد الوصلة بينهم وبين من تحت أيديهم من وزرائهم وقوادهم فهو أيضاً مما جرت بهم رسومهم لأغراض أكثرها الأموال، كما فعل المأمون في مصاهرة وزيره الحسن بن سهل على بنته بوران[1]، وذلك أن المأمون طمع في ماله وأموال أخيه الفضل بن سهل ذي الرياستين[2]، وما في يده ولم يستحسن مصادرته، فآثر مصاهرته حتى أخذ منه جلّ ما يملكه على أجمل الوجوه، ولما تمّت الوصلة سأل الحسن المأمون أن يجعل بناه ببوران بفم الصلح[3]، فأجابه إليه فاتخذ الحسن بفم الصلح دعوته المذكورة، المشهورة التي تسمّى دعوة الإسلام[4]، ولم يكن قبلها ولا بعدها مثلها، إلّا ما يحكى من دعوة بركوارا[5] حين طهّر المتوكل ابنه المعتز، وقد أوردت خبر الدعوتين في كتاب «ثمار القلوب» المؤلف برسم المجلس العالي حرسه الله، وكرهت إعادته ههنا، فيقال إن الحسن أنفق[6] في تلك الدعوة في مدة أربعين يوماً ألفي ألف دينار، وأُهدي إلى المأمون ما يبلغ قيمته مثلها، وجهز بوران على قدرها حتى رقت حاشيته وحاله، وهاجت به السوداء[7]، فلزم منزله إلى أن صلح:

---

[293]

(1) بوران بنت الحسن بن سهل (271 هـ): اسمها خديجة، تزوجها المأمون لمكانة أبيها منه، وكانت قيمة بعلم النجوم، تزوجها المأمون سنة 210 هـ: الطبري 566/8، مروج الذهب 326/4-327، الوافي 317/10-320 رقم 4831.

(2) الفضل بن سهل: ترجمته في الهامش 317.

(3) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبّل عليه عدة قرى، فيه كانت دار الحسن بن سهل وفيه بنى المأمون ببوران: معجم البلدان [فم الصلح] 276/4.

(4) أنظر: ثمار القلوب: 165 رقم 238، نساء الخلفاء 67.

(5) ثمار القلوب 166-167 فيه: بركوار.

(6) الأصل: اتفق.

(7) الكلمة غير واضحة في الأصل.

[294] وكما فعل المعتضد في مصاهـرة أبي الجيش خماوريـه بن أحمد بن طولون[1] ـ والي مصر ـ فإن أبا الجيش كان يتمرد عليه ولا يؤدي ما يلزمه من أموال مصر ولا يمتثل أكثر أوامره، والمعتضد لا يفرغ لعركه مع اشتغاله بما هو أهم من أمره وبه أمس الحاجة إلى الأموال التي أجمعت عند أبي الجيش فخطب بنته المسماة «قطر الندى» وكانت أحسن نساء زمانها، فزوجها[2] منه ونقلها إليه وجهزها بما قيمته ألف ألف دينار[3] سوى أثمان الوصائف والخدم، وأهدى معها[4] إلى المعتضد من نفائس الأعلاق وكرائم الأموال ما يبلغ قيمة الجهاز سوى مال أنفذه إليه لإقامة رسم النثار وهو ثلاث مائة ألف دينار.

[295] وعلى هذه السّبيل كانت ُمصاهرة الطائع لله عضد الدولة[1] أبا شجاع فناخسرو ومصاهرة الأمير الرشيد أبي الفوارس عبد الملك بن نوح[2] أبا سعيد أحمد بن محمد بن عراق[3] ومصاهرة الأمير الرضي أبي القاسم نوح بن منصور[4] صاحب جيشه أبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور.

[296] فإما تزوج الملوك ببنات العامة، إما لحسن الخلق أو لطيب الخلق فهو مما يستقبح لهم جداً، وكثيراً ما فعلوا ذلك فاستهدفوا لسهام العابثين[1] كابرويز في تزويجه بشيرين، وكعبد اللّه بن طاهر في تزوجه شهرام المرزوية، وكانت خَضراء دمنة من المغنيات، ففيها يقول:

إن كنت أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ   هي المَقـاديـرُ فلُمني أو فَـذرْ[2]

---

[294]

(1) خمارويه بن أحمد (250-282 هـ): ولي أمرة دمشق ومصر الثغور بعد أبيه، وكان يكتب خطاً حسناً: المنتظم 138/2/5، وفيات الأعيان، 2/20-22، الوافي 13/416-418 رقم 506.

(2) تمّ الزواج سنة 281 هـ.

(3) وقيل: ألف ألف درهم (الوافي 13/416).

(4) كرر الناسخ هذه العبارة.

[295]

(1) عضد الدولة: مرت ترجمته، هامش الفقرة 82.

(2) الرشيد عبد الملك بن نوح: ترجمته هامش الفقرة 243.

=

وكفخر الدولة أبي الحسن(3) في اتخاذه المطربة المعروفة ببنت روباه النيسابورية «أم ولدٍ»، وغيرهم ممن يطول ذكره.

فصــل
في أبنية الملوك

[297] من رسوم الملوك على وجه الزمان: بناء البلدان، وتفخيم البنيان، وتشييد الحصون المنيعة، والقصور الرفيعة، وإيثار حسن الآثار، كما قال بعضهم:

إنّ آثـارنـا تـدل عـلينـا   فـانظروا بعـدنـا إلى الآثـار

[298] وما أحسن قول علي بن الجهم في بعض أبنية المتوكل من قصيدة:

ومـا زلتُ أَسمعُ أنَّ الملو   ك تَبني علي قَدرِ أَخطارِها
وأعـلمُ أنَّ عُـقـولَ الـرجـ   ـالِ تقضى عليهـا بآثـارِهـا
فلمّـا رأيت بـنـاءَ الإمـام   رأيتُ الخِلافة في دارِهـا(1)
صُحونٌ تُسافرُ فيها العُيونُ   وتَحسِرُ من بعـد أقطارِهـا
وقبـةُ مُلكٍ كـأنَّ الـنجـو   مَ تُصغي إليهـا بـأَسـرارِهـا

=(3) أبو سعيد أحمد بن محمد بن عراق: من ملوك الأطراف راجع الفقرة 50.
(4) الرضي نوح بن منصور بن نوح الساماني (353-387 هـ)، أمير ما وراء النهر، مولده ووفاته في بخارى، ولي بعد وفاة أبيه (سنة 366 هـ) وهو صبي. تميزت مدة إمارته بكثرة الفتن: ابن الأثير 223/8، 34/9-37، زين الأخبار 52-63، الاعلام 51/8.

[296]
(1) الكلمة غير واضحة في الأصل.
(2) التمثيل والمحاضرة 329.
(3) فخر الدولة: علي بن محمد بن الحسن بن العميد (366هـ) من الوزراء الكتاب، الشعراء، خلّف أباه في وزارة ركن الدولة البويهي: يتيمة الدهر 188/3، معجم الأدباء 191/14.
[297] الظرائف واللطائف 56.
[298] تشبيهات ابن أبي عون 254، الأنوار 69/2، ديوان علي بن الجهم 29-30 رقم 9.
(1) الديوان: رأينا.

[299] وما أظرف قول الشعراء للصاحب(1):

ولـي مـسـألـةٌ بـعـدُ فـعـاجـلـنـي بـأخـبـار
بـنـيـتَ الـدار في دنـيـا ك أم دنيـاك في الـدار(2)

وإنما أخذه من قول أبي العيناء(3) حيث قال له المتوكل: كيف ترى دارنا هذه؟ فقال: يا أمير المؤمنين رأيتُ الناس يبنون دوراً في الدنيا، وبنيتَ أنت الدنيا في دارك. فينبغي للملك أن يضرب مع الملوك بسهم في الأبنية، ولا يركب الهوى المفرط، ولا يستحسن السَّرف المجحف في الإنفاق عليها، فيحمل بذلك على ماله الذي هو قوام أمره، ونظام ملكه، وعدة جنده، وذخيرة يومه وغده، ومعلوم أن البنيان لذّة كلّذة النساء والخمر، وبعضه يدعو بعضاً، فلا نهاية لما يستغرقه نفقات الأبنية الملوكية من الأموال الجمّة، بل يجب عليه أن لا يصرف منها إلاّ فضِول أمواله وأذناب ارتفاقاته(4)، وأن يوسع ما يقدره، ويحكم ما يؤسسه، ويرفع ما يشيّده، ويعمل على التخليد، والتأبيد لا على التشقيق والتزويق.

[300] ولا يضيّع الأموال كما يضيّعها المتوكل في أبنيته بسرّ من رأى، فإنه أنفق عليها ما لم ينفقه أحد من الملوك قبله، ولا بعده، والتذّ جدّتها، ولقب كلاً منها بالشاه، والعروس، والصَّبيح والمليح والغريب والبديع والمختار والجعفري واللؤلؤة(1)، وغيرها مما لست أحاضر به، حتّى انتهت

---

[299] لطائف اللطف 79، أحاسن المحاسن ق66، الظرائف واللطائف 55، اليتيمة 212/3.

(1) الصاحب بن عباد. ترجمته هامش الفقرة 83.

(2) الأصل: دار، والتصحيح من المصادر.

(3) أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلّاد (191-283 هـ): أديب، فصيح، شاعر، له مؤلفات: الفهرست 138-139، فوات الوفيات 343/4-348، نكت الهميان 265-270.

(4) الكلمة غير واضحة في الأصل، والارتفاقات: مرافق الدار وهي مصاب الماء ونحو ذلك.

[300]

(1) أنظر عن هذه القصور وغيرها وما انفق عليها في: أدب الغرباء 49-50، معجم الأدباء 17/3، مطالع البدور 288/2.

=

النفقات إلى الثلاثمائة ألف ألف درهم[2]، تفصيلها مثبّت في كتب الأخبار العباسية، فأجحفت كل الأجحاف ببيوت أموال المسلمين، وساءت آثارها على الخلافة، والمملكة[3]، ثمّ لم تكتب من بعده إلّا مديدة، حتى خرب أكثرها، واضمحل معظمها، ولم يبق منها إلّا أطلال ماثلة ورسوم دارسة.

[301] وما كان المنصور أنفق عشر عشيرها على بغداد[1] حتى بناها أجلّ بلدة في الدنيا وأحسنها وأكبرها وأبقاها، لأنه بناها بالرأي والتماسك، وبنى المتوكل أبنيته بالهوى والتهالك وشتّان ما بين الحالين.

[302] وبنى بالأمس بهاء الدولة أبو نصر[1] ببغداد من البنيان ما لم تف أمواله على كثرتها، بتشييد ما أسس منها، وإتمام ما أبدع وأغرب فيه وتركه غير مفروغ منه، وقد استهلك الأموال في النفقات عليه وانتقل إلى الأهواز ومنها إلى فارس، وأخلّ بدار الملك، وقبة الإسلام التي فتحها[2] أبوه عضد الدولة بثلاثين ألف سيف لعجزه عن إتمام ما بناه بها.

[303] ومن عادات الملوك الحسنة ورسومهم المذكورة عمل الصالح وتحسين الآثار وعقد القناطر وإصلاح الطرق وبناء الرباطات ورفع المساجد وعمارة الضياع وتحسين القلاع:

ليس الفتى بـالـذي لا يستضـاءُ بـه ولا تـكـونُ لـه فـي الأرض آثـارُ

= (2) وقيل: مبلغ ذلك من العَيْن مئة ألف واثنان وخمسون ألف دينار (أدب الغرباء ٤٨).

(3) كرر الناسخ هذه الكلمة.

[301]

(1) بنى المنصور مدينة بغداد سنة 145 هـ، انظر الطبري حوادث 145 هـ، ابن الأثير 427/5، تاريخ بغداد 71/1، الأنباء في تاريخ الخلفاء 65.

[302]

(1) بهاء الدولة: أحمد بن فناخسرو (403 هـ): كان أظلم بني بويه، ارتكب الكثير من الجرائم والقبائح: المنتظم 264/7، ذيل تجارب الأمم 153، الوافي 291/7-292 رقم 4273.

(2) الأصل: فتح.

فصـــل
في استماع الملوك للشعر

[304] من أخلاق الملوك الاستماع للأشعار البارعة التي يمدحون بها وتذكر محاسنهم ومكارمهم فيها، لأنها تشتمل، إما على وصف ما أعطوه من علّو المكان، واتساع السلطان، والثروة من المال، والكثرة من الرجال والأبطال، فإذا وردت على أسماعهم صوّرت في أنفسهم صور ما أعطوه من النعم، فوصل إليهم من السرور نحو ما كان يصل إليهم لو رأوها مستجمعة لهم(1) في شخص واحد، وشكروا الله تعالى على ما خصّوا به من الحظوظ الوافرة والمنح المتظاهرة.

وأما على ذكر فضائلهم ومناقبهم ونشر خصائصهم ومآثرهم، فإذا وجدوها في أنفسهم وعرفوها في طباعهم، واهتّزوا لها وفرحوا بها وبعثتهم الأريحية على الازدياد منها ثمّ من منافع الشعر الجيّد أنه يدون ويخلّد فيسير في الآفاق وينقب في البلاد ويزيد الناس معرفة بفضل الممدوح به ويبقى على الأيام حتى تتداوله ألسن الرواة وتنشده صبيان المكاتب كما يردّد الفضلاء في المجالس والمحافل، فيفيد المقصود به والمذكور فيه عمراً ثانياً ويكسبه شرفاً خالداً.

فصـــل
في أنموذج من محاسن ولطائف من رسوم الملوك قيلت فيها الأشعار

[305] كان عبد العزيز بن مروان إذا أمطرت السماء بمصر وهو واليها نثر على ندمائه الدراهم والدنانير إلى أن تكفّ السماء، ففي ذلك يقول

---

[304]

(1) وضع الناسخ هذه الكلمة في الهامش.

عبد الله بن الزبير الأسدي:

لقد هَطَلتْ كَفُّ عبد العزيز لُجيناً وتبراً على مُجتديه
ألجود ابن لَيلى يُنال المُنى ويَحظى المرجّي بما يَرتجيه؟

[306] وكان خالد بن برمك أول من سمّى السؤال الزوار، وذلك أن عبد اللّه بن شريك النُميري صار إليه في جماعة من الناس، ومن الأشراف والأجواد ليستميحوه فقال خالد: أنا والله استقبح لهم أن يدعو السؤال، ولكني أسميهم الزوار. فقال له عبد اللّه بن الشريك: والله ما ندري أي بَريك أجدّ عندنا أصلتنا أم تسميتنا؟

[307] وقال في ذلك يزيد بن خالد الكوفي المعروف بابن حسانة:

حذا خالدٌ في جوده حَذو بَرمكٍ فمجدٌ له مُستطرفٌ وأصيلُ(1)
وكان بنو الاعدام يُعزونَ قبله إلى اسم إلى الاعدام فيه كَليلُ
يُسمّون بالسّؤال في كلّ موطنٍ وإن كان فيه نابهٌ وجَليلُ
فسمّاهم الزوّار سَتْراً عليهمُ وذلك من فعل الكرام نَبيلُ

[308] وذكر الصولي أنّ هذا الخبر لغير خالد، فروى بإسناد له، أن المشاور بن النعمان لما وليّ كورفارس، أتاه الناس مستميحين إياه، فقيل له قد اجتمع سؤالك. فقال: ما أقبح هذا من اسم! هؤلاء الزوار، فسمّوا الزوار من ذلك اليوم.

---

[305]
(1)عبداللّه بن الزبير الأسدي الكوفي. توفي نحو سنة 90 للهجرة: الأغاني 217/14-262، الوافي 180/17-181 رقم 162. جمع د. يحيى الجبوري شعره (بغداد) ولم أجد البيتين فيه.
[306] الأوائل 81/2، الوزراء والكتّاب 150، تحفة الوزراء 159، الوافي 248/13.
[307] الوزراء والكتّاب 150-151، الأوائل 81-82، تحفة الوزراء 159، الوافي 248/13 ونسبت الأبيات إلى بشار بن برد في ديوانه 127/4، الأغاني 173/3.
(1) الأصل: كذا خالد والتصحيح من المصادر.

[309] فيه يقول زياد الأعجم[1]:

إنّ المشاور أعطى فيه عطِيّته   سؤاله أحسن الأسماء للبَشَرِ
كانوا يسمّون سؤالاً فصيّرهم   دون البريّة زواراً ولم يُجِرِ

[310] وكان المهتدي بالله يجلس للمظالم ويقرأ القصص فبلغه أنه يؤخذ على تقديم بعضها على بعض دراهم، فاتخذ بيتاً كبيراً وجعل له شباكاً حديداً إلى الطريق وأمر فنودي في الناس من أراد أن يقرأ أمير المؤمنين قصته فليطرحها إلى البيت الذي جعله للقصص من الشابك الحديد، فكان الناس يطرحون قصصهم فيه فلا يدخل البيت غيره، فيخرج ما يقع في يده أولاً فأولاً فينظر فيه وينصف المظلوم ويقمع الظالم ويحسن النظر ويقضي الحوائج وكان يسمّي ذلك البيت ببيت المظالم.

[311] فقال فيه المعروف بباذنجانة الكاتب[1]:

بنيتَ لنا بيت المظالم رأفةً   بنا فمحا الإنصافُ من ذلك الظلما
وما كان للأملاك من قبل مثله   ولا آثروا حَزماً ولا اجتنبوا غشما
وقد كان يَلقى صاحب الحق خيبةً   لديهم، ويأساً بعدما كلّف الغرما
فسهّلت ما قد كان يَصعبُ عندهم   فاوُسعتَ حَمداً مثلما آوسعوا ذَمّا

[312] واقتدى[1] «شمس المعالي»[2] بالمهتدي في بناء البيت ذي

---

[309]

(1) زياد الأعجم (نحو 100 هـ) من شعراء الدولة الأموية، كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم، اشتهر بالهجاء: الأغاني 98/14-105، معجم الأدباء 221/4، الاعلام 45/3. جمع الدكتور يوسف حسين بكار (دمشق ـ 1983) شعره ولم أجد البيتين فيه.

[310] الأوائل 291/1.

[311]

(1) باذنجانة الكاتب: الجنيد بن محمد البصري، الكاتب، كان من شعراء العسكر بسرّ من رأى، اشتهر بالهجاء: الوافي 204/11 رقم 299.

[312]

(1) الأصل: واقتد.

(2) شمس المعالي: قابوس بن وشمكير: مرت ترجمته: هامش الفقرة 138.

=

الشباك للقصص، فبناه بجرجان في أواخر أيامه، وكان ذلك ممّا حُمد من سيرته، وكثرت الأثنية[3] عليه، والأدعية له، بسببه.

فصــل
في كراهة الملوك من يشاركهم
في العزّ وتبسط في الأمر والنهي ويستبد بعدهم بمعاظم الشؤون

[313] من أخلاق الملوك إرادة المال والجاه، وعزّ الأمر والنهي وثمرة السيادة، بل ثمرات الدنيا كلها لهم ويكرهون[1] من يشاركهم في سرور السياسة، ويستبد دونهم بالحل والعقد، وبخدمة الناس، وتتعلق به الآمال، ولو كان من صنائعهم وغروس أياديهم.

[314] ومن ههنا أُوتي أبو أيوب المورياني[1] ـ وزير المنصور ـ حين أخبر المنصور بعض رسله إليه، بأنه وجد عنده الحسن بن قحطبة، وخزيمة بن حازم، قاعد بين يديه فدعاه ووبّخه، وقال أبلغ من علّو شأنك، وعظمتك أن تنظر إلى من أعددتهم لدولتي، ومن إذا أنفقت عليّ ناحية رتقتها بهم، فتذلّهم وتجلسهم بين يديك، والله ما أمنت في مجلسك إلاّ بهم، ولا نفذت أقلامك إلاّ بأسيافهم، ونكبه بعد أيام قلائل.

[315] وقال فيه الشاعر:

قد رأينا الملوكَ تحسدُ من أعطَته طَوعاً أعنّةَ التَـدبيرِ
فإذا ما رأوا له النُّهى والأمر أتوهم من عرفِهم بنكيرِ

=(3) الأثنية: هنا جمع ثناء.

[313]

(1) الأصل: يكرون.

[314]

(1) أبو أيوب المورياني (سليمان بن مخلد) قتله المنصور سنة 154 هـ، أصله من موريان إحدى قرى الأهواز. اختلفت الروايات في أسباب القتل للتفاصيل أنـظر: الوزراء والكتّـاب: 97-123.

[316] ولم يكن سبب استئصال الرشيد البرامكة[1] إلّا ما رآه من ارتفاع مقاديرهم، وعلّو شؤونهم، ونفاذ أوامرهم، وتبسيط أيـديهم في الأعمال والأموال وخروجهم في الجود من الحدود.

[317] وهكذا كانت حال الفضل بن سهل ذي الرياستين[1]، فإن أُمور المأمون كلها كانت[2] إليه والمأمون كالخالي إلى أن ضجر منه، فدسّ إليه من قتلوه غيلة في الحمام، وهربوا فلحقهم الجند وجاءوا به إلى المأمون فقتلهم كلهم.

فصــل
في تحفظ الملوك من إظهار ما يعزمون عليه من الإيقاع بمن تغيّروا له

[318] من أخلاق الملوك، بل من أسرارهم إذا تغيّروا بوزير أو بكبير من قوادهم وأصحابهم، وهمّوا بهم، أن يزيدوا في تأنيسهم إياه وبرهم به ويتحفظون جدّاً من إنذارهم بما ينطوون له عليه، إلى أن ينتهزوا الفرصة في ذلك، ويجدوا السبيل إلى الإيقاع به والتشفي منه، ومثلهم في ذلك مثل القوس: أقرب ما يكون من السّهم أشدّ إبعاداً.

[319] وقد كان الرشيد من الشغف بجعفر بن يحيى[1]، والتهالك في محبته والغلّو في ملاطفته على الحالة الشائعة المشهورة، ولم يكن قطّ أكثر

[316]

(1) تمت تصفية البرامكة سنة 187 هـ للتفاصيل أنظر: الجهشياري: 234-265، وكتب التاريخ المعتمدة حوادث 187 هـ وترجمة هارون الرشيد.

[317]

(1) الفضل بن سهل السرخسي: قتل سنة 202 هـ: تاريخ بغداد 339/12، ابن الأثير 85/6، الاعلام 149/5.

(2) الكلمة موجودة في هامش الأصل، بخط الناسخ.

[319] قارن بـ: الجهشياري 234.

(1) أنظر هامش الفقرة 316.

=

إكراماً له وإقبالاً عليه من في الأسبوع الذي قتله فيه، ولما كان اليوم ـ الذي أمر في عشيته بما أمر ـ ركب إلى الصّيد وجعفر معه يحادثه ويسايره[2] ويضاحكه، فلما رجع قال لجعفر: امض فطب، واظرف يومك، فإني مع الحرم، فمضى جعفر إلى منزله فجلس مع ندمائه يشرب ويتحف الرشيد بتحية في كل ساعة، إلى أن أمسى، فدعا الرشيد مسروراً الخادم فقال: اذهب فجئني برأس جعفر ولا تراجعني في أمره، فامتثل أمره.

[320] وكان الفضل بن سهل[1] ـ ذو الرياستين ـ في آخر أيامه، يشمّ من المأمون رائحة التغيّر له، والمأمون يبلغ كل مبلغ من أيناسه، وإظهار مخالصته فتوعك[2] الفضل، فوردت عليه رقعة المأمون بخطّه، فيها:

لا أراني الإلـهُ يومـك يا فضـلُ وعافـاك عـاجـلاً وشفـاكـا
قد أردت المجيء إذ غلبَ الشوق وقلبي لو يستطيع أتاكـا
فتـذكّرت حين أزمعت أنّي لستُ أستـطيع أن أراك كـذاكـا

فلم يدر الأسبوع، حتّى أمر بقتله، ثمّ قتل قتلته.

فصـــل
في سرعة غضب الملوك وبطء رضاهم

[321] من أخلاق الملوك سرعة الغضب، وليس من أخلاقهم سرعة الرضا.

[322] ويحكى عن السفاح أنه غضب على رجل ثمّ جرى ذكره في مجلسه فقال له بعض سماره يا أمير المؤمنين: إنّ فلاناً لو رآه أعدى خلق

= (2) الأصل: يسابر.
[320]
(1) انظر هامش الفقرة 317.
(2) الأصل: فتعالك.
[321] التاج: 91.

الله لرحمه وانعصر له قلبه قال ولم ذاك؟ قال لغضب أمير المؤمنين عليه، فقال السفاح ما له من الذنب ما يوجب كل هذه العقوبة قال فيمنّ عليه أمير المؤمنين بالرضا عنه قال لم يحن ذلك بعد قال: يا أمير المؤمنين إنك لما صغرت ذنبه طمعت في رضاك عنه قال من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يحسن أن يغضب ولا أن يرضى، وعلى هذا أخلاق الملوك.

[323] وهكذا فعل الرشيد في أمر عبد اللّه بن مالك الخزاعي حين غضب عليه، ثمّ رضي بشفاعة محمد بن إبراهيم الهاشمي عنه، فكان عبد اللّه إذا وصل بعد ذلك إلى الرشيد رأى فيه بعض الإعراض فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم، فقال محمد للرشيد يا أمير المؤمنين: إن عبد اللّه بن مالك يشكو أثراً باقياً من تلك النبوة(1)، ويسأل الزيادة في بسطه وتقريبه فقال يا محمد إنّا ـ معشر الملوك ـ إذا غضبنا على أحد من بطانتنا عنه بعد، بقي لتلك الغضبة أثر لا يزيله ليل ولا نهار.

فصــل
في ارتباط الملوك الفيلة

[324] من عادات الملوك الذين يعطون السيادة حقـوقها، ويـوفون السياسة شروطها، الاستكثار من كل ما يزيد في أبهة سلطانهم، وروعة ملكهم، ويعود بكمال عددهم، وجمال عددهم ويؤدي إلى انتظام هيبتهم وانتشار رهبتهم ويملأ عيون أوليائهم وأعـدائهم ويحشوا صـدور العامـة والخاصة فرط إجلالهم وبلوغ كل مبلغ من التفخيم وتجريد العناية بالتزيين والتهويل، ومن خصائص الملوك عقد التيجان وارتباط الفيلة لحسن محلها عند الملوك وموقع نفعها في الحروب ومهابتها في القلوب وجلالتها في

[323] التاج 92-93.

(1) كان عبداللّه بن، مالك الخزاعي ضمن جماعة من القادة الذين طالبوا موسى الهادي خلع هارون الرشيد لمصلحة جعفر: الجهشياري: 174.

النفوس وارتفاعها عن ملك السقاط والحشـوة واقتناء الأنـذال والسفلة، واجتماع الملوك ـ عربها وعجمها ـ على اجتلابها والتزين بها والافتخار بكثرة ما يتهيأ لهم منها حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا وأشرف الألطاف وحتى صار اقتناؤها مروءة ونجدة وعدة ودليلاً على أن مرتبطها صاحب قوة وعتاد وصاحب حرب وجلاد والدنيا لمن غلب والآخرة لمن طلب.

الباب السادس

في أخبار الملوك والوزراء والعمّال والخدم

فصل
في الوزارة

[325] وللوزارة [. . . .][1] إن الأنبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزارة فكيف الملوك والأمراء، وقد نطق القرآن بوزارة هارون لموسى عليه السلام وحكى الله عزّ اسمه عن موسى قوله: **﴿ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري وأحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدّد به أزري وأشركه في أمري﴾** (طه: 29-36).

[326] ثمّ قال في نظام الآية وعلى نسق الكلام:

﴿قال قد أوتيت سؤالك يا موسى﴾ (طه: 37)، فدّل على أنه جعله وزيره وصاحب أمره وشريكه، وأفصح عن حسن موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة إليها.

[327] وكان آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود عليهما السلام والمستولي على أموره.

---

[325] قارن بالظرائف واللطائف 22.

(1) انقطاع في الأصل.

[327] الظرائف واللطائف 22.

[328] وإن كان السلف لم يطلقوا لفظ وزارة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما للنبي محمد عليه السلام كل الإطلاق، رفعاً له، وتنزيهاً إياه عن الملك الذي تقترن به الوزارة، فقد كانا في الحقيقة وزيريه، يشهد بها الآثار والأخبار، ويشهد لهما بالوزارة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ حيث قال له شيعته إن كنت تريد أن نتابعك ونبايعك، فألعن أبا بكر وعمر فقال: والله ما كنت لألعن وزيري جدّي فتركوه ورفضوه، فسمّوا الروافض(1).

[329] وكان أنو شروان يقول: لا يستغني أعلم الملوك عن الوزير، ولا أجود السيوف عن الصقال، ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعقل النساء عن الزوج.

[330] ولمكانة الوزراء لدى الأمراء أو مشاركتهم إياهم في الأمور وتصريف أعنّه التدابير، جرى في المثل السائر على وجه الدّهر: لا تغترنّ بكرامة الأمير، إذا غشّك الوزير.

[331] وإلى هذا المعنى أشار أبو الفضل بن العميد(1). وزاد فيه حيث قال لصديق له من العلوية كان مختصاً بركن الدولة(2):

وزعمت أنك تفكر بعدما ... علقت يداك بذمة الأمراء

---

[328]

(1) عن الروافض انظر أصل التسمية في ترجمة زيد بن الحسين: (طبقات ابن سعد 239/5، فوات الوفيات 35/2 رقم 160، الوافي 33/15-37 رقم 37.

[329] التمثيل والمحاضرة 143، تحفة الوزراء 42، نهاية الأرب 92/6.

[330] التمثيل والمحاضرة 144، تحفة الوزراء 42.

[331] التمثيل والمحاضرة 144 (عدا الأول)، تحفة الوزراء 42-43.

(1) ابن العميد: محمد بن الحسين بن محمد (360 هـ): من الوزراء الكتاب، لقب بالجاحظ الثاني، وزر لركن الدولة البويهي في الري سنة 328هـ: نكت الوزراء 94-99، يتيمة الدهر 158/3، الوافي 381/2.

(2) ركن الدولة: الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي (366 هـ): هو والد عضد الدولة، كان صاحب أصبهان والري وغيرها. استوزر ابن العميد: ابن الأثير «أنظر الفهارس»، الاعلام 185/2.

هيهات لم تصدقك فكرتك التي قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لا تغن عن أحد سماء لم تجد أرضاً، ولا أرض بغير سماء

[332] وفي المزدوجة المعروفة بذات الحلل:

إذا طلبت نائلَ الأميرِ فألطف له من جِهة الوزيرِ

[333] وما أحسن قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق:

أبا جعفر إن الخليفة إن يكن لورادنا بحراً فإنك ساحلُ

[334] ومنه أخذ يحيى بن علي بن يحيى المنجم(1) قوله:

لأمير المؤمنين بحرٌ زاخرٌ ثمّ جودٌ ليس يعدوه أحدْ
وأبو النجم لمن يَقصده مشرعٌ منه إلى البحر يردْ

[335] وليس للمعتضد كلام أحسن من قوله لأحمد بن الطيب السرخسي(1)، وقد سعى إليه وزيره القاسم بن عبيد اللّه(2) لا تلعب بوزيري وظهيري، ومن قلمه ناسج وشي مملكتي، وناظم عقد دولتي.

[336] وقال لي يوماً أبو الفتح البستي الكاتب(1): لم أعلم إلى البارحة

---

[332] تحفة الوزراء 43.
[333] ديوان أبي تمام 127/3.
[334] تحفة الوزراء 44، المنتحل 67.
(1) يحيى بن علي المنجم، نديم أديب، له مؤلفات توفى نحو سنة 300 هـ: معجم الشعراء 494، معجم الأدباء 287/7.
[335] تحفة الوزراء 44-45.
(1)أحمد بن الطيب السرخسي (286 هـ) كان من ندماء المعتضد، تلمذ للكندي، وكان متفنناً في علوم كثيرة، قتل بتهمة الالحاد: الفهرست 320-321، معجم الأدباء 98/3، الوافي 5/7-8.
(2) القاسم بن عبيداللّه (291 هـ): وزر للمعتضد والمكتفي، وكان من بلغاء الوزراء: أدب الكتاب 150، معجم الشعراء 337، نكت الوزراء 93، المنتظم 46/6.
[336] تحفة الوزراء 45-46.
(1) أبو الفتح البستي: تقدمت ترجمته في الهامش 90.

أن أبا إسحاق الصابي أكتب الناس وأبلغهم، ولولا الديانة لقلت أعقلهم، فإني عثرت على فصل من كلامه في حكمة الله تعالى في اختلاف طبقات الناس وافتقارهم إلى الملوك، والوزراء وحاجة بعضهم إلى بعض، وإطراد العالم بهذا التدبير فكدت أجنّ عليه، واحمّ من حسدي له، فقلت: وما ذاك؟ فقال: لا أطلعك عليه إلّا بمصانعة. فقلت أمر الشيخ ممتثل فأقرأني فصلاً قد كنت مررت عليه، وغفلت عنه، وهو:

من حيث خولف بين الناس كل الخلاف قد ائتلفوا كل الائتلاف. فصارت لكل طبقة من طبقاتهم منزلة يقف عندها، وصناعة تنتحلها، فسدّوا الخلل وعدوا الميل، وترافدت أيديهم، وتعانوا على مساعيهم ومعايشهم، وتساووا مع تباين تلك المنازل بهم في منزلة القصور والفاقة، ولجأوا إلى ظل المسالمة والموادعة، وذلك الأخفض للأعلى، طلباً لما في يده، وحنى الأعلى على الأسفل ضرورة إلى خدمته واقتضى ذلك أن يكون فيهم ملوك تحمي الذمار، وسوقة يلتئم بهم الشمل، فاستقرت كل فرقة بمكانها، فالملوك في الأمر والنهي والحماية، والذب، والوزراء في التدبير وجمع الفيء، والكتاب في حفظ الدواوين، وتسديد المكاتبات، والعمال في عمارة البلاد، واستدرار الارتفاع والجند في سد الثغور وجهاد العدو، والقضاة في إقامة ميزان القسط، وتنفيذ أحكام الدين، والتجار في التجهيز والجلب والعوام في المهن والحرف ولم يزل لكل منهم مستغنياً بغيره، فقيراً إلى من سواه، صعوداً من أدناه إلى أعلاهم وانحطاطاً من أعلاهم إلى أدناهم، حتى أطرد هذا العالم على ما هو عليه من ارتباط أبعاضه وأجزائه، وأحكام وضعه وبنائه. وهناك بيان أن رحمة الله في هذا التقدير الحكيم والتدبير المستقيم، نزلت على سبيل العموم، ونزلت إلى الجمهور.

[337] وقال لي يوماً بنيسابور وقد أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا:

---

[327] تحفة الوزراء: 47.

ما أحوج الأمير سيف الدولة[1] ـ يعني السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أعزّ الله أنصاره ـ لأنه كان إذاك صاحب الجيش للأمير الرضي نوح بن منصور[2] رضي الله عنه، ويلقّب بسيف الدولة ـ إلى وزير.

[338] كما أنشدتني لنفسك:

كتبُ الأميرِ كتائبٌ في المعركَهْ والرأيُ منه طيبُ داءِ المملكهْ[1]
وإذا رمى بالظنِّ خطباً مُشكِلاً أضحتْ ستورُ الغَيبِ عنه مُهتَّكهْ

[339] و[إلى] منجّم كما أنشدتني لنفسك:

صديقٌ لنا عالمٌ بالنجوم يُحدِّثُنا بلسان المَلِكْ[1]
ويكتمُ أسرارَ سلطانِه ولكن ينمُّ بسرِّ الفَلَكْ[2]

[340] وقرأت في كتاب الوزراء لابن عبدوس عن موسى بن عبد الملك[1] قال:

فرّق الفضل بن سهل[2] عيوناً له من نصحائه في البلدان وأمرهم أن يسألوا عن عيونه فعاد إليه واحد منهم، فأخبره أن وفداً وفدوا على المأمون فلّما وصلوا قالوا: ما رأينا مثل هذا الملك جلالة وعقلاً، ولا مثل وزيره كفاية وفضلاً، لولا أنّه شاب، ومن شأن الملوك أن يستوزروا المشايخ،

---

(1) سيف الدولة: أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين (412 هـ) أخباره في: ابن الأثير «تستشار الفهارس»، زين الأخبار: 66-71-89.
(2) الرضي نوح بن منصور: مرت ترجمته. الرقم 295.
[338] تحفة الوزراء 48، ديوان الثعالبي 101 رقم 137.
(1) الأصل: طبيب والتصويب من المصادر.
[339] تحفة الوزراء 48، ثمار القلوب 679، ديوان الثعالبي 102 رقم 141.
(1) الديوان: عن لسان.
(2) الديوان: إخوانه.
[340] تحفة الوزراء 48-89، ولا وجود للنص في القطعة المطبوعة من كتاب الوزراء والكتاب.
(1) موسى بن عبد الملك (246) من أصحاب ديوان الخراج، كان كاتباً مترسلاً، له ديوان رسائل: الوزراء والكتاب 263-264.
(2) الفضل بن سهل تقدمت ترجمته في الهامش 317.
=

الذين اجتمعت لهم إلى العلم(3) تجربة، وإلى الرئاسة حنكة. فاحتجب الفضل ثلاثة أيام يعالج لحيته، ثمّ ظهر للناس وهي بيضاء.

فصـــل
في الوزير الصالح

[341] قال النبي عليه السلام: إذا أراد الله بملك خيراً، قيّض له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكّره، وإن نوى خيراً أعانه، وإن أراد شرّاً كفه.

[342] واجتمعت الآراء على أنه ينبغي أن يكون وزير الملك يجمع الأصل والفضل، والقول الفصل، والأدب الجزل، والرأي الثاقب، والتدبير الصائب، ويرجع إلى نفس أمارة بالخير بعيد من الشر مذلولة على سبل البرّ، ويجمع أدوات السيادة، وآلات الرئاسة بمحبة يطبق [بها](1) قلوب العامة بعد الخاصة ويرجى أيامه بين نصح يؤثره، وجدّ في مصلحة المملكة يستعمله، وجهد في التقرب إلى سلطانه يتحمله، وتخلص على النقد والتمييز خلوص الذهب الأبريز.

[343] فإذا اجتمع الملك الفاضل والوزير الصالح الناصح، فأحرى بالمملكة أن تكون ساكنة، هادئة وأحوالها وأعمالها على النظام جارية، والرسوم الجميلة راتبة، وطرق التجارات آمنة، والأسعار منحطة، وثغور الخير مبتسمة، ونفوس الرعايا في ظلال السكون وادعة، وفي رياض الأمن راتعة.

[344] وعمدة الأمر في الوزارة أن يستوزروا الشريف المذكور، ولا

---

(3) تحفة الوزراء: العلة.

[341] الترهيب والترغيب 268/4، تحفة الوزراء 41، 50.

[342] تحفة الوزراء 50.

(1) زيادة مناسبة.

[343] تحفة الوزراء 50.

[344] تحفة الوزراء 51.

يؤهل لها الوضيع المجهول، كما فعل غير واحد من الملوك فجنوا على ملكهم، وأراقوا دماء دولتهم، وهدّموا ركن سياستهم.

[345] ومنهم عِزّ الدولة بختيار(1)، فإنه استوزر صاحب مطبخه ـ أبا طاهر محمد بن بقية(2)، وكان إلى اليوم الذي خلع عليه يقدّم الطعام إليه، ويحمل الغضاير بيديه، ويتشح بمناديل الغمر، ويذوق الألوان عند تقديمه إياها، كما يفعل من يتقلد المطبخ.

ولما استوزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار، وتعجب الناس من وزارته، وقال قائلهم: من الغضارة إلى الوزارة. ولم تكن عينه [تقع](3) إلّا على من كان فوقه من أصاغر الناس، فأما أكابرهم وأوساطهم فلم [يكونوا](4) ممن [يكلمونه](5)، وزادت به دولة بختيار أخلافاً وعاراً، وتضاحك الناس به قرباً وبعداً، وكان كل واحد منهما في عاقبة أمرهما سبباً لهلاكه.

فصل
فيما يوجب حكم السياسة من الاقتصار على وزير واحد

[346] قد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعداً من

---

[345] تحفة الوزراء 51.

(1) عز الدولة بختيار بن أحمد بن بويه (367 هـ) سلطان بويهي. جرت معارك بينه وبين ابن عمه عضد الدولة انتهت بمقتله، في قصر الجصّ، وكانت له معرفة بالأدب: يتيمة الدهر 4/2، وفيات الأعيان 267/1، الاعلام 44/2.

(2) محمد بن بقية (367 هـ): وزير عز الدولة البويهي، خلع عليه عضد الدولة سنة 364 هـ، ثم قبض عليه، وقتله بوحشية. ثم صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد: المنتظم 75/7، نكت الهميان 272/271.

(3) زيادة مناسبة.

(4) الأصل: يكن.

(5) الأصل: يكلموه.

[346] تحفة الوزراء 53.

الوزراء، والجمع بينهم في زمان واحد، وذلك خطل من الرأي، وخطأ في[1] التدبير، وفيه خطر على المملكة، إذ لا يسع الغمد سيفين، وكثرة الأيدي في الصلاح فساد.

[347] وفي أمثال العامة: من كثرة الملاّحين غرقت السفينة. وإذا كانت للدار ربتان بقيت غير مكنوسة.

[348] وأجل الأقوال وأحسنها وأصدقها قول الله تعالى **﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾** (الأنبياء: 22).

[349] وإذا كانت الوزارة تالية للملك، فكما لا يصلح ملكان في مملكة لا يصلح وزيران في دولة.

[350] وكان الخلفاء من بني العباس - على اتساع ملكهم وانتظام الشرق والغرب في عقد سلطانهم - لا يستوزرون إلاّ واحداً على ما تنطق به كتب أخبارهم، وأخبار وزرائهم إلى أن كانت آواخر أيام المقتدر، فمرضت الدولة وضعفت السياسة وشغرت المملكة، وصرف علي بن عيسى[1] عن وزارة السلطان - على فضله وعدله وسداده وحزمه - بحامد بن العباس[2] - على تخلّفه ونقصه - ثمّ لم يستغن عن (علي) لتقدمه في الكفاية، واستقلاله بما يعجز عنه غيره من أعمال الوزارة، فضمّ إلى حامد، وجعلت إليه الدواوين، فكانا يتشاركان في الوزارة، وأغلب الاسم لحامد، وأكثر العمل لعليّ حتى قال فيهما:

---

(1) الأصل: من.

[347] تحفة الوزراء 53، التمثيل والمحاضرة 261.

[349] تحفة الوزراء 53.

[350] تحفة الوزراء 53-54، مروج الذهب 203/5، الفخري 267-268.

(1) علي بن عيسى بن داود الجراح (334 هـ): من الكتاب الوزراء، تعرض لمشكلات كثيرة: تاريخ بغداد 14/12، نكت الوزراء 76-79، الفخري 267-268.

(2) حامد بن العباس: وزير كان يتولى أعمال فارس، ثم أضيفت له البصرة. ولي الوزارة للمقتدر (306 هـ)، وعزل (311 هـ)، مات في واسط: المنتظم 156/6، 167، 173.

[351] ابن بَسَّام[1]:

فَقَـدتكُمُ يـا بَني الجَـاحِـدَه ... ففي كـلِّ يَـومٍ لـكم آبـدَه
متى كـانَ يُعـرفُ فيمـا مَضَى ... وَزيـرانِ فـي دَولـةٍ واحِـدَه

[352] وقال غيره:

أعجبُ من كـلِّ مـا تـراه ... كَـون وزيـرين في بِـلادِ
فـذا سـوادٌ بـلا وَزيـرٍ ... وذا وزيـرٌ بِـلا سَـوادِ

[353] ولم يؤت بالأمس أبو علي سيمجور[1]، إلّا من كثرة وزرائه، واختلافهم في مشاورته، وإفساد هذا ما يصلحه ذلك من رأيه، وخرقه ما يرقعه الآخر من أمره، حتى صارت تلك الحال إلى أقبح المصاير، وانجلت عن أسوأ العواقب.

[354] ولما توفي الصالح[1] أبو القاسم سدّ فخر الدولة[2] مكانه من الوزارة بأبي العباس أحمد بن إبراهيم الضّبي[3] وأبي علي الحسن بن أحمد وجعلهما شريكين في وزارته، فظهر العُوار، واستمر العثار، وكان يخاطب أبو العباس، بالأستاذ الرئيس، وأبو علي بالأستاذ الجليل فقال فيهما:

---

[351] تحفة الوزراء 55، خاص الخاص 109، مجموع شعرابن بسام (ضن شعراء عباسيون) 418/2، المورد 2/15 [1986] 116 رقم 43.

(1) ابن بسام: علي بن محمد بن نصر بن بسام (302 هـ): شاعر، أديب، استفرغ شعره في الهجاء وله مؤلفات: الفهرست 167، معجم الشعراء 154، تاريخ بغداد 63/12، الوافي 149/22 (رقم 95).

[352] تحفة الوزراء 55، الفخري 269.

[353] تحفة الوزراء 55.

(1) أبو علي بن أبي الحسن محمد بن إبراهيم سيمجور: صاحب الجيش للرضي، قتل 387 هـ: أنظر أخباره في زين الأخبار (تستشار الفهارس).

[354] تحفة الوزراء 55-56.

(1) كذا تحريف، المقصود هنا الصاحب بن عباد ترجمته هامش الفقرة 83.

(2) فخر الدولة، مرت ترجمته. الفقرة 296.

(3) أحمد بن إبراهيم الضّبي (399 هـ) وزير فخر الدولة البويهي، شاعر، أديب: يتيمة الدهر 291/3، نكت الوزراء 167-170، معجم الأدباء 56/1.

[355] هبة الله بن المنجم[1]:

والـلّهِ والـلّهِ لا أفـلحـتــمُ أبــداً بعدَ الوَزير ابن عبّاد بن عبّاس[2]
إنْ جاء منكم جليلٌ: فاجلبوا أجلي أو جاء منكم رئيسٌ: فأقطعوا راسي!

فصـــل
في أخبار الملوك والولاة والصنائع والعمال

[356] كان يقال قد جمع أبرويز في وصيته لابنه شيرويه أكثر ما يحتاج إليه الملوك في تولية العمال حيث قال:

ليكن من تختاره لولايتك امرءاً كان في ضَعة فرفعته، أو ذا شرف وجدته [مهتضماً][1] فاصطنعته ، ولا تجعله امرءاً صبته بعقوبة فاتضع بها، ولا امرءاً أطاعك بعدما أذللته، ولا أحداً ممن يقع في خلده أن إزالة سلطانك خير له من إثباته.

وإياك أن تستعمل ضرعاً غَمرا أكثر إعجابه بنفسه، وقلّت تجاربه في غيره، ولا كبير أمدٍ أخذ الدّهر من عقله، كما أخذت السنّ من جسمه.

[357] وقد أحسن وأجاد لقيط بن معبد[1] في اختياره من يولي الحرب، ووافق بعض قوله خاتمة كلام أبرويز، حيث قال:

وقـلّدوا أمـركـم لله درّكـم رحـب الذراع بأمر الحرب مطلعا[2]

---

[355] تحفة الوزراء 56، اليتيمة 290/3.

(1) هبة اللّه بن محمد بن يوسف بن المنجم: أبو العباس: من الأسرة العريقة بالأدب، ومنادمة الخلفاء، والأمراء. حدّث عن أبيه وجدّه، وحدّث عنه القاضي التنوخي: نشوار المحاضرة 1/1، 11، 13، 68 و177/2، الفرج بعد الشدّة 75/5.

(2) ابن عباد: الصاحب بن عباد ينظر الهامش 83.

[356] عيون الأخبار 15/1، العقد 27/1، الجهشياري 10، التذكرة الحمدونية 301/1 رقم 814.

(1) الأصل: متهضماً.

[357] ديوان لقيط بن يعمر الأيادي (بغداد) 46-48 وفيه تخريجات كثيرة.

(1) اسم والد الشاعر يذكر أيضاً: يعمر أو معمر انظر مقدمة الديوان 7-9.

(2) الديوان: مضطلعا.

=

لا مُترفاً إنْ رخاءُ العيش ساعدَه ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشَعا
ما زال يحلب درَّ الدهر أشطره يكون مُتّبَعاً طوراً ومُتبعا[3]
حتّى استمر على شزر مريرته مستحكمَ السِّن، لا قحما ولا ضرعا[4]

[358] ومن أمثال أبي تمام السائرة في قوله ـ معنى البيت الثالث من أبيات لقيط ـ

مَنْ لَمْ يَقُدْ فيطير في خَيشومةِ رَهَجُ الخَميسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيسَا

[359] وفي وصية بعض الحكماء لبعض الملوك:

انظر من كان له غلمان وخدم، فأحسنَ سياستهم فولّه الجيش، ومن كانت له ضياع، فأحسنَ عمارتها، واستثمارها، فولّه الخراج.

[360] وكان يحيى بن خالد يقول لأبنائه: إنه لا بد لكم من ولاة وأعوان فاستعملوا أهل الشرف وذوي البيوتات، فإن النعمة بهم أليق، وهم بالجميل أعرف، والناس إليهم أميل.

[361] ويحكى أن المعتصم قال يوماً لإسحاق المصعبي: إن أخي المأمون اصطنع نفراً فانجبوا واصطنعت أنا أمثالهم فلم ينجبوا:

اصطنع طاهر بن الحسين وابنه عبد اللّه وإسحاق بن إبراهيم وآل سهل وقد رأيت كيف هم. واصطنعت أنا الأفشين وأشناس وإيتاخ ووصيفاً فلم يكونوا شيئاً. فقال: يا أمير المؤمنين إنه نظر إلى الأصول، فاستعمل فروعها فأنجبت، واستعملت أنت فروعاً لا أصول لها فلم تنجب، فقال: صدقت ولمقاساة[1] ما مرّ بي طول هذه المدة أهون عليّ من هذا الجواب.

= (3) الديوان: ما انفك.
(4) الأصل: قمحاً: تحريف.
[358] ديوان أبي تمام (الصولي) 584/1 رقم 83.
[359] نثر الدر 25/7، بهجة المجالس 337/1، محاضرات الأدباء 163/1، الجوهر النفيس 73.
[361]
(1) الأصل: مقاسات.

[362] وممّا يستحسن للمهلب قوله ليزيد ابنه:

يا بنيّ استعقل الحاجب، واستظرف الكاتب، فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه.

[363] وكان بعض الملوك يقول: الكافي الخائن من العمال أحبّ إلينا من العاجز الأمين.

[364] وكان المأمون يقول: أين الكفاة الخونة؟

- ومن توقيعاته: عامل مستعطف خيرٌ من آخر مستطرف.

[365] وفي كتاب المبهج:

- عمال الملك أسيافه، فمن ارتضاه، انتضاه فأمضاه، ومن تسخطه فليغمده ويبعده ولا يعتمده.

- وفيه: إذا تصفح الملك وجوه عماله، وتفحص عن الأصلح لأعماله، فلا يقعن اختياره إلاّ على من سبق له اختباره، ولا يتوجهن اعتماده إلاّ إلى من تقدم له إحماده ولا يكونن من ثقاته إلاّ من يتق الله حق تقاته.

- وفيه: إذا اصطنع الملك أمراً فيثبت قدمه ولينبت قوادمه.

- وفيه: لا يتخذن الملك أعواناً إلاّ أعياناً ولا أخلاء إلاّ أجلاء ولا ندماء إلاّ كرماء.

فصــل
في اختيار القضاة

[366] الأحكام أولى الأمور بالاهتمام، واختيار القضاة من شعـائر الإسلام، ومهمات الملوك، وعمد السيادة، والملوك خلفاء الله، والقضاة خلفاء النبي ﷺ.

---

[362] ربيع الأبرار 246/4.

[365] المبهج ق 96 ظ 97 و- (اعتمدناه في تصحيح النص).

[367] ولما قال عدي بن أرطأة لأياس بن معاوية دلني على قوم من القراء أولهم القضاء قال هم ضربان فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم إذا وليتهم.

[368] وأُتي المنصور برجل من القراء ليوليه القضـاء في وجهه[1] سجادة[2] فقال له:

إن كنت أردت الله فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه، وإن كنت أردت به الناس فينبغي أن نحذّرك كل الحذر.

[369] وشتّان ما بين قاضي البصرة عبيد الله بن أبي بكر وسوار ابن عبد اللّه[1]، فإن عبيد اللّه كان يميل في الحكم إلى إخوانه فقيل له في ذلك فقال: وما خير رجل لا يقطع لأخيه من دينه؟

[370] وبلغ المنصور أن سوّاراً[1] يحابي في الحكم فعزله، فحضر يوماً عند المنصور فعطس المنصور وحمد الله فشمته سوّار، ثمّ عطس ثانية ولم يحمد الله، فلم يشمته سوّار، فقال المنصور من ذا الذي يظن أن سوّاراً يحابي أحداً في الحكم، وهو لم يحابني في عطسه؟ وردّه إلى البصرة قاضياً عليها.

[371] وسمعت أبا القاسم اليماني يقول سمعت أبي يقول: كان أبو عمر القاضي ـ قاضي المقتدر لا يجلس للخصوم حتي ينال من الطعام

---

[367] الشهب اللامعة 336.

[368]

(1) الأصل وجه.

(2) بسبب كثرة الصلاة وإطالة السجود لله تعالى.

[369]

(1) سوار بن عبداللّه ترجمته الهامش اللاحق.

[370]

(1) سوّار بن عبداللّه بن قدامة: من بني العنبر، من تميم، قاضٍ، من أهل البصرة. عرف بالاستقامة. انظر بعض أخباره في: الجهشياري 113.

والشراب ويلم بأهله ـ احتياطاً على دينه وتعففاً بالحلال عما عساه تتوقف نفسه إليه من الحرام إذا بدرت منه لحظة لمن عساها تتقدم إليه من النساء الحسان، فقرأت لأبي إسحاق الصّابي فصلاً في هذا المعنى بعينه من كتاب عهد سلطاني لبعض القضاة فتعجبت من حسن عبارته وبراعته في صناعته وهو: وأمره أن يجلس للخصوم وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف عند أول الكفاية ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها وعوارض البشرية بأسرها لئلا يلمّ به منها ملم أو يطوف عليها طائف فيحولاه عن رشده، ويحولا بينه وبين سَدده.

[372] وأنشد الصاحب[1] في رسالة: قال أنشدني علي بن هارون المنجم[2] لأحمد بن أبي طاهر[3]:

فلا تجعلني للقضاة فريسةً ... فإنّ قضاةَ العالمين لصوصُ
مجالسهم فينا مجالسُ شُرطةٍ ... وأيديهمُ دون الشُّصوص شصوصُ

فأجازهما أبو جعفر البحاث[4] بقوله:

سوى عصبةٍ منهم تخصّ بعفةٍ ... ولله في حُكم العُموم خُصوصُ
فـإنهم زانـوا البـلاد وإنمـا ... يَزينُ خواتيم الملوك فُصـوصُ

[373] والآراء مجتمعة على أن القاضي ينبغي أن يكون عالماً بشعب الحلال والحرام، حسن التصرف في مدارج الكلام، فاتحاً للباب، رافعاً

[372] التمثيل والمحاضرة 193 ـ اليتيمة 443/4.

(1) الصاحب بن عباد: ترجمته هامش الفقرة 82.

(2) علي بن هارون المنجم أبو الحسن (277-352 هـ): نديم الخلفاء، أديب، موسيقار، شاعر له مؤلفات كثيرة: الفهرست 161، معجم الشعراء 156، تاريخ بغداد 119/12، الوافي 276/22-278 رقم 205.

(3) أحمد بن طيفور أبي طاهر الخراساني، أبو الفضل (204-280 هـ): مؤرخ، أديب، له نحو خمسين كتاباً: تاريخ بغداد 211/4، معجم الأدباء 156/1.

(4) أبو جعفر البحاث: محمد بن الحسين بن سليمان من زوزن، كان له محل من الشعر وتصرف في القضاء بخراسان: اليتيمة 443/4-445.

للحجاب، بارزاً للخصوم على العموم، ناظراً فيما بينهم بالسوية، عادلاً في القضية، متواضعاً مع مهابة لين الكنف من غير مهانة، نقي الجيب، سليم من العيب، عَف الأزار، طاهراً من الأوزار، قصير اليد عن أموال اليتامى، حسن النظر لمن [ ](1) إليه من الأيامى معروفاً بالعفاف عن مرافق الأوقاف.

[374] لا كما وصف البديع الهمذاني(1) قاضياً بنيسابور حيث قال في رسالة له:

قد بيّض لحيته بسواد صحيفته، وأظهر ورعه ليخفي طمعه، وقصر سباله ليطيل يده، وتغشى محرابه ليملأ جرابه.

ـ ومنها: سوس لا يقع إلّا في صوف الأيتام، وجراد لا يسقط إلّا على الزرع الحرام. ولص لا [ينقب](2) إلّا خزانة الأوقاف. وكركري لا يغيّر إلّا على الضعاف. وذئب لا يفترس عباد الله إلّا بين الركوع والسجود، وخارب لا ينهب مال الله إلّا بين العهود والسهود.

ـ ومنها: قاض لا شاهد عنده أعدل من السلة والجام، يدلي بها إلى الحكام ولا مركي أصدق لديه من الصفر التي ترقص على الظفر، ولا وثيقة أحبّ إليه من غمرات الخصوم على الكيس المختوم، ولا كفيل أوقع بوفاقه من [ ](2) الذيل وجمال الليل ولا خليل أعزّ عليه من المنديل والطبق في وقتي العشاء والفلق، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس وخصومة المفلس، ثمّ الويل للفقير إذا ظلم فما يجيزه مجلس القضاء إلّا بالنار من الرمضاء، وأقسم أن اليتيم إذا وقع إليه وقع بين مخالب الأسود وأنياب الحيّات السود.

---

[373]

(1) نقص واضطراب في الأصل، والسياق يوضح المعنى المقصود.

[374]

(1) بديع الزمان الهمذاني: ترجمته في الهامش 689.

(1) الأصل: ينقلب.

(2) الكلمة غير واضحة في الأصل.

فصــل
في الكتابة وكتّاب الملوك

[375] قد نوّه الله تعالى باسم الكتابة وعظم من شأنها ورفع من قدرها إذ أضافها إلى نفسه ـ جل اسمه ـ وإن لم تكن الإضافة من النوع الذي يضاف إلى خلقه ولا راجعه بوجه من الوجوه إلى شبهة، إلّا أنه دلنا بها على علو رتبتها، وشرف منزلتها فقال تعالى: **﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة﴾** (الأعراف/ 145) وقال تعالى: **﴿وكتبنا عليهم فيها﴾** (المائدة/ 45) وقال سبحانه: **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾** (المجادلة/21) وقال ـ جلّ جلاله ـ **﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾** (الحديد/ 27) وجعل من الملائكة كتبة وهم من أرفع الخلق درجة فقال تعالى: **﴿وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين﴾** (الأنفطار/ 10-11) وقال عزّ [ذكره] **﴿بأيدي سفرة، كرام بررة﴾** (عبس/ 15-16) والسفرة الكتبة والسفر الكتاب. فأراد تعالى تعريف عباده فضيلة الكتابة، وتنبيههم على مواقعها ومنافعها، وأقسم بالآلة التي بها تتهيأ وهي القلم فقال: **﴿ن. والقلم وما يسطرون﴾** (القلم/ 1)، وقد علمنا أن الأقسام من الله تعالى لا يقع إلّا على معاظم الخليقة والأشياء الجليلة الأقدار، الكبيرة الأخطار في نفوس عباده. ورأيناه أقسم بالقلم، كما أقسم بالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض والإنسان الذي خلقه لعبادته وجعل عمارة هذا العالم على يده، فقال تعالى: **﴿والشمس وضحاها﴾** (الشمس/ 1)، إلى قوله: **﴿ونفس وما سواها﴾** (الشمس/ 7) وهذه الأشياء التي أقسم بها هي أعيان براياه نظام أجزاء العالم فإذ قد قرن بها القلم في أقسامه فقد أنبأ بذلك على فخامة رتبة الكتابة وجلالة مزيتها وحسن أثرها في مصالح عباده ومعايشتهم ومرافقهم.

[376] وما أحسن ما أنشدنيه أبو الفتح البستي لنفسه في هذا المعنى:

---

[375] الظرائف واللطائف 35.

[376] الظرائف واللطائف 36، ديوان البستي 365 رقم 110، التمثيل والمحاضرة 157.

إذا افتخـرَ الأبطالُ يـومـاً بسيفِهم   وعدُّوه ممّا يكسبُ المجدَ والكرمْ
كفى قلمُ الكتّـاب فَخـراً ورِفعــةً   مدى الدّهرِ أن اللّه أقْسَم بالقَلَمْ

ومعلوم أن الكتاب ساسة الملك، وعماد المملكة، وألسنة الملوك، وجهابذة الألفاظ، وبأقلامهم تدبّر الأقاليم.

[377] وكان عبد الحميد يقول: إن كان الوحي ينزّل على أحد بعد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فعلى بلغاء الكتّاب.

ـ وكان يقول: أكرموا الكتّاب فإنّ الله أجـرى أرزاق الخلق على أيديهم.

[378] وكان يحيى بن خالد يقول ما رأيت باكياً أحسن تبسُّماً من القلم.

[379] وكان المأمون يقول: لله درُّ القلم، كيف يحوكُ وشيَ المملكة.

[380] وفي كتاب المبهج:

ـ الكلام الفائق بالخط الرائق، نزهة العين وثمرة القلب وريحانـة الروح، وما شيء بادل على جلالة الملك وارتفاع مقداره، وعلو خطره، وكبر همه من كتبه النافذة إلى الآفاق بالخطوط الحسنة التي تملأ العيون والألفاظ البليغة التي تشرح الصدور والمعاني الشريفة التي تسحر العقول، وليس يكمل لها إلاّ أفراد وأعيان البلغاء الذين يغرسون الدّر في أرض القرطاس ويطرزون بالظلام ورد النهار ويأخذون بأزمة الكلام السهل الجزل، وأعنّة القول الفصل فيقودونه كيف أرادوا، ويجذبونه أنّى شاؤوا، يكتبون في جلائل الأمور ومعاظم الشؤون، كالفتوح وسدّ الثغور وتسـريب الجيوش

[377] الإعجاز والإيجاز 29، ثمار القلوب 197.
[378] الإعجاز والإيجاز 41، التمثيل والمحاضرة 155.
[379] التمثيل والمحاضرة 155، الظرائف واللطائف 34، أدب الكتّاب 67.
[380] التمثيل والمحاضرة (بعضها): 157، المبهج ق 111-112.

وجباية الخراج، وعمارة البلاد وإصلاح الفساد والتحريض على الجهاد والاحتجاج على الأعداء والإبراق في مخاطباتهم والإرعاد وإصلاح ذات البين والجنوح إلى السلم والتآلف للنافر وتقريع الناكثين وغيرها من سائر الفنون فيحسنون التصرف ويستوفون العبارة ويصوبون شواكل المراد ويطبقون مفاصل السداد وربما نابت كتبهم عن الكتائب، وقامت مقام المقانب.

[381] كما قال المأمون في عمرو بن مسعدة، كتب عمرو إلى النواحي التي فيها الفتوق جيوش[1] وكما كتب ابن العميد رسالته المعروفة إلى بلكا بن وكلاذ خرشيد[2] في التهديد والتوبيخ عند استعصائه على ركن الدولة[3]، فلما بلغ أقصى غاية المهدّد قال عندها: تؤمل حالك، وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستذكرها، والمس جسدك وانظر هل تحس واجسس عرقك، وانظر هل ينبض؟ وفتش ما حنى عليه أضلاعك هل تجد في عرضها قلبك؟ وهل حلى بصدرك أن يظفر بفوت سديح أو موت مريح ثمّ قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله، فبلغني أن [بلكا] ـ وكان من آداب أمثاله أنه كان يقول:

والله ما كانت حالي عند قراءة هذا الفصل، إلاّ كما أشار إليه الأستاذ أبو الفضل، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في معرك أديمي واستصلاحي وردّي إلى طاعة صاحبه.

[382] فأما نفس البلاغة فقد قال بها القائلون وأحسن المحصلون كما قال أبو عبيد اللّه[1] وزير المهدي: ما فهمته العامة ورضيته الخاصة.

---

[381]

(1) في النص نقص يسير، والفتوق: الفتن والاضطرابات.

(2) بلكابن وكلاذخرمشيد: لم أعثر له على ترجمة.

(3) ركن الدولة: الحسن بن بويه: ترجمته في الهامش 331.

[382] التمثيل والمحاضرة 158.

(1) أبو عبيداللّه: معاوية بن عبيداللّه الأشعري (100-170 هـ): أصله من طبرية، كتب للمهدي ووزر له، وكان أوحد الناس في عصره حذقاً وخبرة وكتابة: تاريخ بغداد 197/13، اعتاب الكتّاب 72-73 رقم 13.

[383] وقال يحيى بن خالد: أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه.

[384] وقال عبد اللّه بن سليم: البلاغة ما صعب على التّعاطي، وسهُل على الفطْنة.

[385] وقال ابن المعتز: البلاغة أن تبلغ المعنى ولما يظل سفر الكلام.

[386] وكان ابن العميد[1] يقول: البلاغة ما أشار التحري إليه، وركين اللفظ القريب، فأدركن به غاية المراد البعيد.

[387] وفي كتاب المبهج:

- أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه، ويؤيس مصنعه.

- أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازُه، وكثر إعجازه.

- البليغ من يجتني من الألفاظ أنوارها، ومن المعاني ثمارها.

- البليغ يحوك الكلام على حسب الأماني ويخط الألفاظ على قدود المعاني.

[388] وكتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون كتاباً: كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قِبَلي من قوّاده وأجناده في الطاعة والانقياد، على أحسن ما تكون عليه طاعةُ جندٍ تأخرت أرزاقهم، واختلت أحوالهم. فلما قرأه قال لأحمد بن يوسف ألا ترى يا أحمد إلى ادماجه المسألة في الأخبار، واعفائه

[383] التمثيل والمحاضرة 158.
[384] التمثيل والمحاضرة 158.
[385] التمثيل والمحاضرة 158.
[386]
(1) ابن العميد: ترجمته في الهامش 331.
[387] التمثيل والمحاضرة 158، المبهج ق 111.
[388] أدب الكتّاب 234، قانون البلاغة 45-46.

سلطانه عن الإكثار ثمّ قال: سمعت الرشيد يقول البلاغة التقارب من معنى البغية والتباعد عن حشو الكلام والدلالة بالقليل على الكثير فلم أتوهم أن هذا الكلام يسهّل علي هذه الصفة حتى قرأت كتاب عمرو هذا، ثمّ أمر لهم بأرزاقهم.

[389] وسمعت أبا الفتح البستي يقول أحسن مجلس الدولة الديلمية البويهية وأعظم مفاخرها، ما ساقت السّعود إليهم من أبي الفضل ابن العميد، والصاحب أبي القاسم[1]، وعبد العزيز بن يوسف[2] وأبي إسحاق الصابىء حتى اجتمعوا في خدمتهم، وتهذيب ملكهم، وتسديد أمرهم، وهم كتّاب الدنيا، ونجوم الأرض، وأعيان الفضل، وأفراد البلاغة، وأئمة الكتابة، ولم يكن لآل سامان مثلهم إلاّ أبو القاسم الإسكافي[3] على أنه لا يشقّ غبارهم ولعمري أن أقلامهم أوضح من سيوف أجنادهم غرراً، وأحسن في تحصين الملك وتزينيه أثراً، وما أحسن بالملك أن يصرف عنايته إلى كتّاب رسائله الذين ينظمون عقود دولته، وينسجون وشي مملكته، ويسعون في تفخيم سلطانه، وتثبت أركانه، فما جمال المُلك إلاّ بهم، وما محاسن الآدب ولطائفة إلاّ معهم.

فصــل
في أطباء الملوك

[390] الأولى والأحسن بالملوك أن يرتبطوا أفراد العلوم والآداب، ورؤساء الصناعات، ويزينوا أبوابهم، ومجالسهم بهم، فإنهم كنوز الزمان،

---

[389]

(1) الصاحب بن عباد ـ ترجمته الرقم 82.

(2) عبد العزيز بن يوسف (388 هـ): وزير من الكتّاب والشعراء، كان أحد البلغاء، كتب الإنشاء لعضد الدولة، ثمّ وزر لابنه بهاء الدولة: يتيمة الدهر 323/2، نشوار المحاضرة 89/4، 85/5، المنتظم 203/7، نكت الوزراء 160-163.

(3) أبو القاسم الاسكافي: علي بن محمد النيسابوري: كان يكتب في ديوان أبي عبدالله الحسين بن محمد، ثمّ تولاه بعد وفاة الحسين (اليتيمة 155/3-156).

ونجوم العباد، ويرتفقوا بثمرات علومهم، ونتائج عقولهم، لا سيما حذاق الأطباء، فإنهم حفظة الأبدان، وخزنة الأرواح، وسياسة الطباع بإذن الله الخلاق، وشرط الملك منهم من أراق ماء شبابه في خدمة أئمتهم، والأخذ عنهم، والاقتباس منهم، ثمّ في معرفة أصول الطب وفروعها، ومطالعة الكتب القديمة والحديثة فيها، والإحاطة بجلائها ورقائقها، والتبحر في لطائفها وخصائصها ثمّ في مشاهدة المرضى ومعالجتهم، والاستكثار من مداخلتهم وممارستهم، وإذا كانت نفس الملك أعزّ الأنفس وأشرفها وأعلاها، وأولاها بحفظ الصحة ومرمة العلة، فينبغي أن يكون طبيبه أعلم الأطباء وأحذقهم، وأرفقهم وأوصفهم، وألطفهم وأجمعهم بين العلوم والتجربة والديانة والأمانة والشفقة والنصيحة والنزاهة والعفة وأبعدهم من طبع الطمع وآفات الحرص والشره.

[391] ومن له بمثل من وصفه السّري الموصلي حيث قال:

بـرّز «إبـراهيمُ» فـي علمـه ... فـراحَ يُـدعى وراثَ العِلمِ[1]
أوضـح نهج الـطب في معشرٍ ... مـا زالَ فيهـم دارسَ الـرسمِ
كـأنــه مـن لـطف أفكـاره ... يـجــولُ بيـن الـدّم واللحمِ
إن غضبتْ روحٌ على جسمِها ... أصلحَ بين الـروحِ والجسمِ

[392] آخر[1]:

هل للعليل سوى «ابن قرّة» شَافي ... بعد الاله وهـل له من كـافي[2]؟
أحيـا لنـا علم الفـلاسفـة الـذي ... أودى وأوضـح نهـجَ طبٍ عــافي
فكـأنـه «عيسى بن مـريم» مـاثـلاً ... يهبُ الحيـاة بـأيسـر الأوصـافِ

[391] ديوان السّري الرفاء 679/2 رقم 461، اليتيمة 182/2، وفيات الأعيان 314/1.
(1) إبراهيم: إبراهيم بن ثابت بن قرة بن زهرون الحراني: كان من حذاق الأطباء، ومقدمي أهل زمانه في صناعة الطب: وفيات الأعيان 314/1، الفهرست 272، أخبار الحكماء 57.
[392] ديوان السّري الرفاء 417/2 رقم 328، اليتيمة 182/2، وفيات الأعيان 314/1.
(1) كذا في الأصل، وهي للشاعر نفسه.
(2) ابن قرة: هو إبراهيم الذي تقدمت ترجمته في الفقرة السابقة.

مثلت لـه قـارورتي فـرأى بهـا ... مـا اكتنّ بين جـوانجي وشغـافي
يبـدو له الـداءُ الخفيّ كمـا بـدا ... للعين رضـراضُ الغَديـر الصَّـافي

فصـــل
في ندماء الملوك

[393] ندماء الملوك مصابيح مجلسه ومفاتيح أنسه وثمار قلبه ورياحين روحه، فينبغي أن يكونوا من علية الناس، ومن أخص الخواص جامعين بين أدب النفس أولاً وأدب الدرس ثانياً وأدب الخدمة ثالثاً عارفين بحقوق المنادمة وشروط المعاشرة ضاربين في الجدّ والهزل بالسهام الفائزة، متقدي الأقدام في المحاضرة والمكاثرة ينصتون إلّا إذا وجب القول، ولا ينبسطون إلّا إذا خرج الأمر.

[394] وما أحسن ما وصف به المأمون نديمه ثُمامة بن أشرس(1) فقال:

كان والله أعلى الناس في جدّ وأحلاهم في هزل، وكان يتصرّف مع القلوب تصرّف السحاب مع الجنوب.

[395] ووصف بعض البلغاء بعض ندماء الملوك فقال:

ما هو إلّا غذاء الحياة، ونسيم العيش، وقوة النفس، ومادة الأنس.

[396] وذكر ابن المعتز ابن حمدون النديم فقال: ذاك ريحانة الخلفاء، وشمامة الظرفاء.

[397] وذكر المهلبي الوزير نديماً له فقال: هو ريحانتي على القَدَح، وذريعتي إلى الفَرَح.

---

[394] من غاب عنه المطرب 198، أحاسن المحاسن ق 22.

(1) ثمامة بن أشرس (123 هـ) من كبار المعتزلة، كان متصلاً بالرشيد والمأمون، وكان من شيوخ الجاحظ: تاريخ بغداد 145/7، لسان الميزان 83/2.

[395] من غاب عنه المطرب 198 [نسبها إلى ابن المعتز].

[396] من غاب عنه المطرب 198 [جزء من الفقرة السابقة].

[397] من غاب عنه المطرب 198، أحاسن المحاسن ق 22.

[398] ووصف الصاحب[1] بعض بني المنجم فقال:

عشرته ألطف من نسيم الشمال على أديم المـاء الزلال، وألصق بالقلب من علائق الحب. ووصف نفسه في بعض رسائله الاخوانية فقال:

إن أردت فإني سبحةُ ناسك؛ أو أحببت فإنّي تفّاحة فاتك، أو اقترحت فإني مِدرعة راهب[2] أو آثرت فإني تحية شارب.

[399] ومن أحسن ما أحاضر به في وصف النديم بالظرف واللباقة قول الشاعر في فتى اسمه ريحان:

رَيحـانُ ريحانـةٌ إذا دارتِ الـ ـكـأسُ ومـنـهُ تـأدّبَ الأدبُ
تشـربُه الكـأسُ ليسَ يشـربُهـا يطربُ من حُسنِ وجهِ الطّربُ

فهذا من أوصاف ندماء الملوك، فأما آدابهم، وما يجب عليهم في خدمة الملوك، فمّما يشتمل عليه الباب العاشر من الكتاب.

فصـــل
في المطربين

[400] أرواح الملوك مكدودة بالمهمات الكبار من تدبير الحـروب والجيوش ومراسلة الملوك في الخطوب وإجالة الأفكار في رتق الفتوق وغيرها من معاظم الشؤون ومما يجمّها[1] ويريحها ويرفهها ويعينها على تحمل أعباء الملك والصبر على مضض السياسة عقد[2] مجالس الأنس ونظم

---

[398] من غاب عنه المطرب 199، يتيمة الدهر 245/3، أحاسن المحاسن ق 22.

(1) الصاحب بن عباد: ترجمته الهامش 82.

(2) الأصل ذاهب، التصويب من المصادر.

[399] من غاب عنه المطرب 199، يتيمة الدهر 385/2-386. وذكر الثعالبي أن البيتين لأبي خلاد المصري، قالهما في مولى لابن طولون، يقال له ريحان، وكان ينادمه.

[400]

(1) الأصل: يحمّها.

(2) كرر الناسخ هذه الكلمة.

عقد الندماء واستمطار سحاب السرور وقدح زند اللهو بتعاطي دم العنقود وملاك هذه الحال: السّماع الفايقي الملوكي الذي يرفع حجاب الأذن ويأخذ بمجامع القلب ويمتزج بأجزاء النفس وقد تقدم بعض القول فيما يحسن بالملوك ويليق بهم من جميع رؤساء الصناعات وأفراد الآداب، ومن ذلك تحصيل حذاق المطربين وأئمة المغنيين، فهم أطباء القلوب وأصدقاء النفوس وأسباب النشاط والاغتباط، وما زالت ملوك الجاهلية والإسلام يحرصون على استجلابهم وارتباطهم واستخلاصهم لأنفسهم والاستظهار على غواشي الهموم بهم.

[401] وكان بعض الخلفاء يقول: إني لأجد للغناء الفائق أريحية، لو سئلت عنها الخلافة لوهبتها.

[402] وكان الرشيد يقول: ما غنّاني الموصلي إلّا ظننت أني قد زيد لي في العُمر والملك.

[403] ووصف أحمد بن يوسف(1) غناء إبراهيم بن المهدي فقال: القلوب من غنائه على خطر فكيف الجيوب؟.

[404] وكان أبو عيسى بن الرشيد(1) يقول لابراهيم بن المهدي: السُّكر على صوتك يا عمّ شهادة.

[405] ووصف أبو العتاهية مخارقاً فقال: إنه يطعم الأذن سروراً ويقدح في القلب نوراً.

---

[401] من غاب عنه المطرب: 191.

[403] ثمار القلوب 154، لطائف اللطف 105، خاص الخاص 63، من غاب المطرب 192.

(1) أحمد بن يوسف الكاتب: ترجمته هامش الفقرة 194.

[404] من غاب عنه المطرب 192.

(1) أبو عيسى بن الرشيد: اسمه أحمد وقيل محمد (209 هـ): أمه أم ولد بربرية، اشتهر بالمجون، كان شاعراً له معرفة بالغناء: أشعار أولاد الخلفاء 88-94، الأغاني 10/197-204.

[405] من غاب عنه المطرب 192 [باختلاف في العبارة].

[406] وذكر الحسن بن وهب[1] مغنياً فقال: كأنه خلق من كل قلب، فهو يغني كلًّا بما يشتهيه.

ووصف بعضهم آخر فقال: لغنائه في القلب موقع القَطْر في الجَدْب.

[407] ووصف آخر فقال: إذا غنّى ودّت جوارح السامعين لو تكون آذاناً.

[408] ووصف آخر فقال: غناؤه كالغنى بعد الفقر، وهو عذر للسكر.

[409] وفي كتاب المبهج:

ـ خير المطربين من نغمه تطرب، وضروب ضربه لا تضطرب.

ـ وفيه: خير القيان من كان الحسن في خلقها والطيب في حلقها.

[410] وسمعت أبا جعفر الموسوي[1] يقول كان أبو جعفر المعروف بكازرك رئيس المطربين في مجلس الأمير السيد أبي صالح لبلوغه الدرجة العليا من جودة الضرب وطيب الغناء، وكان يجري مجرى القواد، ويولّى الكورة من كور الصغير وغيرها. فلّما ملك الأمير الرضي أبو القاسم[2]، وعقد له مجلس الأنس، حضره كازرك، وأخذ في شأنه فقال له الرضي: أنت غاسل الثياب. فقال أنا الذي كنت اغتسل الهموم من قلب أبيك عشرين سنة، فاعجب به وأمر له بخلعة وصلة.

---

[406] لطائف اللطف 105، خاص الخاص 63، من غاب عنه المطرب 193.

(1) الحسن بن وهب بن سعيد: من أسرة معرفة في الكتابة، ولي ديوان الرسائل ومات بدمشق وهو يتولى البريد آخر أيام المتوكل: الأغاني 533/22، سمط اللآلي 506، فوات الوفيات 367/1 رقم 133.

[407] من غاب عنه المطرب 193 [نسبه إلى سليمان بن عبدالله بن طاهر].

[408] من غاب عنه المطرب 193 [نسبه إلى الصاحب بن عباد].

[409] من غاب عنه المطرب 193، المبهج 53 المبهج ق 115.

[410]

(1) أبو جعفر الموسوي: ترجمته في الهامش 44.

(2) الرضي أبو القاسم: ترجمته في الهامش 295.

فصــل
في الغلمان الاتراك

[411] أجمعت آراء الخلفاء العباسية وملوك المشرق، على أن أصلح أجناس المماليك لخدمة الملوك، وللقيام بين أيديهم والتأدب بآدابهم، وامتثال أوامرهم، والسعي في مآربهم، والمسارعة إلى ما يقع بوفاقهم، وعلى أن أحسنهم آثاراً في الذبّ عن المملكة، وتحصينها، وتحسينها، وتزيينها، وأعظم عناء في الحروب، ومقارعة الجيوش، ومصابرة الحتوف: الترك، الذين هم في جميع هذه المناقب وغيرها، من المحاسن فوق الروم والهند والحبشة والزنج والغور وغيرهم من أصناف الأمم، الذين تستخدمهم سائر الملوك، حتى أنهم يبلغون المنازل الرفيعة، والمراتب العليّة بحسن تأتيهم للخدمة، ووفور حظوظهم من البأس اوالنجدة مع ذكاء القرائح ونفاذ البصائر في التحبّب إلى مواليهم والتقرب إلى سادتهم، وربما يصيرون ملوكاً بعد كونهم مماليك، ولا يكاد يُرى واحد من سائر الاجناس، وكافة الاجناد بخصائصهم، ووصف من فروسيتهم وجودة رميهم وشدة بأسهم، وصبرهم على الركض ومواصلة السُّرى بالسير ما يصدقه العيان وتحققه المشاهدة.

[412] ثمّ قال: وأما الصبر على الخبب، فإن الثغريين[1] والخصيان والخوارج لو اجتمعت قواهم في شخص واحد، لما وفوا بتركي واحد، فالتركي أمة واحدة.

[413] قال: وإذا سار التركي في غير عساكر الترك، فسار القوم عشرة أميال، سار التركي عشرين ميلاً، لأنه لا يزال ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة، ويصعد في ذرى الجبال، ويستبطن بغور الأودية في طلب الصيد وهو في ذلك يرمي كل ما دبّ ودرج وطار ووقع.

---

[411] قارن بمناقب الترك للجاحظ ضمن رسائل الجاحظ 1 [1-86].

[412]

(1) نسبة إلى الثغر، وجمعها ثغور.

[414] قال: وإن طالت الدلجة، وامتدّ السير، وبعد المنزل، وانتصف النهار، واشتّد التعب، وشغل الناس الكلال وصمَت المسافرون، فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه عن التشاغل بالحديث، وتمنّى كل جليد القوى على طول السّرى أن تطوى له الأرض[1] وكلما رأى خيالاً أو علماً استبشر، وظنّ أنه قد بلغ المنزل فإذا بلغه الفارس ونزل وهو [ ][2] فكأنه صبي مجنون يئن[3] أنين المريض، ويستريح إلى التثاؤب، ويتداوى مما به بالتمطي والتضجيع، ترى التركي في تلك الحال، وقد سار ضعف ما ساروا واتعبت منكبيه كثرة النزع يرى بقرب المنزل عيراً أو ظبياً يعرض له أرنباً أو ثعلباً كيف يركض ركض الميدان مبتدئاً[4]، يستأنف، حتى كأن الذي سار ذلك السير وتعب ذلك التعب، غيره، وإن بلغ الناس وادياً، فازدحموا على مسلكه أو على قنطرته حرك برذونه، وإن انتهوا إلى عقبة صعبة ترك السير وذهب في الجبل صعداً ثم تدلى من موضع يعجز عنه.

[415] قال: والترك قوم يشتّد عليهم الحصر والجثوم وطول اللبث والمكث وقلة التصرف، وأصل بنيتهم إنما وضع على الحركة، وليس للسكون فيه نصيب، وفي قوى أرواحهم فضل على قوى أبدانهم لأنهم أصحاب توقد وحرارة واشتعال وفطنة، يرون الكفاية معجزة، وطول المقام بلذة، والراحة غفلة والقناعة من قصر الهمة وترك الغزو مورث الذلة.

[416] قال: لو أُحصيت مدة عمر التركي وحسبت أيامه، لوجد جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على الأرض.

[417] ووصفهم بعض البلغاء فقال: بامثالهم يشحن أطراف الصفوف

---

[414]

(1) الأصل: الأوض.

(2) الكلمة ليست واضحة في الأصل.

(3) الأصل: يأن.

(4) الأصل: مبتدي.

وعن قسيهم تصدّ رسل الحتوف، وحملاتهم أُتي السيل، ومحيهم محي الليل.

[418] ووصفهم آخر فقال: قلوب أسود في صدور الرجال، ورياح زعازع في ثنيات جبال.

[419] وقد أحسن ابن الرومي في وصفهم حيث قال:

إذا ثبتوا فسدٌ من حديدٍ تطلّ عيوننا فيهم تحارُ
أسود الحرب أنفسهم كِبار إذا لاقوا وأعينهم صغار

[420] وينبغي للملك أن يصرف همته إلى الاستكثار من الغلمان الاتراك، ويختارهم على سائر الأجناس، ويدرجهم إلى الاصطناع، مع إعطاء السياسة حقها من التقديم والتأخير والترغيب والترهيب والانعام والتأديب، ويتخذهم أنياب الدولة وأعضادها وكماتها وأنجادها.

[421] وكان يقال لن يؤتى مَلِكٌ مَلكَ ألف غلام تركي من قلة وخفة عدّة، فإذا ملك ألفين كلمتهم واحدة وقلوبهم متعاقدة، فقد استظهر على الدهر بقوة الظهر.

[423] وكان الأمير أبو الحسن بن سيمجور[1] لا تزيد غلمانه على ثلاثمائة، فاخبرني الثقة[2] أنه لما صرف عن الجيش وولاية نيسابور بتاش الحاجب وأمر بالمسير إلى فارس اشتّد عليه ذلك جداً، وأقامه وأقعده عن ترجح رأيه بين الطاعة والعصيان فخلا يوماً بنفر من مشايخ نيسابور ـ وفيهم أبو محمد الميكالي[3] وأبو أحمد الحسين المتكافي، وشكا إليهم بثه وحزنه واستشارهم فيما عرض له فجعل أكثرهم يشير عليه بترك التخلية بين تاش

---

[419] لم أجد البيتين في الديوان.

[423]

(1) ابن سيمجور: ترجمته في الهامش 463.

(2) الثقة: أبو الفتح البستي، ترجمته الهامش 90.

(3) أبو محمد الميكالي: ترجمته في الهامش 77.

=

وخراسان ـ وأبو أحمد ساكت ـ فقال له الأمير: هات ما عندك أيها الشيخ، فقال: أيها الأمير من أشار عليك بكشف قناع المنابذة فقد غشك لأنك إنما تستظهر بالعسكر وهم ضربان: حشم السلطان وقواده وخواصه، فإذا هممت بالمنازعة والمقارعة، فأحسن حالات الحشم أن يكونوا لا لك ولا عليك، وأما قوادك وخواصك فما منهم من ينظر إليك إلّا بالعين التي ينظر بها إلى سلطانك فإن أطعته أطاعك، وإن عصيته عصاك، ولو كنت صرفت في أثمان الغلمان الأتراك ما صرفته في الضياع والعقد وغيرها، واقتنيت في مدة نيّف وعشرين سنة ألفي غلام لا يعرفون أحداً غيرك، لاستظهرت بهم على هذه النائبة، ولقيت بهم من شئت، ولكنك ضيّعت الحزم والاحتياط، وعملت عمل [الشاهات][4] والدهاقين لا عمل الملوك والسلاطين، وإذ ليس لك إلّا ثلاثمائة غلام فليس إلّا الطاعة والاستسلام والسلم، فبكى الأمير أبو الحسن، وقال صدقت أيها الشيخ، وليس الأمر إلّا على ما ذكرت وخلّى نيسابور لتاش وارتحل إلى فايق[5].

[424] وقريب من هذه الكلمات ما حدثني به أبو الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرخسي قال: سمعت غير واحد من المشايخ يحكون أن يعقوب بن الليث[1] لما ورد نيسابور وظفر بمحمد بن طاهر[2] واستولى على مَلكه ومُلكه، كان فيما أخذه من نفائس أمواله وظرائف خزائنه ألفا قطعة من محكم الزجاج وفاخر البلور لا ينقص قيمة واحدة منها عن عشرين ديناراً.

=(4) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(5) لم أجد لفايق أي ذكر لدى ياقوت.

[424]

(1-2) يعقوب بن الليث: يعقوب بن الليث الصفار (265 هـ): أمير، كان في صغره يعمل الصفر (النحاس) في خراسان، ثم استطاع تملك كرمان وشيراز. وفي 259 هـ انتحل لنفسه عذراً في اقتحام نيسابور، فدخلها عنوة، وقبض على أميرها (محمد بن طاهر) (وهو آخر الأمراء في هذه الأسرة) وتم له ملك خراسان وفارس ولم يتمكن من الاستيلاء على العراق: ابن الأثير 7: 60-107، النجوم الزاهرة 3:40، الاعلام 202/8.

فلما أقرت بعين يعقوب تعجب من كثرتها ونفاستها وقال: لو كان اشترى هذا المدبَّر بثمن كل واحدة من هذه القطاع غلاماً تركياً، لملك الفي غلام يصلحون لظهور الدواب واستعمال السلاح ولما تجاسرت على أن أطور بجنباته.

الباب السابع

في آفات الملوك

فصل
في تخليط الملوك

[425] من اعظم آفات الملوك كثرة ما يصنع من مطابخهم ويُهدى إلى موائدهم من بدائع الطيّبات وظرائف المأكولات واشتمال مجالس أنسهم المتصلة على ما يدعو إلى الاستكثار من الشراب وامتلاء قصورهم من كل ما يبعث[1] على اتّباع الشهوات، والافراط في ممارسة اللذات، فهم يستكثرون من هذه الثلاث التي حقهم الاقلال منها والاقتصاد فيها وكل كثير عدّو للطبيعة، ويتبسطون في كلها أو بعضها فيتعرضون بادامة التخليط لفساد المزاج وقِصر الاعمار.

[426] وما أكثر من كان منهم صريع يده وقتيل بطنه وفَرجه، كسليمان بن عبد الملك بن مروان، فإنه كان أكل من النار وأشرب من الرمل وأسفد من العصفور، فأكل يوماً ثلاثين دجاجة مشوية ومائة بيضة مسلوقة

[425]

(1) الأصل: من وكلمة يبعث غير معجمة في الأصل.

[426] قارن بما أورده ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: 69/2 وتوفي سليمان: 99 هـ وانظر ابن خلكان: 420/2.

=

وشرب أرطالاً من النبيذ وتمتّع بأربع من العذارى، فأخذته الكظة، وضَعفت منه المنّة، فطرقته المنية[1].

[427] وكالواثق بالله فإنه أكثر الأكل جداً وكان يأكل على غير نقاء، حتى فسد مزاجه، واستسقي فجيء له بطبيب من جند نيسابور فأمر فاحمى له تنوراً، وجلس فيه حتى سال منه عرق كثير فصلح، فقال له الطبيب إن عاودت ما كنت عليه عادت العلة إلى حالها، ثمّ لا ينفعك معها مثلما عالجتك به فلم يقبل قوله وعاد لعادته في التخليط، فعاودته[1] العِلّة حتى أتت على نفسه.

[428] وذكر الصولي عـن محمد بن يحيى بن أبي عباد[1] قال: سمعت أبي يقول ويحلف[2]: أنّ المتوكل لو لم يُقتل لما عاش، وذلك أنه قد كان خفّ دماغه ويبس بدنه من كثرة الباه، فكان يصب في أذنه أُوقية من دهن البنفسج فلا يتبين فيها ويناله سهر كثير، وكان يقول: قد اتعب الجماع أعضاي واحتاج إلى أن ابلغ المراد ولا اتعب، فوصف له الزيبق، فجعل في الزقاق ومُلئت منه بركة وفرش له فوقها، وكان يبلغ ما يريد ولا يتحرك، إذ كانت حركة الزيبق تكفيه[2].

[429] وكانت علة المكتفي[1] ـ على شبابه ـ فساد مزاج وفرط جفاف،

---

(1) وقيل إنه عرضت عليه سعلة وهو يخطب، فنزل وهو محموم، فما جاءت الجمعة الأخرى حتى مات. (الفوات 69/2).

[427] قارن بما أورده ابن دحية: النبراس 73-80، وتوفي الواثق 232 هـ: تاريخ بغداد 15:14، ابن الأثير 10:7.

(1) الأصل: فعاوته.

[428] ـ لم أجد النص في الأجزاء المطبوعة من كتاب الأوراق للصولي. وقتل المتوكل 247 هـ ـ ابن العمراني 115-120، النبراس 80-85، ابن الأثير 11/7.

(1) محمد بن يحيى بن أبي عباد: كاتب، لقّب بمحبرة، نادم المعتضد وصنّف لـه بعض المؤلفات: الفهرست 66، 379، معجم الأدباء 149/1، 391.

(2) الكلمة غير معجمة في الأصل.

[429]

(1) توفي المكتفي بالله 295 هـ: ابن العمراني 150-152، النبراس 94، خلاصة الذهب المسبوك 237، فوات الوفيات 5/3-6 رقم 334.

من كثرة الغشيان، وكان دواؤه أن يقلّ الغذاء، ويرطب بدنه قليلاً قليلاً، ولا يتعب فكان يفعل ضد هذا، ويرى الاطباء أنه يحتمي، فإذا خرجوا دعا بالجبن والزيتون والصحاني، وكل ما لا يوافقه فاستكثر فيه، واكبّ على التمتع، فلم يزل كذلك حتى سقطت قوته واشتّدت علته وأتت عليه منيته.

[430] فهؤلاء من الخلفاء، ومن يحصي عدد الملوك الذين اعترتهم هذه الآفة الشهوانية، كفخر الدولة، فإنه كان غير ضابط لعنان شهوته، ففرّغ يوماً القلعة التي استخدمها بالريّ على جبل طبرك(2)، فاشتهى طرائح من لحم البقر فذبحت بين يديه واحدة منها في نهاية السمن، وطفق غلمانه يكبّون منها، وهو يجيب داعي الشره والنهم في تناولها ودارت عليه الكؤوس ملأى، [ ](3) فلم يلبث أن رويّ عليه جوفه واتصل على الألم صوته، إلى أن هجم عليه موته.

فصــل
في آفات الملوك من العبيد

[431] ما أصدق قول علي بن الجهم من قصيدة في مقتل المتوكل بأيدي غلمانه لغيبة الطاهرية(1) عن حضرته:

ولـو شهدتـه عُصْبَـةٌ طـاهـرِيَـةٌ   مُكَـرَّمـةٌ آبـاؤهـا وجُـدودُهـا(2)
لَعَزَّ على أيدي المَنُونِ اخترامُه   وإنْ كان مَحتُوماً عليه وُرُودُها

[430]
(1) فخر الدولة ترجمته: هامش الرقم 296.
(2) جبل طَبرك: جبيل صغير بقرب مدينة الري على يمين القاصد إلى خراسان (معجم البلدان): طبرك(4/16-17).
(3) كلمة غير واضحة.
[431] ديوان علي بن الجهم 61-62 رقم 18.
(1) الطاهرية: نسبة إلى طاهر بن الحسين أحد قواد المأمون، وقد تولى إمرة خراسان ثم تعاقب أولاده عليها، وكان للطاهريين جيش عرف بالشدّة. تنظر كتب التاريخ المعتمدة: ابن الأثير - مثلاً.
(2) الديوان: حضرته. =

ولكن نـأت واستحلمته عبيـدُه   وأعظمُ آفاتِ المُلوكِ عَبيدُها[3]

وذاك أنه لا غنى بالملوك عن العبيد والخدم بحال من الأحوال، وما كلّ ملك يوفق لإحسان سياستهم والإصابة في تربيتهم وإرضاء جميعهم.

ومن رسـوم الملك رفـع بعض العبيـد على البعض بـحسب استحقاقاتهم، واختصاص الأصلح، فالأصلح لخدمتهم، والأحسن فالأحسن أثراً إلى التقرب إليهم. ومن هناك يتولد لهم التحاسد والتعادي والتنافر، حتى يؤدي إلى التحارب والتظافر[4] والتعاون على العظائم، فكم من كريم عدت عليه منيته من يدي لئيم، وكم من ملك هلك على يد مملوك.

[432] ولله درّ المتنبي في قوله:

فـلا تَنلك الليالي إنّ أيـديَهـا   إذا ضَربن كسرنَ النَّبعَ بالغَرَبِ[1]

ولا تُعِنّ عـدوا أنت قـاهُـره   فإنّهن يَصـدن الصّقرَ بالخَرَبِ[2]

[433] ومن الملوك من يفرط في ساسة غلمانه حتى يستحيلوا أعداء له يتعادون عليه، ومنهم من يرفق كل الرفق بهم، ويحتمل سوء آدابهم، ويغضي على هناتهم كأنوشروان، فإن المؤبذ كان يوماً عنده فسمع ضحك الغلمان من خارج الأبواب فقال: أما تمنع هؤلاء هيبة الملك مما هم فيه؟ فقال: إنما يهابنا أعداؤنا.

[434] وكان بعض الملوك يقول في غلمانه: هم أُمناؤنا على أرواحنا، فإذا أخفناهم فكيف نأمنهم؟.

[435] وكان المأمون يقول: من كرم الملوك سوء أدب غلمانهم.

= (3) الديوان: عبيد أمير المؤمنين قتلنه.

(4) الاصل: التضافر.

[432] ثمار القلوب 484، ديوانه (العكبري) 1/94-95.

(1) النبع: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال، تتخذ منه القسي، والغرب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار.

(2) الخرب: ذكر الحبارى.

[436] ومن آفات الملوك ركوبهم الهوى في تولية الغلمان المرد ما عسى الكهول يعجزون به، والنفاذ فيه فيجتمع عليهم بذلك: خبث ضمائر الأحرار وسوء آثار الأحداث الذين لم يتقدم لهم حنكة في الخطوب وممارسة الحروب.

[437] وما يستظرف لابن المعتز قوله في غلام أمرد جعل أميراً على الجيش:

جعلت لتأمير البلاد مقرطقاً | تنوء بكشح في القباء هضيمِ
وتذكر عراب البلاد إذا بدا | بخد كعابٍ أو بمقلة ريمِ
وإن رام أمراً لم ينله بكى له | بكاء وليدٍ في الحجور فطيمِ
يداه تحتّ الكأس [ ] إذا ما مشى | إلى القرن من رمحٍ بهز قويمِ[1]

[438] وكان لمعزّ الدولة[1] أبي الحسن بن[2] بويه غلام يدعى «تكين الجامدار» أمرد وضيء الوجه، منهمك في الشرب لا يفارق اللّهو ولا يعرف الصحو، فلفرط ميله إليه جعله رئيس سرية جرها لمحاربة أبي المرجا[3] وهبة الله بن ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان، فأشار عليه أبو محمد المهلبي الوزير، بأن لا يخرجه في مثل ذلك الوجه وأن يعدل عنه إلى أحد مشايخ القواد المحنكين المجربين، الحزماء، الحصفاء، فلم يقبل منه وأنفذه في ألف رجل جريدة، فاطلوا على أبي المرجا وهبة اللّه وأرهقوهما، فافرجا عن جميع ما كان لهما من الكراع والاثقال والآلات، فتفرق العسكر

---

[437] لم أجد الأبيات في ديوان ابن المعتز.
(1) الأصل غير واضح.
[438] اليتيمة 226/2.
(1) معز الدولة أحمد بن بويه (303-356هـ) من ملوك بني بويه، كان في أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو واخواه «عماد الدولة» و«ركن الدولة» البلاد. دام ملكه في العراق 22 سنة إلّا شهراً وتوفي في بغداد: تجارب الأمم 146:6، 231، الاعلام 105/1.
(2) الكلمة مطموسة.
(3) أبو المرجا هو جابر بن ناصر الدولة؛ ابن الأثير (تستشار الفهارس).
=

في نهب ذلك وعجّلوا بالنزول في خيم القوم فما استقروا [ ][4] حتى عطف أولئك عليهم، فصارت الكبسة لهم وقتلوا منهم وأسروا واقتصوا وزادوا، ونجا تكين الجامدار على فرسه فوّقع عليه بعض صعاليك العَرب ليسلبه ويأخذه، فعرفه نفسه، وضمن له ما أرغبه حتى جاء به أي معزّ الدولة فما سلم من القوم غيره وغير مرهوب وجنداً من أصاغر الجند، فبان لمعز الدولة موقع ما أشار به المهلبي، ولكنه لم يعترف به ولا أظهره.

[439] قال أبو إسحاق الصابىء أنشدني المهلبي لنفسه في هذا الغلام ـ وكان يستظرفه ويستحسن صورته ـ ويرى أنه من عُدد الهوى لا من عدد الوغى:

طفلٌ يرّقُ الماءُ في ... وجناته ويرف عوده[1]
ويكادُ من شبه العَذارى ... فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقدِ خصرِه ... سيفاً ومنطقه تؤوده
جعلوه قائدَ عسكرٍ ... ضاعَ الرعيلُ ومن يقودُه

فصل

في عظم الشدائد التي تعرض للملوك

[440] من آفات الملوك أن محنهم في العظم والشدة على حسب أقدارهم في العلو والرفعة، وإن الشدائد التي تعرض لهم أدهى وأمرّ مما تعرض لغيرهم، صرف الله تعالى عن مولانا الملك[1]، السِّيد نوائب الزمان وطوارق الحدثان ووفر حظه من سعود الملك والملوك ونعمهم وأعاذه من نحوسهم ونقمهم وجعل على نفسه وملكه واقية باقية بطوله وحوله.

=(4) الكلمة غير واضحة.

[439] شعر الوزير المهلبي (المورد 2/3 [153] 1974 م، اليتيمة 226/2.

(1) الديوان: ويرق، والكلمة غير واضحة في الأصل.

[440]

(1) الملك: خوارزم شاه، تنظر المقدمة.

[441] ومعلوم أنه لم يملك الدنيا كملوك بني العباس، فإن الله أعطاهم مفاتيح الأرض وملكهم نواصي الخلق حتى حازوا ملك الأكاسرة والقياصرة والفراعنة والتبابعة والطراخية[1] وغيرهم من الملوك والجبابرة، وكانت المحن التي أصابتهم والبواهق التي حلت بهم بإزاء ما أتوه من جلائل النعم ورغائب القسم.

ولو ذكرت جميعها خرجت من رسم الكتاب إلى حد الإسهاب، ولكني أورد نكتاً فيها عبرة للمعتبر وعظة للمستبصر:

[442] فمنها: إن محمد الأمين[1] لما حاصره طاهر بن الحسين فاشتدّ عليه الحصار وضاق الأمر به شغب عليه جنده في طلب الأرزاق فأصبح يوماً وحجارة المنجنيق يسقط على فرشه وهو يسمع ضوضاء المحاصرين من جهة وأصوات جنده الشاغبين من أخرى، فقال وقد خنقته العبرة: لعن [الله][2] الفريقين! أما أولئك فيطلبون دمي، وأما هؤلاء فيريدون مالي.

ثمّ لم تطل به المدة حتى ظُفر به وقتل.

[443] ومنها محنة المتوكل: فإنه كان ليلة في مجلس أنسه قد أحدق به الندماء والمطربون ودارت الكؤوس، وطابت النفوس فهجم عليه جماعة من الأتراك بمواطأة المنتصر وتولى ضربه وقتله منهم باغر التركي، وانقلب مجلس اللهو والطرب بمجلس الويل والحرب وأكثر الشعراء في وصف المقتل، وأحسن منهم أحمد بن إبراهيم الأسدي في قوله:

هكذا فلتكن منايا الكرامِ بين نايٍ ومزهرٍ ومُدامِ

---

[441]

(1) الكلمة غير واضحة في الأصل.

[442]

(1) قتل الامين 198 ابن العمراني: 95.

(2) أضافة مناسبة.

[443] ثمار القلوب 190-191.

بين كـأسين ارويـاه جميعـاً كـأس لـذاتـه وكــأس الحِمـامِ

[444] ومنها: محنة المستعين بالله(1) وذلك أنه لما اضطر إلى أن خلع نفسه من الخلافة وبايع المعتز بالله أحضر ابن أبي الشوارب(2) القاضي ليقرأ الشرط على المستعين بالخلع فقال له ابن أبي الشوارب: يا أمير المؤمنين أشهد عليك بما في هذا الكتاب قال نعم فقال خار الله لك يا أبا العباس فبكى المستعين بالله، وقال: اللّهم إن كنت خلعتني من خلافتك فـلا تخلعني من رحمتك ثم أنشأ يقول:

كـلُّ ملكٍ مصيره لـذهـابِ غيـر ملك المهيمن الـوهـابِ
كـلُّ مـا تـرى يـزول ويفنى ويجازى العباد يوم الحسابِ(3)

ثم قال له اختر بلدة تنزلها فقال: قد اخترت البصرة فقيل له إنها حارة فقال: أترونها أحرّ من فقد الخلافة؟

[445] ومنها محنة المعتّز بالله(1) حين خلعه الترك، وضربوه وسحبوه وهو حافٍ حاسر والزمان حارة القيظ والوقت وقت الهاجرة، وطلب نعالاً يلبسها فلم يعطها، فأرخى سراويله ومشى عليها ثمّ إنهم سـاموه سـوء العذاب، فأدخلوه حماماً وهو عطشان مكدود فجاءه بعض مواليه بماء فيه ثلج، فحين شربه مات.

[446] ومنها محنة المهتـدي بالله(1) وكـان سفيان الثـوري [يقول](2)

---

[444] قارن بابن العمراني 126 وكتب التاريخ حوادث 248هـ.
(1) خلع المستعين بالله 248هـ: ابن العمراني 126.
(2) ابن أبي الشوارب: الحسن بن محمد بن عبد الملك (261هـ): ولي القضاء بسر من رأى في أيام المتوكل وبعده: أخبار القضاة 303/3، 324، تاريخ بغداد 410/7.
(3) البيتان في ربيع الأبرار 243/4.
[445]
(1) خلع المعتز بالله 255هـ: ابن العمراني 131.
[446] قارن بابن العمراني 133-136 وكتب التاريخ المعتمدة حوادث 256هـ.
(1) توفي 256هـ ابن العمراني 133.
(2) إضافة مناسبة.

الخلفاء خمسة، الأربعة الراشدون وعمر بن عبد العزيز قالوا والسادس المهتدي لا شك فيه، فإنه كان بسيرة العمرين وينصف ويعدل ويجتهد، فكان قد عظم في أعين الناس عامة. والأتراك خاصة حتى إذا ركب فرآه الناس ارتفع ضجيجهم بالبكاء والدعاء، ومن مآثره أنه أمر ببيع آلات الملاهي ونفي المغنيين والمخنثين عن سر من رأى وردّ هدايا النيروز والمهرجان، وجلس للمظالم فما وجد فيها تغيراً حتى احتال من يتعصب لولد المتوكل بأن قال للأتراك هذا كافر، وهو يرى السيف عليكم، فقالوا والله ما نرى سيماء الكفر عليه فقال لهم: أليس الرهبان في الصوامع يتعبدون، وقد تركوا الدنيا وهم في النار كفار فهذا مثل أولئك.

ولما أُتي المهتدي من عدله وورعه، ولم يرض الأتراك سيرته المرضية حاربوه فقاتلهم، وخذله من يثق بهم فقال وهو يستغيث بالعامة: ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم؟ فما أغاثه أحد، حتى أُخذ وقتل.

[447] ومنها محنة المعتمد على الله، فإنه مع تطاول أيامه واستمرار السلامة به، كان ممتحناً باستيلاء الأتراك عليه واستخفافهم به، واستبداد الموفق دونه بالأمور حتى قال أصبحت لا أملك دفعاً لما أسام من خسف، ومن ذلة يُمضي أمور الناس دوني ولا يشعرني في ذِكرها قلة، إذا اشتهيت الشيء الووا به عني وقالوا ههنا عِلة، وطلب في ليلة من الليالي ثلثماية دينار فلم يجدها، فقال:

أليسَ من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلَّ مُمتنعاً عليه(2)
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحملُ الأموالُ طراً ويمنعُ بعض ما يُجبى إليه(3)

[447]
(1) توفي المعتمد على الله 279هـ ابن العمراني 139.
(2) الأصل: قال.
(3) الأبيات في: المختار من قطب السرور: 289، التذكرة الحمدونية 442/1.

وبلغ من محنته وغلبة الأتراك عليه أن مفلحاً بعث إليه يسأله أن يؤثره بهزار جاريته وبدر الجلنار خادمه، فخرّق قميصه، وقال: أكذا يفعل العبيد بالموالي؟ يغصبونهم على حرمهم وغلمانهم، ثمّ قال مثل أبي صالح لا يردّ وأمر بحمل هزار إليه، وكانت أحسن زمانها وأحذقهم بالطرب والغناء، وقال: أما بدر الجلنار فله منّا موقع، فيجب أن يسعفنا بتركه فلما أبلغه الرسول ما جرى قال: أما هزار فقد حصلتها، وأما بدر فسأجده شاء أم أبى، ثمّ إنه خرج إلى حرب الزنج فقتل فيها. أبعده الله.

[448] ومنها محنة المقتدر بالله(1) فإنه ـ على جلالة شأنه وتظاهر سلطانه وانصباب الدنيا عليه ـ في مدة أربع وعشرين سنة امتحن بمؤنس الخادم حتى قتله كما تقتل الكلاب، وأخذ رأسه ونبذت جثته بالعراء فسلبت الغاغة ما كان عليها من الثياب، وغطت عورته بشيء من الحشيش، وجاءت امرأة فالتقطت الغالية التي كانت في سرّته.

[449] ومنها محنة القاهر والمتقي(1) بالخلع والسّمل.

[450] ومنها محنة المستكفي(1) فإن معز الدولة(2) أبا الحسين استوحش منه، فتقررت نيته وصحت عزيمته على خلعه، وأُلهم التدبير وعاجل بالتأنيس، ثمّ ركب في الجيش إليه يوم الخميس للسلام عليه. وجلس المستكفي على سريره واحتّف به خدمه الذين يصلون إليه في الفوج الأول، فقبّل الأرض بين يديه دفعات، ثمّ قبّل يديه ووقف بالقرب منه يخاطبه ويحادثه فأمره بالجلوس، فجلس على الكرسي والرؤساء والوجوه وقوف في

---

[448] ابن العمراني 159، تاريخ الخلفاء 610-611.
(1) قتل المقتدر سنة 320هـ.
[449] ابن العمراني 161-162، 168-174.
(1) توفي القاهر 339هـ بينما مات المتقي سنة 357هـ.
[450] ابن العمراني 175-176، تاريخ الخلفاء 633-634.
(1) توفي المستكفي سنة 338هـ.
(2) معز الدولة: ترجمته الهامش 438.

مواضعهم ومراتبهم، وأذن لأصحاب المراتب الهاشميين والكتّاب والقضاة، ثمّ للجيش بأسره من الديلم والأتراك وطبقات الناس. فحين تكامل المجلس تقدّم قائدان من قواعد الديلم أحدهما روستاكيم[3]، وكان شديداً غليظاً فتكلما بالفارسية، بما لم يفهمه المستكفي فقيل إنهما يريدان الخروج إلى حضرة عماد الدولة[4] فيشرفهما أمير المؤمنين بإعطائهما يده، فغشاها بكّمه ومدّها إليهما فتناولها روستاكيم وجذبه عن السرير فسقط إلى الأرض، وكان متعمماً على رُصافية فزالت عن رأسه، ووضع الرجلان عمامته في حلقه وسحباه ونهض معزّ الدولة وضرب بالبوقات وارتفع الصياح. ونهبت الدار واستدعي في الوقت الفضل بن المقتدر بالله، وقد كان [حاضراً] ووطىء على الاستعداد والانتظار فحضر والناس محدقون به، وجلس على سرير الخلافة، وتلقب بالمطيع لله، وجيء بالمستكفي حتّى وقف بين يديه وسلّم تسليم الخلافة، وأشهد على نفسه بالخلع، وسُمل في الليلة المقبلة واعتقل في دار السلطان.

[451] ومنها محنة المطيع[1] فإنه لمّا وردت الكتب والأخبار بأن الروم غزوا نصيبين[2]، وملكوها وأحرقوها وخربوها، وقتلوا كثيراً من رجالها وسبوا أولادهم وورد طائفة من أهلها وأهل ديار ربيعة[3] وديار بكر[4] بغداد، فاستنفروا المسلمين في الجوامع والأسواق وتجمع منهم خلق كثير وكسروا

(3) روستاكيم: انظر أخباره في ابن الأثير (تستشار الفهارس).
(4) عماد الدولة: أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو: أخباره في: ابن الاثير [تستشار الفهارس].

[451]
(1) خلع المطيع 363هـ ابن العمراني 178، تاريخ الخلفاء 635-646.
(2) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام: معجم البلدان: [نصيبين] 288/5-289.
(3) تقع بين الموصل إلى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور جميعه وما في ذلك من المدن والقرى: معجم البلدان [ديار ربيعة] 494/2.
[4] ديار بكر: تقع غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وغير ذلك: معجم البلدان [ديار بكر] 494/2.

المنابر وصاروا إلى دار المطيع وحاولوا الهجوم فيها واقتلعوابعض شبابيكها وأغلقت الأبواب دونهم بعد أن كادوا يصلون إليه ويأتون عليه واسمعوه ما كره ونسبوه إلى العجز والقعود عما أوجبه الله على الأئمة وبعدوا في القول إلى كل ما يستقبح ويستشنع ووافق ذلك إضاقه من بختيار[5] وعدولاً من وزيره إلى طلب المال من حيث يقبح ولا يحسن فبعث بختيار على أن طالب المطيع بمال وأوهمه أنه من وراء ثروة وحـال ودخل عليه من طريق الحاجة إلى الغزو، وأن ذلك واجب على الإمام فقال المطيع: إنما يلزمني الغزو إذا كانت الدنيا في يدي وليس لي إلاّ القوت القاصر عن كفايتي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما ينظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم، وتسكن له دهماء رعاياكم، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت. وترددت في ذلك مراسلات خرجت إلى طرف من الوعيد، فالتزم أربعمائة ألف درهم باع بها ثيابه وآلاته وتعدّى إلى إنقاض داره، وشاع بمدينة السلام وبين الخواص والعوام وحجيج خراسان ووفود الأطراف والأمصار أن الخليفة صودر فكثرت الشناعة وتضاعفت القباحة.

[452] ومنها فتنة الطائع لله[1]، فإنه جرى عليه من بهاء الدولة[2] مثل ما جرى على المستكفي من معز الدولة، ولما قبض عليه وامتحن وخلع وسلم إلى القادر بالله فحبسه وضيق عليه، فكتب إليه الطائع لله من الحبس:

يـا حـابسي والحَبسُ خـلّاه ... لَقيتـني مـا كـنتَ تَـلقـاه
ما أقبحَ الغـدرَ بذي قـدرةٍ ... يحسن بـالعـدل سجـايـاه
ما خنتكَ العَهدَ وقد خنتني ... عهـدي بـه شـاهـدي الله

فهؤلاء ملوك الإسلام، فأما من دونهم من ملوك الأوساط والأطراف،

(5) بختيار: عزّ الدولة، سبقت ترجمته: الرقم 345.
[452]
(1) قتل الطائع لله 381هـ: ابن العمراني 182، تاريخ الخلفاء 647-654.
(2) بهاء الدولة: أحمد بن فناخسرو. سبقت ترجمته: الرقم 302

فمن يحصي عدد محنهم العظام، ونكباتهم الجسام!!

فصــل
في جمل وجوامع من آفات الملوك

[453] فمنها أن الملك إذا طالت أيامه ولو في العدل وحسن السياسة والسيرة، وقعت من رعيته الملامة لطول الولاية واعترى نفوسهم الضجر والسآمة، وما أصدق من قال:

لا يـرتضي المرءُ حـالـه أبـداً   لا صغـراً يـرتضي ولا كبــرا
الــذّ أحـوالــه الشبــاب ولــو   دام لأبــدى المـلام والضجـرا

[454] فأما الحال التي أشار إليها الشاعر بقوله:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرىٍ   نصيبٌ ولا حظٌ، تمنّى زوالهــا
وما ذاك عن بغض لها غيـر أنه   يرجّي سواها، فهو يرجو انتقالها

ومنها تولع العامة بالملوك وحبهم الطعن عليهم، والتجسس عن أخبارهم، ونشر المعايب عنهم، ولم تزل هذه الخلال في طبائع الناس، لا يكاد ينجو منها إلاّ من رجح علمه وعظمت مروءته وظهر سؤدده، واشتّد ورعه.

[455] وكان معاوية يقول أتدرون من النبيل؟ أنا أخبركم عن النبيل هو الذي إذا حضر رأيتموه، وإذا غاب عبتموه، وهذه سبيل العظماء عند العوام، والملوك عند الرعيّة، والسادة عند العبيد.

[456] ومنها أن الرجل المخوف على الملك قد يكون محبوساً عند الملك القائم، لما يوجبه حكم السياسة من الاحتفاظ به والاستيثاق منه، فيموت حتف أنفه، فلا يشك الناس أن الملك هو الذي أمر بقتله، ويموت

---

[454] البيتان لأبي أحمد بن أبي بكر في اليتيمة 67/4 وبلا عزو في حماسة الظرفاء 188/1، معجم الادباء 227/6.

على فراشه فلا يشكون أنه هو الذي دسّ إليه السموم ومشى على دمه ويموت وهو ناءٍ عنه، فلا يشكّون أنه قد احتال له ويقدم في ذلك على يد طبيب أو خادم أو طباخ أو صاحب شراب على بعد داره، ونأي قراره، ولو تمنع مكامنه(1) واشتدّ احترازه واحتراسه ولو قتلته هفيف الريح أو صعقته صاعقة لوجد(2) من يقول فيه قولاً.

[457] ومنها كثرة أعداء الملوك وحسّادهم وأضدادهم ممن فوقهم من الملوك، وممن دونهم ومن أشكالهم ونظرائهم وأقربائهم لأسباب مختلفة وأحوال متباينة وما يحتاج إليه الملك في آناء ليله ونهاره وعند إقامته وطعنه وسكونه وحـركته من التيّقظ والتحفظ من معـارفهم(1) ومضاربهم ودبيب عقاربهم ومكايدهم، وما يستغني من شدّة الاحتياط على كل ما يأكله ويشربه محترزاً من غوائل السمّ الذي هو أعظم آفات الملوك ولا يحصى عدد [المهلكين](3) به منهم لا سيما في الشمامات فإنها [إن](4) كانت مسمومة طارت في الدماغ، فأفسدته في الوقت والساعة وولدت رعافاً قاتلاً، حرس الله مولانا الملك بعينه التي لا تنام وأطال بقاءه في ضمان كفايته وحسن رعايته.

[458] ومنها أن الخدعة المهرة الكفرة من دعاة أهل الأهواء والبدع وذوي الإلحاد في النحل كالباطنية والقرامطة والإسماعيلية، والذين يقولون بالطبائع والنجوم ولا يثبتون النبوءات ويسمون الأنبياء أصحاب النواميس والحوائج، كثيراً ما يتوصلون إلى مداخلة أعمال الملوك ممن لم يسمعوا

---

[456]

(1) الأصل: مكانمه.

(2) الأصل: لوجود.

[257]

(1) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(2) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(3) الأصل: المهلكي.

(4) اضافة مناسبة.

كلام المتكلمين ولم ينظروا في علم الكلام، فيخلون بهم ويخدعونهم برقاهم المزخرفة وشبههم المزوقة وأقاويلهم المزيفة، ويخرجونهم بزعمهم من رق الشريعة إلى حرية الإلحاد، ويكفونهم من أسار الديانة ويرخصون لهم في ترك الصلوات وسائر العبادات، واتباع الشهوات فيسلسل قيادهم لهم، ويحصل أعنتهم في أيديهم، إذ يغتنمون الراحة والدعة والأمن والسعة، فيتبسطون في ارتكاب المحارم واقتراف المآثم وإراقة الدماء والأخذ للأموال، ونقض العهود والسجلات والاستخفاف بالإسلام.

[459] وقد كان السعيد نصر بن أحمد[1] وقع في هذه الشبكة من جهة أبي الطيب المصعبي وأبي الحسن بن سوادة الرازي، فإنهما كانا من أنياب الملحدين، ومن أشدّ الناس اختصاصاً بالسعيد. ومن خبره أنه قد كان تاب من الشراب وندم على سفك الدماء، وخاف مقام ربه، وقرع باب النسك فكان يخلو بالدعاء والبكاء ويخاف الموت أشدّ الخوف فما زال المصعبي وابن سواده يخدعانه بمعسول كلامهما ويدرجانه إلى مذهبهما ويقولان له أن الهمّ والغمّ لا يدفعان مكروهاً ومحذوراً، والأصوب مباشرة اللذات ومعاقرة الكاسات وسماع القيان[2] الحسان، لتستريح النفس الناطقة من كدّها في هذا العالم الجسداني الذي كله هموم وآلام لا يدفعها إلاّ اللهو والطرب والعزف والقصب ويصوران لديه أن مرارة الموت في خوفه وأنه اللذة الكلية والراحة العظمى، لأنه باب العالم الروحاني الذي لا آلام فيه ولا أحزان ولا أهوال، وما يشبه هذه الخرافات حتى مال إلى قولهما وانخرط في سلكهما، ودخل أبو علي الجبائي[3] مدخلهما وزاد عليهما بإن كان يسمّي أصحاب الفقه: أصحاب القذارات، يعني أنهم يتكلمون في الاستنجاء والحيض وما

---

[459]

(1) نصر بن أحمد: سبقت ترجمته: الرقم 40.

(2) الأصل: القياني.

(3) أبو علي الجبائي (303هـ) محمد بن عبد الوهاب بن سلام من معتزلة البصرة، إليه انتهت رئاسة البصريين في زمانه: الفهرست 217-218. =

أشبههما، ثم إنهم زينوا لذلك المذهب: مذهب الاسماعيلية وهو مذهب أحمد بن محمد البزدهي[4] وحملوه على استدعائه والإصغاء إلى كلامه، فأمر بإحضاره فأحضر وأجل وبجّل ووقع القبول لما أظهره من الرعونة والدعوة الملعونة، فأمر السعيد بضرب سبعين ديناراً في كل دينار منها مائة مثقال لتنفذ إلى صاحب الجزيرة، وهو عندهم إمام تـلك الدعوة، فضربت وصنع الله للإسلام في هلاك المصعبي، وضعف أمر القوم وذهب الزبد جفاء، ورجع البزدهي إلى قريته متمسكاً بضلاله، وعنده بعض تلك الدنانير وعند ابن سواده بعضها، فلما توفي السعيد وقام مقامه ولده الحميد[5] عـاد ابن سواده في تزيين ذلك المذهب عنده وكتب إلى البزدهي في إنفاذ حذاق دعاته وأجدلهم وأنطقهم إلى حضرة الحميد ليدعوه ففعل، وكان الحميد مستبصراً متفقهاً في الدين آخذاً عن محمد المعروف بالحاكم الجليل، وهو إمام في مذهب أبي حنيفة فلما جاء رسول البزدهي وصل إلى حضرته في السّر وعرض عليه الدعوة فقال له الحميد: إن كانت الدعوة إلى غير الإسلام، فأعوذ بالله منها وإن كانت إلى الإسلام فقد سبقكم إليها محمد، سيّد دعاة الحق وهو النبي محمد ﷺ ولا مزيد على كمال دينه، وحسن ما نقل إلينا من آثاره وأحكامه وهب أني قبلت هذا المذهب فما معنى ستره عن الناس وهذا زهير ـ على كفره ـ يقول:

والسِّترُ دونَ الفاحشـاتِ ولا   يلقاكَ دُون الخيرِ من سترِ[6]

فقال الرسول هكذا شرط الإمام، فقال هذا لا يخلو من أن يكون خوفاً من العامة أو من الخاصة أو من السلطان، فإن كان لخوف العامة فهم رعيتي وما فيهم من يجسر على مخالفتي، وإن كان لخوف الخاصة فأي سلطان فوقي وأي يد فوق يدي، فلم يبق وجه لستر هذا الدين ولا للمين والعهد فيه

= (4) البزدهي: هكذا اثبت الناسخ لقبه، لم اعثر له على ترجمة.

(5) الحميد: نوح بن نصر، سبقت ترجمته: الرقم 50.

(6) لزهير بن أبي سُلمى: ـ التمثيل والمحاضرة 47 ـ شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى 95.

نبهت الذين كفروا والتقم الحجر ولم يحر جواباً وعاد إلى البزدهي وأخبره بما جرى، فأيقن بالشر، ولم يلبث الحميد أن طالب ابن سواده بالدنانير المذكورة، فأنكرها وحلف بالإيمان المغلظة أنها ليست عنده ولا له علم بها ولا هي في داره ولا عند أحد من أصحابه، ثمّ عثر على أكثر تلك الدنانير في بعض مخابيء داره، فأخرجت فنكبه الحميد وبطش به حتى هلك وأشخص البزدهي وطولب ببقية الدنانير، فلم يفرج عنها وخوطب في مذهبه، فالتمس المناظرة وقال إن كانت الحجة عليّ تبت من مذهبي ورجعت عن رأيي فلم يناظره واستفتى الفقهاء في أمره، فأفتوا بقتله، فقتل وصُلب.

[460] وممن أدركه شؤم هذا المذهب الفاسد من ملوك الزمان بكر بن مالك، وأبو علي بن الياس[1] وأبو جعفر بن بانوا ـ والد خلف[2] ـ وطاهر بن محمد السجزي وأبو علي بن سيمجور[3]، وقد كانت هذه النحلة الرديّة باضت وفرخت بخراسان ولولا تشمير السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أبي القاسم محمود بن ناصر الدين[4] عن ساق الجدّ في نصرة الإيمان وإقامة شعائر الإسلام وحصد نواجم الألحاد من أصولها، وقلع نوابت التعطيل بعروقها، لرفعت الفكرة الفجرة أنجادها، وأصبحت آثار الدين طامسة ومعالم الإسلام دارسة ورؤوس المسلمين ناكسة، ولكنه جرى على قرة بصيرته وحسن سريرته في حياطة الدين وشدته على الملحدين وروى

---

[460]

(1) أبو علي محمد بن إلياس: إمير كرمان (356)، سياسة نامة 101.

(2) خلف بن أحمد، من بني يعقوب بن الليث الصفار (326-399هـ)، تولى سجستان مستقلاً 350هـ: ابن الأثير 185/8، 55:9، 57، 59 وانظر أيضاً: اللباب 533/1.

(3) أبو علي بن سيمجور: ترجمته: الرقم 353.

(4) أبو القاسم محمود بن ناصر الدين (421هـ): محمود بن سبكتكين: فاتح الهند، وأحد كبار القادة، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور. في 389هـ استولى على إمارة غزنة بعد وفاة أبيه (387هـ). وصف بالفضل والعقل، له صنف «العتبي» تاريخه الذي سماه «اليميني»: ابن الأثير 139/9، زين الاخبار 104/70، الاعلام 171/7. =

سيوفه من دماء أهل الخيال وعصبة الضلال، فلم يدع للباطل علماً إلاّ أضعفه فوضعه، ولا ركناً له إلاّ ضعضعه حتى عادت أمور الدين خير معاد، وانقمع كل حاسد للإسلام ومعادٍ. والله تعالى يشكل سعيه ويطيل عمره ويجزيه كل خير عن وثاقة دينه واستحكام يقينه ويديم له النجم صاعداً والزمان مساعداً ولا يخليه من الأمر الرشيد والمقام الحميد ونبدأ في كل ذلك بمولانا الملك ونجعل الحظ الأوفى والنصيب الأوفر من الدعوات الصالحة له بمنّة.

فصل
في الاعداء وما يوجبه الوقت والحال من ملاينتهم(1) ومخاشنتهم ومقارعتهم وموادعتهم

[461] كان يقال لا تتعرض لعدوِّك في دولته، فإذا زالت كُفيت أمره.

[462] وسمعت أبا سعيد الحسن بن عبد الحميد يقول: سمعت والدي يقول سمعت أبا علي الصَّغاني(1) يقول:

ينبغي للملك أن يرفق بعدوه، كما يرفق بالزجاج الشامي، إلى أن ينتهز الفرصة فيه فيكسره، كما يكسر الزجاج بالحجر!

[463] ومن أحسن ما قرأت وسمعت في شأن العدو قول أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور(1) في كتاب عمله بالفارسية في آداب الملوك:

---

(1) الكلمة غير واضحة في الأصل.

[461] التمثيل والمحاضرة 466 (باختلاف في اللفظ).

[462] قارن بمقولة مروان بن الحكم: التمثيل والمحاضرة 466.

(1) أبو علي الصاغاني: سبقت ترجمته: الهامش 40.

[463] الأسد والغواص 76، التمثيل والمحاضرة 145، الاشارة إلى أدب الامارة 217.

(1) أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور (387هـ) قائد الجيش وصاحب الشرطة لعبد الملك بن نوح، ولي خراسان ثلاث مرات في عهد الملوك السامانيين: زين الأخبار (تستشار الفهارس).

ينبغي للملك أن يبني أمره مع عدوه على أربعة أوجه: اللين والبذل والمكاشفة والكيد.

ومثل ذلك مثل الخراج الذي أول علاجه التسكين، فإن لم ينفع فالانضاج والتحليل، فإن لم ينجع فالبطّ، فإن لم ينفع فالكيّ، وهو آخر الدواء.

[464] وسمعت أبا محمد الخوارزمي المتكلم يقول سمعت الصاحب(1) ينشد في شأن قابوس(2):

لقد صدقوا ـ والراقصات إلى منىً ـ بـأنَّ مـودّاتِ العِـدى ليس تنفـعُ
ولـو أنني داريتُ عمـري حَيّـةً إذا [استمكنت] يوماً من اللسع تلسعُ(3)

[465] والأصل في هذا المعنى قول صالح بن عبد القدوس:

إنّ العـدو وإن أبدى مسـالمـةً إذا رأى فيـك يومـاً فرصـةً وثبـا

[466] وفي كتاب كليلة: لا تغترنَّ بصداقة العدو، فإن الماء وإن أُطيل إسخانه لم يمنعه ذلك من إطفاء النار.

[467] وفي بعض وصايا الملوك لابنـه: إذا ابتليت بالعـدو القوي وعلمت أن في محاربته خطراً عليك، فاعدل إلى الرفق والمداراة والتأنيس والاستمالة وبذل المال واستبذال الأمان والتوثقة، فإن حصلت على النجح وإلّا فلا تأنف من الهرب، فإن الهرب في وقته فتح وغنيمة.

[468] وفي وصية بعض الحكماء لبعض الملوك: من خاصم بغير حجة

---

[464] ديوان الصاحب بن عباد 243-244، التمثيل والمحاضرة 123.
(1) الصاحب: الصاحب بن عباد ترجمته الهامش 83.
(2) قابوس: قابوس بن وشمكير: ترجمته الهامش 138.
(3) الأصل: مكنت. التصحيح من مصادر التخريج.
[465]. ديوان صالح بن عبد القدوس: 136، بلا عزو في: التمثيل والمحاضرة 466.
[466] التمثيل والمحاضرة 263.
[467] 1.
(1) الأصل: وصيّا.

أو صارع بغير قوة أو قاتل بغير عدة فُخصم أو صُرع أو قُتل فهو الذي قتل نفسه، فإن ابتليت بمخاصمة أحد أو مصارعته أو مقاتلته، فابصر حجته، كما تبصر حجتك وأخبر قوته كما تخبر قوتك، واعرف عدته كما تعرف عدتك، فإن رأيت مقدماً، وإلّا كان التأخر قبل التندم خيراً من التندم قبل التقدم.

[469] وكان أحمد بن أبي خالد[1] يقول: لا ينبغي أن تصغر أمر عدوك، بل يجب أن يكرم ويعظم، لأنه منك بين حالين: أما ظفرت به[2] فلا يحمد أو عجزت عنه فلا يقدر.

[470] ومن أحسن ما قيل في تحفظ الملك من العدو وترك مقاربته والاحتيال لاستئصاله سراً وجهراً قول ابن المعتز:

يا آلَ عبّاسٍ لَعاً من عثرةٍ   لا تَركَنُنَّ إلى الغُواةِ الحُسَّدِ
إيـاكمُ من بـعـدِهـا إيـاكمُ   كونُوا لها كأراقمٍ في مَرْصَدِ
وخذوا نصائحَ حازمٍ مُتعصبٍ   بالشيبِ مجتمعِ النُّهى مُستأسِدِ
شـدّوا أكفّكمُ على ميـراثِكمْ   فـالله أعـطاكم وراثـة أحمـدِ
ومتى يَرمُها الرائمونَ فبادروا   هـامـاتِهم حَصـداً بكـلِّ مُهنَّـدِ
طوراً مجاهرةً، وطوراً غيلةً   كم قـاتلٍ بسلاحِ كيدٍ مُغمَدِ
هذا هو النصحُ الصريحُ وربّما   مذقَ النصيحةَ صاحبُ لم يَجهَدِ

[471] وبلغني عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني[1] أنه كان يقول:

---

[469] نكت الوزراء: 47 [باختلاف في اللفظ].

(1) أحمد بن أبي خالد: أحمد بن أبي خالد الأحول (11هـ): كان من كتاب الحسن بن سهل، ثم وزر للمأمون. وكان اكولاً نهماً ملتهب المعدة: اعتاب الكتاب: 109-13، نكت الوزراء 48-47.

(2) الكلمة موجودة في هامش الأصل.

[470] ديوان ابن المعتز [الصولي] 88/1 رقم 23.

[471]

(1) علي بن عبد العزيز الجرجاني (392هـ): قاض من العلماء، الادباء، كثير الرحلات، له شعر =

ينبغي للملك الذي يحتاج إلى مداراة(2) عدّوه مرة ومقارعته أُخرى أن يعرف مغازي رسول الله ﷺ وحروبه وسراياه وبعوثه، ومتى قارب ولأين وكم ساتر وخافت، وفي أي وقت هاجر وكاشف ومدّ إلى أعدائه وحارب وكيف دبّر أمر الله الذي ابتعثه له وقام بأعباء الحق الذي طوّقه ثقله، وأيها قدّم وأيها أخرّ، وبأيها بدأ وبأيها ثنّى وثلث، فيجعلها أئمة أحواله وأزمة أفعاله.

فصل
في الجند والجيش

[472] الجند عدة الملك وعمدته في ملكه وقوة قلبه وقرة عينه، ملاك أمره وركن سلطانه وسبب قدرته فلتكن عنايته باختياركم وحسن النظر لهم والأفضال عليهم بحسب هذه الحال.

[473] وكان يقال: أي ملك نصر جنده، فقد نصر ملكه، وأي ملك خذل جنده فقد خذل نفسه.

[474] ومما اجتمعت الآراء عليه أن قوة الملك بالجند، وقوة الجند بالمال، وقوة المال بالرعية، وقوة الرعية بالعدل، وأحق الناس بإنفاق الأموال عليهم من ينفقون من نفوسهم في محاربة أعداء الملك.

[475] وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائي بقوله:

كم بين قـومٍ إنّمـا نفقـاتُهم   مـالٌ وقـومٍ يُنفقـون نُفُوسـا

[476] وفي الصحاح من أخبار النبي عليه السلام: خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يغلب اثني عشر ألفاً من قلة.

= حسن ولي قضاء جرجان والري، له مؤلفات أشهرها: الوساطة بين المتنبي وخصومه: يتيمة الدهر 238/3، معجم الادباء 249/9، الاعلام 300/4.

(2) الأصل: مدارات.

[475] التمثيل والمحاضرة 152، شرح الصولي لديوان أبي تمام: 582/1 رقم 83.

[476] برد الاكباد 125.

[477] وفي خبر آخر: ما غلب قوم بلغوا اثني عشر ألفاً، إذا اجتمعت كلمتهم.

[478] وكان ابن العميد[1] يقول: ينبغي للملك أن يستظهر على أعدائه بأجناس الناس الإحرام عدة ملكه والإعراب أنياب ملكه والجيل والديلم ركن جيشه، والأتراك جمرة عسكره والهنود حرسة أبوابه، وحصونه والأكراد علفاً لسيوف عدوه. والواذاري ـ قوم من الأكراد سقطت أسماؤهم من صحيفة الأرزاق والعطايا فقالوا: أيها الملك فإننا نشغلهم عنك بقتلنا، وإن كنا ممن لا نتقدم في نصرتك بيأسه فإنا بمن سمح بمشايعتك في رأسه.

[479] وكان يقال لا تغني قوة الجيش مع ضعف جأش السلاح.

[480] وكان أبو عمر الخفاف ـ صاحب الأوقاف بنيسابور ـ [يقول]: الملك بجيشه، والدهقان بأكرته والفقيه بتلامذته.

فصل
في غرر من أوصاف البلغاء لجيوش الملوك بالكثرة والشوكة

[481 - 482] خيل كقطع الليل، ورجال خلقوا لقطع الآجال.

[483] جيوش ترجف لها الأرض ويستوي بها النشر والخفض، حفت الجيوش فخيلت الجبال سائرة والبحار ثائرة.

[484] جيوش يرون من الكثرة قطع ليل أسفع، ومن الحديد وجه نهار قدّ مُتّع.

[485] مواكب ضاقت عنها مناكب الأرض ذات الطول والعرض.

---

[478]
(1) ابن العميد: ترجمته الهامش 331.
[481-482] لباب الآداب 192/1.
[483] لباب الآداب 192/1.

[486] جيوش يعض بها الغضا، ويستكين لها الفضاء.

[487] جيوش تضيق عنها الأقطار وتخشع لها الأقدار، جيوش تملأ الأرض ويشجن الطول منها والعرض.

[488] جيش كالليل بكثرة الخيل وكالنهار يوضح الآثار.

[489] عساكر تتابع أفواجها، وتتدافع أمواجها.

فصــل
في فقر ودرر من ألفاظ البلغاء في أوصاف الجيوش

[490] كل شجاع قد تعود الأقدام، حيث تزّل الأقدام، وبطل يرى الأحجام عاراً لا تمحوه الأيام.

[491] سيفه أمّ الآجال، ورمحه يتمّ الأطفال.

[492] ما لسيفه قِراب، غير الرقاب.

[493] جنود كالأسود، إقداماً وكالنيران اضطراماً.

[494] أسد الحروب في غاب(1) الحديد.

[495] أبناء الغايات، وأسود الغابات.

[496] اقبلوا كالليوث الخوادر، على العقبان الكواسر.

---

[488] لباب الآداب 192/1.
[489] لباب الآداب 192/1.
[490] لباب الآداب 192/1.
[491] لباب الآداب 192/1.
[492] لباب الآداب 192/1.
[493] لباب الآداب 192/1.
[494] لباب الآداب 192/1.
(1) العبارة موجودة في هامش الأصل وفي اللباب: غابة.
[495] لباب الآداب 192/1.

[497] آحادهم ألوف ووحدانهم صفوف، الحرب دأبهم والجد آدابهم.

[498] وقوفهم حتوف، ولحظاتهم سيوف، وحملاتهم زلازل، وسطواتهم مفاصل.

فصل
في ذكر الحرب

[499] ليس شيء من أمور الدنيا وأحوالها وأهوالها أصعب وأشدّ وأعظم من الحرب التي النفقة فيها من الأنفس، والنفقة في غيرها من الأموال، كما قال أبو تمام:

والحربُ مشتقّةُ المعنى من الحَرَبِ(1).

[500] ومن خصائصها أنه يستحسن فيها كل ما يستقبح في غيرها، ويؤمر فيها ما ينهي عنه فيما سواها من الخديعة والمكر والكذب والتبذير والجهل والتهور وترك النظر في العواقب حتى إن كثرة التكبير فيها لا يُستحسن.

[501] وكذا قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ يوم الجمل لأصحابها: إياكم وكثرة التكبير في الحرب، فإنها من الفشل.

[502] وقال النبي ﷺ: الحرب(1) خدعة.

[503] وقال بعض الحكماء: الجهل في الحرب خير من العقل.

---

[497] لباب الآداب 192/1.
[499] شرح الصولي لديوان أبي تمام 200/1 رقم 3.
(1) طلعه:
لما رأى الحربَ رأى العين توفلسٌ.
[501] عيون الأخبار 108/1.
[502] سنن الدارمي 358، مسند أحمد 6311، نثر الدر 246/1.
(1) الكلمة موجودة في الهامش.

[504] وكان علي رضي الله عنه يقول: من أكثر النظر في العواقب لم يشجع.

[505] وكان يقال التبذير مذموم في كل حال إلّا عند الحرب.

[506] وأجمعت الآراء من الحكماء على أنه ينبغي أن تدفع الحرب ونؤخر ما أمكن، فإذا لم يكن لها بدّ فينبغي أن يبلغ فيها كل مبلغ من التشمير والجدّ واستفراغ القوة واستغراق النجدة واستعمال الحيلة وأعمال الكيد والخديعة.

فصل
في آداب الحرب المقتبسة من القرآن

[507] أمر الله تعالى في الحرب بالاجتماع والتعاضد فقال عزّ ذكره: **﴿قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾**. (التوبة: 35).

[508] وكان المهلب بن أبي صفرة يقول: محرّض خير من ألف مقاتل، ثمّ يقرأ: **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾**. (الأنفال 65).

[509] وقد جمع الله جميع آداب الحرب في قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾** (الأنفال 45) إلى قوله: **﴿إن الله مع الصابرين﴾** (الأنفال 45) فأمر أولاً بالثبات عند لقاء العدو بذكر الله الذي يستنزل به النصرة، ثمّ بطاعة الله التي لا بدّ منها في جميع الأحوال ثمّ بطاعة الرئيس للمرؤس غنمها وعلى الرئيس غرمها ثمّ نهى عن التنازع المؤدي إلى التخالف وذهاب الريح وكلال الحدّ، ثمّ أمبر بالصبر الذي هو ملاك الأمر فمن أخذ بهذه الآداب الحسنة في الحرب، فلا شك في إفلاحه وإنجاحه.

[510] وقال بعض أصحاب الجيوش الحزمة: التعزير مفتاح الهوس، وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** ومن

---

[506] عيون الأخبار 115/1.

وهن الأمر إعلامه قبل إحكامه وقد ذمّ الله تعالى على الإذاعة فقال: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾**. (النساء 83).

[511] وحكي ابن خالويه(1) قال: بلغتني عن أبي نقش(2) ـ صاحب لسيف الدولة(3) حكاية ظريفة قال: قلت لسيف الدولة ـ وهو يكتب إلى ملك الروم ـ أيها الأمير أراك تثني على ملك الروم إلى طاعتك. أفتجعله أكبر من ملك؟ فضحك، فقال: **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾**. (آل-عمران 139).

فصــل
في سائر آداب الحروب وشروطها

[512] تقدم الاسكندر إلى صاحب جيشه بأن يحبّب إلى عدوه الهرب فقال كيف اصنع قال: إن ثبتوا فجدّ في قتالهم وإن انهزموا فلا تطلبهم.

[513] ولما سار هرثمة(1) إلى خراسان وبينه وبين العدو مسيرة شهر خندق إلى معسكره وألقى الحسك(2) فقيل له إن العدو إذا بلغه فعلك هذا طمع فيك فقال: بل العدو إذا بلغه فعلي انقطع طمعه عني.

[514] وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان لمّا وُجه

[511]
(1) ابن خالويه: الحسين بن أحمد (370هـ): لغوي، من كبار النحاة، عهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. له مؤلفات كثيرة: اليتيمة 76/1، انباء الرواة 324/1-327، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين 101-102.
(2) الاسم غير واضح في الأصل، ولم افز له بترجمة.
(3) سيف الدولة: ترجمته في الهامش 261.
[512] أحاسن كلم النبي 13.
[513]
(1) هرثمة بن أعين (200هـ): أمير، من القادة الشجعان، ولاه الرشيد مصر ثم إفريقية فخراسان. انحاز إلى المأمون ضد الأمين واخيراً قتله في سجن مرو: ابن الأثير 45/6-107، النجوم الزاهرة 88/2-90، الاعلام 81/8.
(2) الحسك: الشوك.

إلى الشام(1): استظهر بالزاد والماء وسر بالادلاء واحترس من البيات، ولا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه وإذا أتتك رسل العدو فأنزلهم معك في معظم جيشك ووّسع عليهم النفقة وامنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا.

[515] وفي وصية عمر رضي الله عنه لامراء جيوشه: لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تقتلوا عند الغارة، ولا تغيروا عند القتل، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً.

[516] وأوصى عبد الملك بن صالح(1) أمير سرية له ببلاد الروم فقال: أنت تاجر الله في أرضه فكن كالمضارب الكيّس الذي إن وجد ربحاً تجر، وإلاّ احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة وكن من احتيالك على عدوك اشدّ حذراً من احتيال عدوك عليك.

[517] وسئل بعض ملوك الفرس عن وثائق الحزم في القتال فقال: إذكاء العيون واستطلاع الاخبار وإرسال الطلائع وكتمان الأسرار، وإفشاء الغلبة وإظهار السرور، وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يستنصح ولا استنصاح لمن يغش ولا تحويل أحد عن مكانه إلاّ بسدّه بمن يقوم مقامه ومحايلة العدو وعن الريف وإعطاء الصادقين من الجواسيس ومعاقبة الكذبة منهم وتسهيل سبل المستأمنة من جانب العدو.

[518] وكان يقال من كان بازاء العدو فليحذر المواثبة إن قرب، والغارة إن بعد، والكمين إن انكشف، والاستطراد إن ولي.

---

[414]

(1) كرر الناسخ هذه العبارة.

[516] عبد الملك بن صالح (196هـ): أمير من بني العباس، ولاه الهادي إمرة الموصل 169هـ. ثم ولاه الرشيد المدينة ومصر ودمشق. حبسه الرشيد ببغداد (187هـ) ثم أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة (193هـ). فأقام بالرقة أميراً إلى أن توفي: ابن الأثير 85/6، النجوم الزاهرة 90/2-151. الاعلام 159/4.

[519] وفي كتاب الآيين(1): ادفع الحرب ما استطعت فإن لم تجد منها بدّاً فاخرّها إلى آخر النهار، وخل بين المنهزمين وبين الذهاب ولا تحل بين العدو والماء لئلا يخرجوا إلى الجدّ في المحاربة. وينبغي أن تغلب العدو على الأرض ذات الخضر والشجر والأنهار للمعسكر ومصاف الجنود.

[520] وقال بعض المجربين ليسّ شيء اشدّ تحريضاً(1) للجنود على الجدّ في القتال من أن يكون لها مواد من ورائها وغنائم أمامها، ثمّ من مجاراة الرئيس إياها عن حسن الغناء والتشريف على رؤوس الاشهاد.

[521] وقال بعض الحكماء لبعض الملوك لا تباشرن الجند بنفسك ألاّ في ثلاثة أحوال: إما أن ترى أصحابك قد تضعضعوا، أو أشرفوا على الهزيمة فتباشرها لتردّ إليهم نفوسهم وتنشطهم للقتال.

وإما أن ترى فرصة في العدو فثق عند مباشرتك بالظفر.

وإما أن يكون بين ملك أرفع منك رتبة تقربـاً(1) والتماساً لمكانه لديه.

[522] وفي كتاب الآيين ينبغي أن تختار للكمين من فيـه الجرأة والصرامة ولا ينبغي أن يكون بينهم أنين ولا سعال ولا عطاس، وليركبوا الخصيان من الخيل لئلا تصهل ولا تعبث وليكتموا(1) في الحفر والاماكن الخفية القريبة من الماء لينالوا منه، إن طال مكثهم وليقدموا بعد الروية والتشاور والثقة باصابة الفرصة، وليكن إيقاعهم كضرام الحريق وليجتنبوا الغنائم إلاّ بعد الفراغ من الايقاع.

---

[519] عيون الأخبار 114/1.

آلايين: أو الائين أي كتاب الرسوم أو التقاليد والدساتير ولابن المقفع كتاب يحمل هذا الاسم، انظر الفهرست: 153، 364.

[520]

(1) كرر الناسخ الكلمة.

[521]

(1) كلمة غير واضحة في الإصل.

[522]

(1) الأصل: وليمكثوا، والتصويب في هامش الأصل.

[523] وكانت العجم تقول: ينبغي أن يكون في قائد الجيش وثبة الأسد وختل الذئب وروغان الثعلب وصبر الحمار وحملة الخنزير وحراسة الكركي وبكور الغراب واستلاب الحدأة.

فصـــل
في كلمات تجري مجرى الأمثال في شأن الحروب وما يتعلق بها من الأسباب في السياسات

[524] الحرب يقدمها الكلام.

[525] الحرب أولها كلام وآخرها اصطلام(1).

[526] الحرب سجال، وعثراتها(1) لا تقال.

[527] الشجاع مُوقّى والجبان ملقّى.

[528] المكيدة ابلغ من النّجدة.

[529] الكيد ابلغ من الأيد(1).

[530] المكر حيلة من لا حيلة له.

---

[523] التمثيل والمحاضرة: 153، عيون الأخبار 115/1، الإشارة إلى أدب الامارة 126.
[524] التمثيل والمحاضرة 154.
[525] التمثيل والمحاضرة 154.
(1) الاصطلام: الاستئصال.
[526] التمثيل والمحاضرة 152.
(1) الأصل وعثارتها.
[527] التمثيل والمحاضرة 152.
[528] التمثيل والمحاضرة 152.
[529] التمثيل والمحاضرة 152، الميداني 79/3.
(1) الايد: القوة.
[530] التمثيل والمحاضرة 152.

[531] اذكاء العيون أنفى للظنون.

[532] التجسس ثمّ التمرس.

[533] المحاجزة قبل المناجزة.

[534] الانصراف قبل التمكن هزيمة.

[535] إذا لم تغلب فاخِلب(1).

[536] لا قتال إلّا بالجد والجد مقرون بالصبر والصبر مقرون بالظفر.

[537] السلاح ثم الفلاح.

[538] قد يجبن الشجاع بلا سلاح، ويشجع الجبان بالسلاح.

[539] الرجال بغير الأسلحة أغمار وبالأسلحة أبطال.

[540] السلاح زينة وعدة السلاح جمال وهيبة.

[541] الليل جُنّة الهارب.

[542] الفرار في وقته ظفر.

[543] الهزيمة تحلّ العزيمة.

[544] الهارب لا يُعرِّج على صاحب.

---

[531] التمثيل والمحاضرة 153.

[533] التمثيل والمحاضرة 154.

[534] التمثيل والمحاضرة 153.

[535] التمثيل والمحاضرة 154.

(1) الأصل فاجلب ـ بالجيم ـ خطأ، وخلبه جرحه أو خدعه بلطيف الكلام.

[538] التمثيل والمحاضرة 152.

[540] التمثيل والمحاضرة 152.

[541] التمثيل والمحاضرة 153.

[542] التمثيل والمحاضرة 153.

[543] التمثيل والمحاضرة 153.

[544] التمثيل والمحاضرة 153.

فصــل
في غرر من قصار وصايا الحكماء للملوك وقواد جيوشهم في الحرب

[545] احتل للريح والشمس، فإن لم يكونا معك فلا يكونا عليك.

[546] لا تغفل الحسَك إن كنت نازلاً، والخندق إن كنت مقيماً.

[547] توقّ البيات، فإن بليت به فمر بلزوم(1).

[548] إن ابتليت بالبيات فعليك بالثّبات.

[549] إذا عزمت على البيات فاكتم سرك.

[550] احذر انتقاص التعبئة وكيد المستأمنة.

[551] لا يمنع عدوّك السبيل في هزيمته.

[552] امتحن الجواسيس بانفاق أخبارهم.

[553] لا يخاطر باليسير رجاء الكثير.

[554] لا تقاتل بمن لا يرجوك ولا يحتاج إليك.

[555] لا تتعرض للنهب إلاّ بعد الابلاغ في النكاية.

[556] كن في عسكرك مجهولاً عند عدوك.

---

[545] التمثيل والمحاضرة 153 [باختلاف يسير]، ربيع الابرار 314/3، التذكرة الحمدونية 469/2.
[546] التمثيل والمحاضرة 153.
[547]
(1) كلمة غير واضحة.
[548] التمثيل والمحاضرة 153.
[551] التمثيل والمحاضرة 153.

فصــل

فيما ينبغي للملك أن يفعله عند الحرب

[557] إذا كان الملك بازاء العدو [و] احتاج إلى محاربته فمن حقه أن يترك ساعات لهوه، ويطوي بساط أنسه، ويهب أوقاته لتدبير عدوه، وتجهيز جيوشه ويصرف إليهما جميع همّه وفكره ولا يجعل التسويف والتمني وحسن الظن بالايام نصيباً من قلبه، فإن ذلك ضعف من الرأي ووهن في الملك، وأن يكثر مشاورة نصحائه وثقاته، ويكرر مجالسته معهم في المشاورة والمناظرة وتصويب الآراء وتصعيدها وتقريب الأفكار وتبعيدها، وكانت ملوك الاعاجم، وكانت الملوك إذا حزبها مثل هذه الحال أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم، أن ترفع وظائفها، واقتصرت على أدنى شيء.

[558] ويحكى عن معاوية أنه قال ما ذقت أيام صفين لحماً ولا شحماً ولا حلواً ولا حامضاً.

[559] ويذكر عن عبد الملك بن مروان صاحب أفريقية (وصاحب المشرق والمغرب وغالب الأرض والشام والحجاز وغير ذلك)[1]، أنه أُهدي إليه جارية بارعة الجمال، تامة المحاسن، شهية المتأمل، فلما نظر إليها قال لها والله أنت منية المتمني فقالت: ما يمنعك مني يا أمير المؤمنين، وهذه عندك صفتي؟ فقال بيت الأخطل:

قـومٌ إذا حاربـوا شِـدّوا مـآزرهم   دونَ النسـاء ولو بـاتت بأطْهـارِ[1]

وكان هذا في أيام خروج ابن الأشعث[2].

---

[557] قارن بنصيحة الملوك: 483.

[558] التاج 175، نصيحة الملوك 483، محاضرات الراغب 124/3.

[559] محاضرات الراغب 124/3 [فيه تفصيلات أخرى].

(1) التاج 150، الحماسة البصرية 161/1، نصيحة الملوك 484، ديوان الأخطل 119.

(2) ابن الاشعث: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (85هـ): أمير، صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي انظر أخباره وحروبه في: ابن الأثير 192/4، الأخبار الطوال 306، الاعلام 324/3.

[560] ويروى أن مروان بن محمد أقام ثلاثين شهراً لا يقعد على مائدة، ولا ينال من جارية. وكان إذا قيل له في ذلك فقال: والله ما آمن ابني، وخراسان ترجف بنصر بن سيّار[1] وأبو مجرم[2] أخذ منه بالمخنق.

[561] وكان أبو مسلم[1] اشتهى في وقت نهوضه هريسة فعملت له، فما ذاقها وابتيعت له جارية، فإن قد علقها[2]فما مسَّها حتى انعقدت الخلافة للسفاح.

فصــل
في مَسير الملك ودفع الخطب

[562] ينبغي للملك إذا أوجب الرأي نهوضه بنفسه أن يستشير ويستخير ويحتفل ويحتشد ويستمد ويستنجد، ولا يدخر ممكناً من تكثير العدد وتوفير العُدد وتقديم المراصد وتوكيد المكايد، ويسير باستظهار[1] شديد، ومال عتيد، وكراع وافر، وسلاح متطاهِر، وآلات نفيسة وخلع كثيرة معه أصناف الرجال والأبطال لازمين لنظام لا [ ][2]خلل وترتيب للقلب والجناحين لا يعترضه ذلل، ومعرفة كل واحد بموضعه من المصاف وحازم شامل للأوساط والأطراف فإذا تراءى الجمعان وافضى قرب العنان إلى العيان والتهبت جمرة الضراب والطعان، ودارت كأس الموت دهاقاً وعاد لقاء القرن للقرن عناقاً،

---

[560] مروج الذهب 240/3، التاج 175، نصيحة الملوك 483-484.

(1) نصر بن سيّار: نصر بن سيّار بن رافع الكناني (131هـ): أمير، كان شيخ مضر بخرسان، ووالي بلخ، قويت الدعوة العباسية في أيامه، ومات بساوة: ابن الأثير 148/5، البيان والتبيين 64/1.

(2) المقصود هنا: أبو مسلم، صاحب الدعوة.

[561]

(1) أبو مسلم: سبقت ترجمته: الهامش 14.

(2) كذا في الأصل، وثمة نقص يسير في النص.

[562]

(1) الأصل: باستظار.

(2) الكلمة غير واضحة والسياق واضح.

وضاق المجال وتحكمت الآجال وهب الله لأعدل الملك ريح النصر وحكم لا حسنهما سريرة وسيّره بالقهر وقضى له بالغلب وعلى عدّوه بسوء المنقلب.

[563] وكان يقال إذا كان الجدّ واقعاً والعزم صادعاً والرأي جامعاً والبذل واسعاً والسيف قاطعاً كان الله كافياً ودافعاً وهذه قصيرة عن طويلة.

فصل
في الحصون والقلاع

[564] ليس لاستفتاح الحصون والقلاع الشديدة الامتناع، الوعرة المسالك الحصينة المنيعة الجوانب، إلّا طول المحاصرة والمصابرة ودوام الملازمة والمكايدة وكدّ من فيها رشقاً بالمزاريق(1) والسهام ومغادراتهم ومراوحتهم بالعردات(2) والمجانيق(3) ومعاودة محاربتهم على تجدّد الأوقات وممانعتهم من نقل الازواد والأقوات مع استمالتهم سرّاً بأنواع الحيل، واستنزالهم بضروب الخدع حتى تلين شداتها وتسمح قادتها بمشية الله وحسن توفيقه.

فصل
في الصلح وما فيه من الصلاح

[565] أحسن وأبلغ ما قرأت وسمعت في شأن الصلح: فصل لابن

---

[564]

(1) المزاريق جمع مزراق، وهو الرمح القصير يستخدم في صناعة المنجنيق.

(2) العردات جمع عردة، منجنيق صغير.

(3) المجانيق جمع منجنيق: آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الاحجار والسهام وقوارير النفط أو أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو. منجنيق كلمة فارسية من (منجك) ومعناها «الارتفاع إلى فوق» [المعرب للجواليقي ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ القاهرة ـ 1361هـ: 306] لمزيد من التفاصيل انظر مقدمة: الأنيق في المناجنيق لابن ارنبغا الزردكاش (حلب ـ 1985م).

عبد كان[1] المصري بنى عليه كل من بعده من البلغاء وهو:

أحق ما استعمله العاملون ولحق به التالون، وآثره المؤمنون وتعاطاه بينهم المسلمون فيما ساء وسرّ ونفع وضرّ ما أصبح الشمل به ملتئماً والأمر منتظماً والسيف مغموداً ورواق الأمن ممدوداً، فحقنت به الدماء وسكنت معه الدهماء، واتصل به السرور وآمنت معه الشرور، وليس شيء بذلك أولى وإلى إحراز الثواب فيه أوفى من الصلح الذي أمر الله به وحضّ عليه ورغب فيه وندب إليه فقال وقوله الحق لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه **﴿فاصلحوا بين أخويكم﴾** (الحجرات10) وقال تعالى والصلح خير وقال عزّ ذكره: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** (الانفال 61) وقال جلّ جلاله **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾** (النساء 114).

---

[565]

(1) ابن عبد كان: أبو جعفر محمد عبد الله بن عبد كان، كاتب بليغ، كان يتولى شؤون المكاتبات والرسائل في عهد الدولة الطولونية: معجم الادباء 85/6.

الباب الثامن

في جمل ما ينبغي للملك أن يأتيه ويذره في السياسات وغيرها

فصــل

مذيل في مقدّمات الباب متصلة بنكت وعمد وغُرَر من الرياضات والسياسات والملوكيات

[566] زعمت الحكماء على اختلاف آرائها ودياناتها أن من الوحي القديم النازل من الله تعالى قوله للإنسان: اعرف ذاتك، فإنك إن عرفتها عرفت الأشياء كلها، ومما يؤيد ذلك قول الله تعالى: **﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾** (الذاريات 21).

[567] وقول النبي ﷺ: «من عرف نفسه، عرف ربه».

[568] فلمّا حاول الإنسان امتثال هذا الأمر، لم يصل إليه إلاّ بعد التمهر في العلوم العقلية والتوغل إلى فهم دقيقها وجليلها والإحاطة بكثيرها وقليلها، فإن ذلك الوحي إنما كان تلطفاً في استيفائها بالإيماء والإشارة، والخفيف من العبارة ثمّ أدّاه الاجتهاد إلى أن عرف ذاته حدّ نفسه، بأنه حيّ

---

[568] قارن باراء إفلاطون وفلاسفة اليونان القدامى: السعادة والاسعاد 42، انظر أيضاً تهذيب الاخلاق 21، 37، 38، كتاب النجاة لابن سينا 162-163، سلوك المالك في تدبير الممالك 70-71، قانون السياسة ودستور الرياسة 53-59.

ناطق ميت، وأنه مركب من الأخلاط الأربعة التي هي عناصره وأصوله وإنّ فيه نفساً ذات قوة وهي الناطقة التي مسكنها الدماغ والغضبية التي مسكنها القلب والشهوانية التي مسكنها الكبد، لكن العادة جرت بأن تسمّى هذه القوى نفوساً، وإن كان مرجعها إلى واحدة فيقال نفس نـاطقة، ونفس غضبية، ونفس شهوانية ولكل واحدة منها أحوال في مسكنها الذي تأويه، ويكون فيه فإما النفس الناطقة فيها يكون التخيّل والإحاطة بالأشياء المبصرة والمسموعة على ما هي عليه، والتميز لها ومعرفة حقها من باطلها وصحيحها من سقيمها وحسنها من قبيحها وممكنها من مستحيلها.

وأما النفس الغضبية ففيها تكون الأنفة من العار والحميّة من الضيم وطلب الاقتصاص من الظلم والانتقام عند الغضب.

وأما النفس الشهوانية ففيها يكون حبّ الطعام واللذات الحيوانية.

ومثال النفس الناطقة مثال الملك المستولي وأفضل أحواله أن يكون عادلاً، سايساً، قوياً، مهيباً، مطاعاً.

ومثال النفس الغضبية مثال الجند الذين يسدون ثغوره ويدفعون أعداءه ويقومون رعيته وينفذون أوامره، وأفضل أحوالها أن تكون عزيزة الجانب في ذاتها سهلة الطاعة والانقياد لسلطانها المستخدم لها.

ومثال النفس الشهوانية مثال رعيته الذين يجب أن تكون عريكتهم له لينة مواتية ورهبتهم منه ومن جنده مستحكمة.

ومعلوم أن البهائم مساوية للإنسان في جميع أجزاء التركيب إلاّ في النفس الناطقة التي بها صار مستولياً على جميعها وسايساً قاهراً لها، ومن أجلها كان مكلفاً موفقاً ومثاباً معاقباً، ومن وصل إلى هذه الغاية من معرفة نفسه فقد لزمه أن يسوسها أحسن سياستها ويسلكها في أرشد سبلها، وأن يميّز بين الخير والشر فيتوخى محمودات الأمور ويتوقى مذموماتها.

وكما قررت الحكماء هذه الأمثلة جعلت لطرق الخير معالم تهدي إليه

ليتبع ولطرق الشر معالم تنهي عنه ليجتنب فقال إن كل ما استحسنته النفس الناطقة من غيرها فهو الخير وكل ما استقبحته منه فهو الشر، وإنما قال من غيرها لأنها ربما عميت عن العيب إذا كان في سواها.

على أن الشاعر قد أطلق في الناس عموماً ولم ير فيهم مبرأ منه ولا سليماً فقال[1]:

أرى كل إنسانٍ يرى عيبَ غيرِه ويعمى عن العيبِ الذي هو فيه
وما خير من يخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذي لأخيه

والذي أصارها إلى هذه الحال اكتناف ما يكتنفها من شوائب النفسين الساكنين لها في هيكلها وهما الشهوانية والغضبية، فإنهما يجذبانها إلى الغلط في الأمر الخاص لها ولا يجذبانها إلى الغلط في مثله من غيرها، فليست تسلم من معارضتها إلّا أن تكون قوية أبية وليت أنها إذ أكملت قوتها واستحكمت شدّتها ثبتت لمغالبة العددين الذين معها. إذ قيل: «ويل للقوي بين الضعيفين».

فأما إن كانت ضعيفة بين القويين فهناك تجتمع العيوب والمثالب وترتفع المحاسن والمناقب وقد شبّهت الحكماء الإنسان ببيت فيه إنسان وخنزير وسبع فالإنسان العقل والخنزير الشهوة والسبع الغضب فقال أي الثلاثة غلب فالمسكن له، وذلك يوجد قياساً وعياناً، فإنّ الرجل اللبيب الضابط لنفسه وهو الحقيق بإن يسمّى إنساناً والرجل الذي قد استعبدته نفسه واستتبعته بالخنزير أشبه، والثائر الغضبان بالأسد أشبه ويحتاج في هذا الموضع إلى فضل إيضاح، وهو إن الشهوة والغضب لو كان قهرهما وحصرهما واجباً على الإطلاق لسقطا من أصل التركيب بسقوط لا يستغنى عنه، لكن ههنا ضرورة إلى الشهوة والاجتذاب وهو الطعام الذي به قوة البدن وارتكاب المناكح التي بقاء النسل بها.

(1) زهر الربيع 106.

وضرورة أخرى: الغضب لدفع الظلم وإباء الضيم والأنفة من العار والذبّ عن الحريم إلّا أنه يجب أن يكون هاتان النفسان تحت الطاعة للنفس الناطقة وسلطانها لتجريهما مجرى المركوب الذي يركب عند الحاجة بسرج يذلّله وشكيمة تكبحة، وعنان يثنيه وسوط يحفيه، فإذا نزل عند راكبه ألزمه الرباط والشكال، لئلا يجد على حال من الأحوال سبيلاً إلى أن يشرد فيهلك نفسه ويجني على غيره.

وممّا ينبغي للإنسان أن يعلم أن هذين العدوين من شهوته وغضبه وبها اختدعاه وتشبها له بالصديق الذي هو العقل فظنّ أنه في طاعته إياهما مطيع له، فاستعمل الشر على أنه خير، وجار على أنه عادل، وأخطأ على أنه مصيب، وسبيل الحازم أن يستعمل ما تقدم ذكره لينجو من مصايدهما ومكايدهما ويفلت من إشراكهما وحبائلهما، فيعرض على عقله ما تدعوه نفسه إليه، على أن الفعل من غيره ثمّ يعرضه على غيره بعد أن يكون غيره فاضلاً، فإذا حسن عنده وقوعه من غيره وحسن عند غيره وقوعه منه، فليعلم أنه خبر خالص وليمضه.

وإن كان على ضد من هذه الصفة، فليعلم أنه شرّ محض وليمتنع منه، ثمّ ليتأمل المستحسنات فإنه سيشهدها ممّا يختص الإنسان به ولا يشرك فيه البهائم كالحلم والكظم والكف والعزوف وضبط الحمية وعصيان الشهوة واعتزال المحارم [ ](2) من المآثم.

وليتأمل المستهجنات فإنه سيجدها ممّا يشرك البهائم فيه منه كَشَره البطن وعهر الفَرج ومحبة الانتقام، وكفاه بذلك وازعاً عما ضارعها فيه، وباعثاً عما استأثر عليها به.

وليس كل من قاده عقله إلى العلم بمراشد الأمور انقادت له نفسه إلى العمل بها، فقد روى كثير من أهل المعرفة يأمرون ولا يأتمرون ويزجرون

(2) كلمة غير واضحة.

ولا ينزجرون ويعرف من الأطباء من كـان ينهي عن يسير من التخليط وينهمك في كثير من المأكل ومن الفلاسفة الذي هم أطباء النفوس من كان يذمّ مقابح الأخلاق ومفاحش الأفعال ويرتكبها في خلوتها.

ولذلك قال بعض العلماء:

اعمل بعلمي وإنْ قصرّتُ في عملي ينفعْك علمي ولا يضرُرك تقصيري[3]

وتارك العمل مع الجهل عذر من تاركه مع العلم والحازم من الناس عامة والملوك خاصة ومن سدّ بالرأي ثغور الهوى ورابط فيها بجيوش النهي، إما بالإباء المرّ والاعتزام الفحل أن وثق من منته بالقوة والاستقلال وإما بالتفويض إلى النصحاء والفضلاء إن أحسّ منها بالضعف والانخزال، لأنه إنما يجادل عدواً نازلاً بين جنبيه مالكاً لجميع جوارحه عليه فإن أطاقه على الانفراد وإلّا فليستظهر عليه بالأعوان والأعضاد.

وكان جالينوس يجمع إلى حذقه بعلاج الأبدان من أمراضها الحذق بعلاج الأخلاق ومن أدوائها وله مقالة في تعرف الإنسان عيب نفسه عمدتها أن يختار صديقاً لبيباً ناصحاً راجح العقل وافر الحلم فيوليه تصفح أحواله وتتبع أعماله ليمضي منها له الحميد ويردّه عن الذميم، والملوك أحوج إلى هذا من الرعايا لأن أوامرهم ممتثلة وبوادرهم غيـر مستدركة ومعارضتهم لا تسهـل وردهم عن النزوات والجمحـات لا يمكن وبهـذا السبب قـرب فضلاؤهم أهل العقول واختصوا أولي الألباب وجعلوهم كالازمّة لينهوهم عن منكرات الأمور ويرشدهم إلى معروفاتها ويضوء لهم في ظلم الحيـرة، ويكشفوا عنهم لكنة الشبهة، وليس يستغني عنهم أحد منهم، وإن كان زائداً في الفضل عليهم، لأنه إذا اشتهى الشهـوة المحظورة أو تحركت له الشهوة المحذورة، فقد دخلت عليه آفة في راية يحتاج معها إلى من يداويه منها كما يحتاج إلى من يعالجه عند العلّة التي تعرض لبدنه.

---

(3) للخليل بن أحمد: عيون الأخبار 125/2، لباب الآداب 76/2، ديوان الخليل ضمن (شعراء مقلون 346 رقم 22). وفي الأصل: يضرك والتصويب من المصادر.

=

وإذا كان الإنسان قد علم أنه مركب من شيئين أحدهما شريف وهو النفس والآخر(4) دنيء وهو الجسم، فاتخذ للدنيء منها أطباء يعالجونه من أمراضه التي تعروه ويواظبون عليه بأقواته التي تغدوه، ويتعاهدونه بأدويته التي تتقيه، ويريك أن يفعل بالشيء الشريف مثل ذلك فقد أساء الاختيار عن بيّنة وأتى بالغلط على بصيرة وأطباء هذه النفس هم الأفاضل وأقواتها الغادية هي الآداب المأخوذة عنهم، وأدويتها المنقية هي النواهي والمواعظ المسموعة منهم.

[569] وحكي أبو إسحق الصابىء(1) عن جدّه سنان بن ثابت بن قرة(2) أن بجكم الترك ـ المعروف بالماكاني المتولي لإمارة الأمراء ببغداد ـ كان من أعقل أهل جنسه في حال رضاه فإذ غلب عليه غضبه قتل وجنى وسطا وبطش وانتقم واصطلم، ثمّ يندم عند سكونه من ثورته وإفاقته من سكرته فتبين عيب نفسه وشاوره في علاج هذا المرض الناهك لدينه وعقله فأشار عليه بأن يتخذ ندماء وخلطاء من ذوي الرحمة واللين والإيمان والدين ووفور الحلم ورجحان العقول وأن يأذن لهم في تسكينه عند فورته والشفاعة عند غضبه فقال له قد فعلت ذلك، وأنت أولى من كلفته إياه ثمّ حلف باليمين الغموس التي لا كفارة لها ولا فسحة فيها أن لا يمضي على أحد قتيلاً إلاّ بعد مضي ثلاث من تقدمه بذلك فيه فليبرد غيظه ويتأتى لهؤلاء الشفعاء المخاطبة له، فإن أوجب العدل إمضاء ما أمر أمضى، وإن أوجب أبطاله أبطل وأن لا يتعدى فيما صفعه من الضرب العدد المحدود الذي [لا] يمكن أن يتحمله إلاّ [ ](3) الرقيقة ففعل ذلك ولزمه باليمين أن يقيم عليه وانتفع به ونقض كثير من حدّته.

= (4) الأصل: الأخرى.

[569]

(1) أبو إسحاق الصابىء: ترجمته في الهامش 111.

(2) سنان بن ثابت بن قرة الحراني (331هـ): طبيب عالم، خدم الخلفاء العباسيين له عدة مؤلفات أهمها «التاجي»: طبقات الأطباء 220/1، الاعلام 141/3.

(3) كلمة غير واضحة في الأصل.

[570] ونظيره من الحكاية ما ذكره أبو زيد البلخي[1] في كتابه «كتاب السياسة» فإنه ذمّ الغضب من الملوك ووصف سوء أثره وإحالته صورة الملك إلى أقبح المناظر وأوحشها حتّى يزول كل من أعضاء وجهه وعامة بدنه عن هيئته ونظامه ويستحيل إلى غاية القبح ونهاية الشرّ للحركة المفرطة التي تعتريه وما يناله من الزمع والقلق والرعشة والرعدة والتخاليط الواقعة في ألفاظه حتّى يحاكي صورة المجنون والسكران ثمّ قال: فينبغي للملك أن يأنف لنفسه الشريفة من أن يدعها تفضي إلى هذه الهيئة الشنيعة فقد قيل إن بعض الملوك الأولين من متعاطي الحكمة والمعتنين برياضة الأنفس احتال لنفسه في كف سلطان الغضب بإن عمد وقت هيجانه إلى مرآة فقابل بها وجهه فلما رأى ما حدث في صورته من تلك الآثار القبيحة أنف لنفسه واستحيا فقمع غضبه في تلك الحال وكان يجاهدها بعد ذلك في أن لا يدعها تحرج إلى مثلها وعظم انتفاعه بالحيلة التي استعملها.

قال: ومن أبلغ ما قيل في الاحتراس من بوادر الغضب والاحتراز من غوائله التي تلحق الأنفس والأبدان قول القائل من ملوك العرب وسيّاسهم ـ يعني معاوية ـ إذ قال ما غضبي على من أملك وما غضبي على من لا أملك فإنه انتظم باللفظتين كل ما يمكن بلوغه في العبادة عن هذا المعنى بإطناب وإسهاب.

فصل
في تقسيم أحوال الساسة والسياسة

[571] قالت الحكماء الملوك أربعة[1]: فملك صلح في نفسه فصلحت رعيته له، وملك صلح في نفسه وفسدت رعيته عليه، وملك صلحت رعيته

[570]
(1) أبو زيد البلخي: تقدمت ترجمته في الهامش 217.
[571] تسهيل النظر 252.
(1) الأصل: الأربعة.

وفسد هو في نفسه وملك فسد هو ورعيته، فجماع قولها إن أفضل الأزمنة ما كان الملك فيه صالحاً لنفسه ورعيته وكان قووماً بالسياسة العظمى المستوعبة لجميع السياسات وبمثله تتم النعمة وتنزل الرحمة، كما أن بضدّه تزول النعمة وتنقرض المدة.

[572] وقالت أيضاً منازل السياسة أربع فأولاها بسياسة الرجل نفسه والثانية سياسة أهله وولده ومن يضمّه منزل وكنفه والثالثة سياسة بلد يتقلده والرابعة سياسة الملك كله فمن عجز منزلة من هذه المنازل فهو عن التي تليها أعجز ومنها أبعد ولهذه الجملة تفصيل يقع في أماكنه من الفصول.

فصـــل
في مطعم الملك

[573] الطعام قوام البدن، ومادة القوة الحيوانية والملوك أولى الناس باستخلاصه واستنظافه واتخاذ الخبازين والطباخين لتجويد ألوانه والتأنف في صنعة أحاسنه وأطايبه ولطائفه، إذ للملوك تطييب الطعوم وتنعيم الجسوم التي هي مراكز نفوسهم العزيزة وطباعهم الشريفة، وعليهم الاحتياط على ما يصنع لهم واستعمال الذواقين الأمناء لما يقدم إليهم بعد أن يتعمدوا بذلك وقت الجوع الصادق ولا ينسوا الوقوف فيه عند أول الكفاية وترك البلوغ منه إلى آخر النهاية ويحذروا التخليط الذي تقدّم ذكره في باب آفات الملوك(1) ويأخذوا فيه وفيما يتلوه ويليه بقول:

[574] منصور الفقيه:

أقـلل فـديتُـك إن أكـلـ ـتَ وإنْ شـربتَ وإن غشيتـا
وأنـا الـكـفـيـلُ إذا فعـلـ ـت بـأن تُعـافى مـا بقيتـا

---

[572] قارن بتسهيل النظر 253-254.

[573]

(1) انظر الباب السابع الفقرات 425-430.

[574] ديوان منصور الفقيه 81 رقم 31.

[575] وحكى أبو إسحاق الصابىء[1] عند عضد الدولة[2] ما لا شيء أحسن منه في[3] النفس حيث قال: أما مطاعمه فعادته جارية بأن يستخلصها ويتجنب التخليط فيها وإن دعاه منها دواعي الشهوة إلى ما ينهاه عنه ناهي الحمية لم يقتصر على الانتهاء عنه والاحتماء منه دون أن يأمر باتخاذه وإحضاره مائدته، فلا يزال يحوم عليه ولا يردّه، ويلاحظه ولا تمتد إليه يده فإذا قضى وطراً من هذه الرياضة أمر برفعه تهويناً لسلطان الهوى وتحصيناً لجانب الرأي وتعويداً للنفس بأن تكون حرة غير مستعبدة[4]، ومحلقة غير مسفّة وهناك يجد ذو الأنف والصلف من حلاوة النزوع ما لا يجده ذو الشره والنهم من لذاذة الرتوع.

[576] وكان شمس المعالي قابوس بن وشمكير[1] اضبط الملوك لعنان شهوته، وأحسنهم تقديراً لمطعمه وأقلهم رزءاً من أطايب مائدته، لا جرم إن الصحة استمرت به ودامت له إلى آخر عمره، وممّا لا خلاف فيه إن الحميّة التي في نهاية الدّقة ليست بمحمودة فالطرفان من الأسراف والاجحاف مذموم، والواسطة أسلم.

فصــل
في شراب الملوك ومجلس أُنسهم

[577] النبيذ ممّا يمدحه الحكماء ونبّه على خصائصه، وفضائله

[575]

(1) أبو اسحاق الصابىء: تقدمت ترجمته في الهامش 111.

(2) عضد الدولة: فناخسرو بن بويه الديلمي (324-372هـ): أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق، تولى فارس والموصل وبلاد الجزيرة. مدحه الشعراء، وصنف له العلماء الكتب، وكان كثير العمران: يتيمة الدهر 2/2، ابن الأثير (تستشار الفهارس)، الاعلام 156/5.

(3) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(4) الأصل: مسعبدة.

[576]

(1) قابوس بن وشمكير: تقدمت ترجمته في الهامش 138.

الأطباء، ورخص في الاستقلال منـه الفقهاء، ووصف محـاسنه البلغـاء والشعراء.

[578] والملك أحق الناس باجتناء ثمرته، واجتناب غائلته والاستمتاع بمنافعه مع التوقي في مضاره، فينبغي أن تكون عادته جارية في مشاربه بأن يأخذ منها ولا يأخذ منه وإن يقهرها ولا تقهره ولا يؤثر فيها إلاّ بقدر ما يعطيها من قيادة ونهاية ذلك النشوة الجامعة بين مصلحة جسمه ومسرة قلبه وينبغي أن تكون مجالس أنسه معمورة بمحاضر الخواص المستخلصين وللندماء المتأدبين والمغنين المحسنين وزمانه فيها مقسوماً بين أمر ونهي ينفذان على التيقظ وبين ارتياح وجدل لا يخلوان من التحفظ.

[579] وينبغي أن يتراخى بين أوقات شربه ليستطيب ما يتعاطاه، ولا بد من ذلك فيخلّ بمهماته ثمّ لا يجدّ لذة كما يثابر عليه ويستكثر منه وربما تتضرر به، ولم يحمد عاقبة أمره ومن أدمن شيئاً من ملاذ الدنيا لم يجد لهُ من اللذة وطيب الطعم ما يجده المتوصل في الفرص[1] والحين.

[580] ويقال إن ألذّ الطعام ما كان على جوع شديد، وأوقع الشرب ما كان على غبّ وأطيب الغشيان ما كان بعد عزوبة، وأهنأ النـوم ما كان يعقب سهر وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا، ولم تزل رسوم الملك مختلفة في إدمان الشرب وإغبابه.

[581] ويقال إنه ينبغي للملك أن يقسم يومه أقساماً فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وصدره لرعاياه وأمور ملكه ووسطه لأكله ومقيله وطرفه لأنسه وشربه.

---

[579]
(1) الأصل: الفرط، والتصويب في هامش الأصل.
[581] التاج 151.

[582] وكان أحمد بن يوسف[1] يقول لا ينبغي للملك أن يكون مغرماً بالشرب واللهو وإدامة العزف والقصف ولا أن يكون مثابراً على نوافل الصلاة والعبادة وعلى النسك والزهادة فينقطع بها عن تدبير الجيش والأعمال والنظر في أمور الممالك والأموال بل ينبغي أن يكون كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان:

فلا هو في الـدنيا مضيـعٌ نَصيبَه ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغلُه[2]

[583] قال مؤلف هذا الكتاب: وأما ما سوى المطاعم والمشارب من المآرب فينبغي أن يقف الملك منها عند الحاجة والأقدار الكائنة، والموارد العائدة لصلاح المصادر واستقامة العواقب بمشيئة الله وإذنه.

فصـــل
في سياسة الملك: داره وحوزته

[584] دار الملك تشتمل على العدد الجمّ من طبقات الرجال والنساء والعبيد والإماء فينبغي أن لا يكون أهل دار منها أقل غلطاً وخطراً، ولا أخفض أصواتاً ولغطاً ولا أسكن أطوافاً وأوساطاً ولا أحسن ائتلافاً وارتباطاً.

[585] وينبغي أن تكون أفئدتهم مشحونة بالرهبة وأيديهم مملوءة بالرغبة وضلوعهم محنية على المحبّة، وأن يكونوا مذّبين على السداد، مهذبين في سلوك طرق الرشاد يتناصفون في المراتب ويواظبون على النوب وأن تكون جميعهم أحاداً أفاضل وأعياناً أماثل وقد علموا أن أقرب الذرائع حسن العهد في الخدمة وأوجه الوسائل فضل الاجتهاد في النصيحة والأمانة بينهم دين معتقد وشرع منتحل والخيانة عار لا ترخص وذنب لا يغفر وعلى كل طبقة من طبقاتهم قيّم شديد يحسن سياستهم، وإرشادهم وهدايتهم فإن قصر أثر

[582]
(1) أحمد بن يوسف: تقدمت ترجمته في الهامش 194.
(2) ديوان جرير 349.

أحدهم في الخدمة عن الحدّ المحدود أو عثر منه على بعض الذنوب أصلى نار التقويم وقوبل بالواجب من عرك الأديم.

فصـــل
في ساسة الملك ابنه

[586] ينبغي إذا بلغ ابن الملك سن التعليم والتأديب وانتهى إلى حد التدريس والتلقين أن يجمع له فضل كلّ علم من القرآن والتفسير والتأويل واللغة والغريب والنحو والشعر والعـروض والحساب والمنـطق والبرهـان والهندسة والتنجيم والجدل والكلام والفروسية على الخيل والعمل بأصناف السلاح وسياسة الجيش وتدبير الحرب ورواية السير المسطورة ودراسة العهود المعهودة، حتى يحصل له كمال الفهم مع كمال الجسم وتمام الآداب مع تمام الشباب.

[587] ثمّ من حق الملك أن يعامله ابنه كما يعامله عبده وأن لا يدخل عليه إلّا بإذنه وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من دونه من بطانة الملك وخدمه لئلا تحمله الدالة على غير التخاشع والتخادم، فإن أمر الملك يجلّ عن كل شيء ويدق عنه.

[588] ويقال إن يزدجرد رأي ابنه بهرام بموضع من مجلسه لم يكن له، فقال مررت بالحاجب قال نعم. قال وعلم بدخولك؟ قال نعم، قال فاخرج إليه واضربه ثلاثين سوطاً ونحّه عن الستر وقلّد الحجابة آزادمرد، ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك مراهق، فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل دفعه ازادمرد في صدره دفعة جافية، وأغلظ له القول فبلغ ذلك يزدجرد فدعا آزادمرد وجزاه الخير على فعله وأمر له بصلة.

[589] ويحكى هذا عن معاوية في شأن يزيد وعن المهدي في شأن الهادي.

---

[586] قارن فقرات هذا الفصل بالتاج 125-128.
[588] التاج 125.

[590] ويذكر أن ايتاخ نظر إلى الواثق وقد وصل إلى مجلس المعتصم بغير إذن فزبره وقال له: تنحّ فوالله لولا أني لم أتقدم إليك بترك الدخول لضربتك مائة عصا.

[591] وينبغي لابن الملك أن يجري بحضرته في خدمته مجرى العبيد والخدم، وينقبض عنه غاية الانقباض، ويجلّه كل الإجلال ولا يسفك دماً وإن أوجبت الشريعة سفكه إلّا بإذن الملك وأمره وليس له أن يرضى عمّن سخط عليه الملك، وإن كان المسخوط عليه لا ذنب له.

فصل
في إخفاء الملك مبيته ومقيله

[592] ينبغي في حكم الحزم والاحتياط وشرط السياسة أن لا يكون لمنام الملك في ليل ولا نهار موضع يعرف، ومكان يشار إليه، لأنّ أنفس الملوك مطلوبة غرتها في أحوال غفلتها، وأوقات سنتها.

[593] ويقال أن الأكاسرة لم يعرف مبيت أحدهم قط ولا مقيله، وكان يفرش للملك منهم أربعون فراشاً ليس منها فراش إلّا ومن ورائه من بعيد على الإنفراد من لا يشك أنه فراش الملك خاصة ولعله أن يكون قد توّسد ذراعه فنام في بعض الأماكن المجهولة المأمونة.

[594] قال صاحب كتاب أخلاق الملوك لو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم وصيانته عن كل عين تطرق وأذن تسمع إلّا لأن النبي ﷺ فعله وهو من الله تعالى بمحله المخصوص ومكانه المحروس للزمهم أن يقتدوا به

---

[590] التاج 127.
[591] التاج 128.
[592] التاج 124.
[593] نصيحة الملوك 268، التاج 124.
[594] التاج 124.

ويجروا في طريقه، وقد كان المشركون همّوا به فأخبره الوحي بذلك فأنام علياً عليه السلام على فراشه ونام هو ﷺ في مكان غامض، فلما هجموا على فراشه قام عنه (علي) صلوات الله عليه فانصرفوا خائبين خاسرين، وفي هذا أكبر الدلالة وأوضح الحجة على ما جرى.

[595] ذكروا: نفس الملوك هي الأنفس الخطيرة الكريمة التي تزن بنفوس من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء، فأي شيء أولى بالاحتياط عليه منها وأي سياسة أعظم من بلوغ كان مبلغ في حفظها والإشفاق عليها وسوء الظن بها.

[596] وكانت الأعاجم تقول لا ينبغي للملك أن يطلع على منامه إلاّ الوالدان، فأما من دونهما فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم وأذهب في طريق الملك وأدخل في باب السياسة.

فصـــل
في ضروب من الحزم والاحتياط يستعملها الملك

[597] ينبغي للملك أن لا يخلو بابه ودهليزه، وما حوالي داره من حراس بالأسلحة الشاكة يتناوبون حراسته ليلاً ونهاراً، ولا صحن داره من فرس النوبة جامع مشروط الجودة طيار بالأرجل مسرج ملجم ليفزع إليه إذا فاجأه ما لا يحتسبه من نوائب الملوك ولا مجلسه من سلاح قريب المتناول يدفع به عن نفسه ما عساه يهجم عليه من بوائق[1] دهره.

[598] فإنه يروى أن خالد بن برمك لما ولاه المهدي طبرستان أذن على حال خلوة فبدر[1] رجل من أعدائه ودخل على حين غفلة فوقف بين

---

[596] التاج 125.

[597]

(1) البوائق: الدواهي.

[598]

(1) الأصل: ففدر.

يديه وقال أيها الأمير أتأذن في مثل هذه الحال ومثلك لا يخلو من عدو؟ فإن دخل بعض أعدائك فقال هكذا وأشار بيده إلى سيفه ينتضيه كنت تصنع ماذا؟ ففطن خالد، لأنه يريد غرته، فتناول عموداً كان بين يديه ووثب فقال كنت أصنع هكذا وسبقه فضربه بالعمود قبل أن يضربه ذلك بالسيف وسلم مما أراده.

[599] وينبغي للملك أيضاً أن لا تخلو خزانته من أحمال المال مشدودة يتعجل في استصحابها إن أرهقته الحاجة إليها ولا خريطته التي تقرب منه من ذخيرة خفيفة المحمل، ثقيلة القيمة يستظهر بها ولا كيس منطقه من دنانير خلا منها [ ][1] يزدجرد بن شهريار[2] فلم ينفعه ما معه من منطقته الذهب المرصعة بالجواهر الثمينة حتى طلب صاحب الطاحونة الذي استجار به أربعة دراهم خسروانية، فلما لم يحضره دلّ الجند الخارجين لطلبه عليه حتى أخذوه وقتلوه، فمن ذلك الوقت لا يخلي مجوسي نفسه قط من دراهم تصحبه.

[600] وحكي الأصمعي أن ملك طخارستان قال لنصر بن سيّار[1] ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء:

وزير يثق به ويفضي إليه بسرّه، وحصن يلجأ إليه إذا فزع فينجيه - يعني فرساً - وسيف إذا نزل به الأقران لم يخف نبوته وخيانته، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها، وجارية بارعة الجمال إذا دخل عليها أذهبت همّه، وطباخ حاذق إذا لم يشته الطعام صنع له ما تنفتق به شهوته.

---

[599]

(1) في الحكاية نقص.

(2) الأصل: شهرنار.

[600] عيون الأخبار 110/1، لباب الآداب 38، التذكرة الحمدونية 308/1 رقم 840.

(1) الأصل: نصر بن يسار، تحريف، وتقدمت ترجمته الهامش: 560.

فصـــل
في لباس الملك

[601] ينبغي أن يباين لباسِ الملك لباس غيره، ولا يلبس أحد من أصحابه مثل ما يلبسه إجلالاً وإفراداً بزيه، لأنّ من حقه أن لا يشارك فيما يمكنه الاستئثار به، ولو تهيأ له الاستبداد بالماء والهواء لفعل، فإنّ البهاء والعزّ في تفرد الخاصة عن العامة وتفرد الملوك عن الخاصة بالنفائس والمحاسن، فلم تزل أحب الأشياء إلى الملوك أن يفعلوا ما تعجز عنه الرعية، وكانوا ينهونهم عن مشابهتهم بحال من الأحوال.

[602] وكان أردشير إذا لبس[1] التاج لم يضع أحد في المملكة قضيب ريحان على رأسه تحامياً للتشبه به، وكان كل من الأكاسرة إذا ركب في لبسة لم ير على أحد مثلها، فإذا تختم بخاتم فحرام على الرعية أن يختموا بمثل ذلك الفصّ وإن بعد ما بينهما في التشابه. وهذه من أبهة الملوك وطاعة أهل المملكة.

[603] وكان سعيد بن العاص إذا اعتّم بمكة لم يعتم أحد ما دامت العمامة على رأسه.

[604] وكان عبد الملك بن مروان إذا لبس الخفّ الأصفر لم يلبس مثل ذلك أحد.

[605] ويحكى أن إبراهيم بن المهدي دخل على أبي دواد[1] يرى

---

[601] قارن بالتاج 47، ربيع الابرار 218/4.
[602] التاج 47، ربيع الابرار 218/4 .
(1) الأصل: بلس.
[603] التاج 47، ربيع الأبرار 218/4.
[604] التاج 47، ربيع الأبرار 218/4.
[605] التاج 48.
(1) أبو دواد، القاضي: تقدمت ترجمته في الهامش 45.

الخليفة فقال له: يا إبراهيم لقد جئتني في لبسة لا تصلح إلّا لواحد من الخلق، فلم يعد لمثلها حتى مات.

[606] وآراء الملوك مختلفة في اللباس: فمنهم من يؤثر لبس من لا يحتقر فيه، ولا يستهزأ به.

[607] ويجري على قول القائل:

إنَّ العيـونَ رمتك إذ فـاجأتهـا وعليك من شهر الثياب لِباسُ
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت واجعل لباسَـك يشتهيه النـاسُ

[608] ومنهم من يحبّ الشهرة ليتميز بها عن غيره وكيف جرت الحال، فالمروءة الظاهرة، وكان عبد الملك بن نوح[1] لا يلبس إلّا الثياب البيض، ولا يستعمل مراكب الذهب والفضة أخذاً بقول المأمون «إنما يتكثر بالذهب والفضة من يقلان عنده».

فصـــل
في طيب الملك

[609] الطيب يجمع بين الفائدة والمروءة، واحقّ الناس به الملك، والأصلح أن يصان عن وهج المجمر ودخان البخور فيطيب ما يلبسه بالند المثلث الفائق الذي ذكره ابن الرومي فقال:

سُـمِّـي نــداً لأنــه عــبـقٌ تبعـد في الخافقين آثـاره[1]

---

[606] قارن بـ«مرآة المروءات» ق225.
[607] مرآة المروءات: ق225.
[608]
(1) اسم نوح ناقص في الأصل. وقد تقدمت ترجمته في الهامش 243.
[609]
(1) ديوان ابن الرومي 1003.

[610] ووصفه المطراني الشاشي[1] بقوله:

لتـرمني راحتـاك شهبـاً مضلّعـاتٍ ومستـديـره
بـلاد مجمـوعهـا ثـلاثٌ الهنـدُ والتركُ والجـزيـرهْ

[611] وقال المصنف فيه:

ونـدٌّ مـالـه نِـدٌّ تـعـاطيـه مـن السُنَّـه
إذا مـا دخـل الـنـارَ حـكى رائحـةَ الجنَّـه

فصـل
في مركب الملك

[612] ينبغي أن يكون مركب الجنة: ملك الدواب، وأن يختار لركابه كل فرس عظيم المنظر حميد المخبر جبّار البنية، حسن الصورة والشيه والمشيَة، مستكمل الصفة المرتضاة، والهيئة المختارة، ويعطى حقه من الرياضة والتأديب والتدريب على أن لا يكون منه البول والروث ما دام واقفاً بين يدي الملك أو كان تحت الملك وينبغي أن لا يركب الملك ما لم يتقدم ركوب بعض الراضة إيّاه في الوقت والحال، فإذا ركبه أخذ بعض الخدم الخاصة بعنانه إلى أن يستمر به الجري.

[613] وكان الربيع[1] ربما يأخذ بعنان فرس المنصور إذا ركب.

---

[610] اليتيمة 117/4، ثمار القلوب 533، خاص الخاص 531، التوفيق للتفليق 113 (دمشق)، 105 بغداد، لطائف المعارف 214.

(1) المطراني الشاشي: أبو محمد الحسن بن علي بن مطران الشاشي، شاعر الشاش وحسنتها وواحدها: اليتيمة 115/4.

[611] ثمار القلوب 697، التوفيق للتلفيق 195 (دمشق) 141 بغداد، شعر الثعالبي الرقم 88، ديوان الثعالبي 123 رقم 176.

[613]

(1) الربيع: الربيع بن يونس بن محمد، أبو الفضل (111-169هـ): وزير، اتخذه المنصور العباسي حاجباً ثم استوزره. إليه تنسب «قطيعة الربيع» ببغداد وهي محلة كبيرة اقطعه إياها المنصور: تاريخ بغداد 414/8، الجهشياري 167/125.

[614] فأما البغل فليس من مراكب الملوك إلاّ في النُدرة، وكانت الفرس تتشاءم به ويكره تلون أخلاقه.

فصــل
مجمل في سياسة البلدة

[615] ينبغي للملك أن يبعد عنها أهل الفساد، ويستجلب إليها أهل الاستقامة والرشاد، ويرد جندها إلى مناهج الطاعة وكتابها وعمالها إلى أداء الأمانة ويتصرّف بين إحسان يستميل القلوب وبين إخافة تنتزع الأرواح من الجنوب، وأن يعمّر خرابها ويدّر خراجها ويؤمن سبلها وينفي دعارها، ويكرم صلحاؤها، ويقضي حوائجها، ويصفي مشاربها، ويقضي أيـدي الظلم والضيم عنها حتّى ينقلها من الاضطراب إلى الاعتدال، ومن الالتواء إلى الاستواء بمشيئة الله وعونه.

فصــل
مجمل في سياسة الملوك

[616] ينبغي أن يحسن الملك مجاورة المُلك ويعرف قدره وفضله، فيحيي مواته ويؤلف شتاته ويقيم عموده ويرفع مناره، ويحمي جوانبه ويجدّد مصالحه ويمحو ميسم الفساد عنه، ويعطل سنة الجَور منه وينصب ميزان القِسط بين أهله، وينتقِدهم انتقاد العين والوَرِق، فيقتل الداعر، ويؤمن الصالح، ويقدم الكافي، ويؤخر العاجز ويصطنع الأمين، ويطرح الخؤون، ويعزّ السلطان، ويحرس الأطراف ويحسم الأطماع بعون الله، ومشيئته.

فصــل
في السخاء والحياء

[617] لا ينبغي أن يقال: ينبغي أن يكون الملك سخياً حيياً، فمن

---

[617] قارن فقرات هذا الفصل بالتاج 139-143.

خصائص الملوك السخاء والحياء، وهما كما قال الصاحب[1] في كتاب أخلاق الملوك قرينا كل ملك على وجه الأرض، رفيقاه وخليلاه وزميلاه ونزيلاه[2].

[618] ولو قال قائل إنهما ركبا فيه كتركيب الأعضاء والجوارح وامتزجا بطبعه، وجريا منه مجرى دمه لكان غير بعيد من الصدق.

[619] وليس يعرف ملك من ملوك العجم والعرب المتقدمين منهم والمتأخرين يوصف بالبخل والقحة، ولو لم يكن السخاء والحياء في طبائع الملوك، لوجب عليهم اكتسابهما واحتذائهما واجتلابهما وذلك أنهم ممكنون من أموال الدنيا وما يستفيدون أكثر مما ينفقون عليهم من اتخاذ الصنائع وتحصيل الأجر والشكر، وأما الحياء فهو سبب لكل خير، ومفتاح لكل جميل، وهو من جنس الرحمة، وحقيق على الراعي أن يرحم رعيته وعلى المولى أن يرحم عبده.

[620] قال وقد تغلط العامة، وكثير من الخاصة في الملوك حتى يصفونهم بغير صفاتهم، وينحلونهم إلى البخل الذي ليس من أخلاقهم، إذا رأوا الواحد منهم على سنن من القصد واعتدال في حدّ الإنفاق كهشام بن عبد الملك وأبي جعفر المنصور، وكأنهم يغفلون عن تأديب الله تعالى نبيه المصطفى عليه السلام بقوله: **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾** (الإسراء: 29) وعمّا مدح به عباده الصالحين من الاقتصاد حيث قال: **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾** (الفرقان: 67) وكان بين ذلك قواماً.

[621] وبعد، فينبغي للملك الفاضل السعيد أن تكون عطاياه ونعمه

---

(1) الصاحب: الصاحب بن عباد تقدمت ترجمته في الهامش 83.
(2) الكلمة مضافة في الهامش بخط الناسخ.
[620] التاج 140-143.

محمولة بين أهلها ومستحقيها على التنزيل والتعديل، والمراتب والأخطار، والأعمال والآثار ولا يكون فيها محاباة لمقصّر ولا [ ][1] لمجتهد، وأن لا يرى في بساطه ولا أطرافه سابق محروم، ولا عاجز محظوظ وأن يكون الميزان عادلاً والجزاف نائلاً والواصل إلى الحظوظ شاكراً، والمبعد عنها عاذراً لعلم من وصل إليها أنه متى فارق ما أوجبها فارقها وإتقان من ينلها، أنه متى استأنف ما يستحقها به نالها.

[622] ونكتة أخرى نختم بها هذا الفصل وهي إن الملك المنعم إذا أفاض المكارم ارتبط بها خلوص البنية ممّن قرب منه وهم الأقل وانفساح الأمل ممن بعد عنه وهم الأكثر فيستخلص حينئذ ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفه إلاّ إلى البعض.

فصل
في التأني

[623] الملك القادر حقيق بالتأني في حكوماته والتثبت في عزماته، لأنه إن نفذها على شبهة وأمضاها على نيّة لم يكن له دافع عنها ولم يخل أيضاً من مساعد عليها أما تعذر الدافع فلقلة المجترىء عليها وأما بتيسير المساعد فلكثرة التقرب إليه.

فصل
في رعاية الخدمة

[624] ينبغي للملك أن يرى رعايات الخدمات لأصحابها، وإيجاب الحقوق لأربابها ديناً مفترضاً بل ديناً مقترضاً، ومن أفخر مناقبه أن يكون إذا أعطى رجال خدمة في حال الاستخدام جانباً من البسط والإدناء لم يعقبه في

---

[621]

(1) كلمة غير واضحة في الأصل.

[624] قارن بالتاج 144.

حال الاستغناء بجانب من القبض والإقصاء، لأن قضاياه منفذة وسجاياه منتقدة، وفي طبائع خدم الملوك أن يحرضوا على اصطفائه القليل أضعاف حرصهم على عطائه الجزيل، وأن يغتبطوا منه بالقربة ويحزنوا عند اعتراض النبوة، فإذا حفظهم فيما يستودعونه من ودائع الحرمة وحفظ عليهم ما يرقيهم من شرف الحظوة استدّر بذلك النصائح واجتلبها من كل رانٍ ونازح.

فصـــل
في نبوات الملك ونقماته

[625] لا بد للملك في سياسة طبقات أهل مملكته، وسائر رعاياه وعساكره، من نبوات يظهرها عليهم، ونقمات يحلّها بهم، فينبغي أن تكون مختلفة بحسب المجرمين والجـرائم، فإذا كـانت في الأولياء والأداني، فأوائلها العتاب والتوقيف فإن كفيا وإلّا فالأغلاظ والتعنيف، فإن كفيا وإلّا فالأعذار والأنذار، فإن كفيا وإلّا فالأبعاد إلى حدّ الصلاح لا إلى حدّ الأطراح، ولا ينبغي أن يفضي إلى الغايـات، فإذا كـانت في الأباعـد والأقاصي فينبغي أن يكون الإنصاف مقروناً بها والروية واضعة لها مواضعها وأن لا يطلق القلب إلا مع وجود قود أو فساد في الأرض أو سعي على الملك أو ما يجري مجرى ذلك من الكبائر التي في الأغضاء عنها استمداد منها مثلها وتسهيل لسبلها وفي معالجتها حسم لأدوائها، وأمن من بوائقها، وينبغي أن لا يعرف له في حال ذلك فرية بلسانه ولا إيقاع أدب بحضرته.

فصـــل
في تقسيم أحوال المسخوط عليهم وما يوجبه كل واحد منهم

[626] الملك يتنصل إليه كل من سخط أو تغير عليه وهم طبقات ثلاث:

فمنهم: من ذنبه مقرون بعذره قد أماطه عنه وأخرجه سليماً منه،

وربما أقرّ بالذنب طاعة وأمسك عن الغدر هيبة ولا يحسن أن يقتصر من هذه حالة على أن يسقط اللائمة عنه دون أن يوجب المحمدة له.

ومنهم: من عذره معوز وذنبه واضح لكنه فرد لا أخ له وفذّ لا توأم معه، والأولى أن ينال من الإقالة إذا اعترف بالحوبة وأخلص في التوبة.

ومنهم: المتردد في هفواته المتكرر في عثراته الجارية عادته بأن يفضّ خاتم النبوة إذا تاب ويفسح عقد الإنامة إذا أناب، فذلك الذي يعاقب بالأطراح ولا يطمع منه في الفلاح.

فصـــل

في إسقاط الأئمة عمن اجتهد في امتثال أمر الملك ولم ينجح

[627] الملك إذا استكفى أحد ثقاته أمر، يشكل ويشتبه إعجازه، فانتشر ذلك الأمر عليه بحيث لم يأل جهداً في طلب نظامه والسعي لالتئامه، فواجب أن يحمده ولا يذمه، فإنه إن ذمّه قبضه وقبض نظراءه في ملكه، لأنهم يشتغلون عن التوصل إلى ما ينفعه بالتحرر مما يضرّه.

فصـــل

في العفو عند القدرة

[628] الملك محتاج من الناس إلى كثير، وهم محتاجون منه إلى واحد، ومن ههنا وجب أن يوازن حلمه أحلامهم، ويوازي فهمه إفهامهم، وأن يعمّهم بفضله وعدله ويغمر كلاً منهم بعفوه ومنه وأخلق بمن حلّ محله واقتدر مسكن الضغن ولا مجال للحقد ومثل الملك الذي إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا مثل الأرض [التي](1) تبحر ثمرتها وتخلف حنظلتها ويطيب مرعاها ويؤمن وباها.

---

[627] كليلة ودمنة 295-296، التذكرة الحمدونية 289/1-290 رقم 788.

[628] الأدب الصغير 14، نهج البلاغة 480 (رقم 73)، الحكمة الخالدة 73، التذكرة الحمدونية 287/1 رقم 782.

(1) إضافة مناسبة.

فصـــل
في المباحثة والمذاكرة*

[629] الملك الفاضل وإن كان راجحاً على فضلاء حضرتـه فيما يحسنونه سابقاً لأهل الرأي من نصحائه وثقاته فيما يوردونه، فإنه يشاورهم أخذاً بالاستظهار ومباحث ذوي الآداب إقامة لسنة المباحثة، وإحياء لرسم المذاكرة إذ له فيهما فائدتان: إحداهما التنبيه على شكر النعمة فيهما والأخرى التحفظ من أن يشذّ عنه بعضها، وأخلق به أن يجني ثمرتها إذا نازعته النفس إلى وطر يقضيه أو غيظ يشفيه امتنع منهما حتى يكرّر عليهما فكره ويشاور فيهما غيره طلباً لاغراض الصواب وتطبيقاً لمفاصل السَّداد. وذهاباً إلى الأمر الآخر والحديث الأحسن.

فصـــل
في النظر في المرآة

[630] أهدى المعلى بن أيوب إلى المعتز باللّه في يوم مهرجان مرآة صينية لم ير أحسن منها فقيل له ما الذي عدل بك عن سائر الهدايا إلى هذه المرآة؟ فقال شيئان: أحدهما أني أحببت أن يذكرني أمير المؤمنين إذا رأى حسن وجهه فيها، والآخر أني سمعت حكمة بالغة في معنى المرآة لم يقرع سمعي بأحسن وأجل منها فنقشتها في حواشيها ليقع بصره عليها كل يوم وهي: ينبغي للملك إذا أصبح كل يوم أن ينظر في المرآة، فإن رأى وجهه حسناً لم يشنه بقبيح، من فعله، وإن رآه قبيحاً لم يجمع بين قبيحين.

وهذا هو الكلام الشريف الذي لا مزيد على براعته وجودة معناه ولفظه.

(*) الأصل: المباحثة.

[630] لطائف اللطف 60-61 رقم 83، خاص الخاص 173-174.

فصــل
في ضروب من جلائل الشؤون
في شروط الملك

[631] سمعت أبا الفتح البستي[1] يقول ترجمت يوماً للأمير بايتوز[2] صاحب بُست ـ كان قبل الأمير ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين[3] ـ قول القائل:

لا يكون الملك ملكاً حتى يأكل الناس من غراسه ويلبسوا طرازه ويركبوا من نتاجه ويستخدموا من تلاده، فضحك وقال: ما أصغر همة من قال هذا! بل لا يكون الملك ملكاً حتى يفتح بلداً عظيماً ويقهر عدواً كبيراً ويؤوي إلى حضرته ملكاً منكوباً مسلوباً فيغيثه ويعينه بالرجال حتى يعود لحاله، وينتصف من عدّوه ويستقر في مملكته أو يبني مدينة حصينة يتخذها ثغراً للمسلمين ويرتب فيها المرابطين ويقيم لهم ولاعقابهم ما يصلحهم من الارزاق والسلاح والكراع على التأبيد، فتعجبت من كبر همته وحسن نيته ووفور عقله من بين أبناء جنسه.

[632] وكان قابوس بن وشمكير[1] يقول ليس الملك من يكثر الفتوح، ولكنه من يضبط ما يفتحه ويحسن سياسة ما يملكه.

[633] وقال غيره: الملك من يعمّر بلاد مملكته، كما يعمّر اخصّ دوره ومساكنه ويشفق على رعيته كاشفاقه على بطانته وحاشيته.

---

[631]

(1) أبو الفتح البستي: تقدمت ترجمته في الهامش 90.

(2) بايتوز صاحب بست: ثار على طغان سنة 366 ثم كانت له أحداث انتهت بفراره إلى نواحي كرمان وسجستان: زين الأخبار 55، ابن الأثير (تستشار الفهارس).

(3) سبكتكين: تقدمت ترجمته في الهامش 270.

[632]

(1) الأصل: كمير، خطأ، وتقدمت ترجمته في الهامش 138.

فصــل
في الأموال

[634] من أهمّ السياسات أمور الأموال التي بها تعلّق الآمال وهي الموئل وإليها المآل في جميع الأحوال، وبها بهاء الملك وقوة السلطان وقوام السياسة ونظام الدولة وجمال المروءة وانخذال العدو. واعتضاد الرعيّة وصلاح العاجلة والآجلة إذا جمعت من وجوهها وصرفت في حقوقها.

[635] وممّا ينبغي للملك: أن يكون ارتفاعات ملكه ويكون أموال الفيء في خزانته أكثر من أموال الخراج بحضرته وأن يجمع بين الدَّهقنة والسلطنة والتجارة والامارة وبين الزرع والضرع، ويستفتح أبواب الرزق ويستجلب أسباب الخير ويقتني أصناف. من حيث لا يظلم أحداً ولا يغصب ضيعة ولا يؤذي جاراً ولا يعنت شريكاً ولا يصادر رعيّة فله عينه باستدرار حلوية الملك واستثمار الضياع والمصادرات، ومن خير ما يأمر باتخاذ نتائج الخيل والابل والغنم التي إذا تلاقحت وتلاحقت فهي كنوز جارية.

[636] وليس يقوم بما يلزم الملك من المؤن والكلف الثقيلة والاطلاقات والاتفاقات الكثيرة والعطايا والصلات الجزيلة إلّا الأموال ككثبان الرمال متسعة المواد، متفرغة الشعب، متفرقة الجهات. هذا إلى ما يوجبه الرأي والحزم من الاستظهار بالاستفضال والجري في الذخائر والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة على حكم الاستكثار والقسمة لكل من الصّامت والناطق والثياب والفرش والأسلحة والكراع والعبيد وسائر آلات الملك، وأدوات السلطان نصيباً وافراً من العناية وحظاً وافراً من الرعايات(1).

[636]
(1) في النص نقص يسير.

فصـــل
فيما يعرض للملوك من العلل والمصائب

[637] الملوك بشر تعرض لهم الأمراض وتصيبهم المصائب، ولكن من حقهم أن يجدّوا ويجتهدوا في الترفع والتصون عن عادات العامة في تلك الأحوال وغيرها ولا يشابهونهم ولا يناسبونهم إلّا بالبشرية فقط ويبنوا أمورهم على كل ما يعود بفخامة السلطان وروعة الملك وجلالة الهيئة واستحكام الهيبة في نفوس الرعية ويحترزوا ويحترسوا من إظهار حالة لا تخلـو من الانخذال والانكسار وكسوف البال، ومع الأمراض والمصائب تعرض هذه العوارض، فينبغي أن لا يراهم في العلل إلّا من يخدمونهم ويمرضونهم من اخصّ خدمهم وحاشيتهم ثمّ الاطباء الذين لا بد من ملازمتهم، فأما من سواهم فليحجبوا عنهم إلى أن يصافحوا الابدال ويقاربوا الاستقلال، ثمّ إن أوجب حكم الحال أنّ يرى العوّاد الملك في جمرة السقم وسلطان الألم، تحامياً للاراجيف وتعمداً للتسكين فليؤذن لهم وليقوموا بالبعد منه بحيث يرون شخصه وحركته ويتصورون صورته ولا يتثبتون سحنته ولا يزيدوا على أوجز الدعاء وأخفه والطفه ولينصرفوا أسرع من لمع الكفّ ورجع الطرف.

[638] وكان الفضل بن مروان يقول الملوك لا يعادون ويهنأون بالعافية، لأن عللهم تستر عن الناس نظراً لهم واحتياطاً عليهم، فأما [أن] يروهم فإنه يشهر للناس لما فيه من الصلاح واستقامة الأمور.

[639] ومما ينبغي للملك إذا أصابته مصيبة فيمن يعزّ عليه من أهله وولده أن لا يقع أبصار الخدم والبطانة فضلاً عن العامة منه على عين تدمع ونفس تهلع، ومن حقه أن يقضي وطره من أسبال العبرة ويخفف من ثقل رزيته باطلاق الزفرة في حال الخلوة والوحدة، فإذا برز للناس أظهر من

---

[637] التاج 143-144.

[639] التاج 91.

الصبر الجميل ما يعلم منه أن الملوك لا تستفزهم الأيام بخطوبها، كما أن الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها، ويذكر قول بعض السلف «من حدّث نفسه بطول البقاء فليوطنها على المصائب».

[640] وقول ابن المعتز:

يا ذا الذي دفنَ الاحبّةَ ... فهو مكتئبٌ عميدُ
أتريدُ أن تبقى ويبقى ... مَنْ تحبُ فذا خلودُ

[641] وقول أبي فراس:

المرءُ نصبَ مصائبٍ لا تنقضي ... حتى يُوارى جسمه في رمسِه
فمؤجلٌ يَلقى الرَّدى في أهلِه ... ومعجلٌ يَلقى الرَّدى في نفسِه

[642] ويحكى أنه كانت للمهدي جارية حسنة الموقع من قلبه فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً. فكتب إليه المنصور: يا بني كيف اوليك أمر الأمّة، وأنت تجزع على أَمَة؟

[643] ولما ماتت دُريرة جارية المعتضد وكان لا يرى الدنيا [إلا](1) بها، أفرط في الجزع عليها، واحتجب عن الناس وامتنع من الطعام والشراب فتلطف عبيد الله بن سليمان، للوصول إليه فقال له يا أمير المؤمنين: ليصبر مثلك وليهن المصاب عليه، لأنه: نجد من كل شيء خلفاً والعوض منك لا يوجد، فلا ابتلى الله الإسلام بفقدك، والشاعر يقول:

---

[640] ديوان ابن المعتز [الصولي] 30/3 رقم 1161.
(1) الديوان: الخلود.
[641] ديوان أبي فراس الحمداني 175، اليتيمة 59/1.
[642] لطائف اللطف 38.
[643]
(1) زيادة مناسبة.
(2) عبيدالله بن سليمان: أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب (288 هـ)، وزير، من أسرة معرقة في الكتابة، استوزره المعتمد واستمرت وزارته عشر سنوات. ابن الأثير 168/7، فوات الوفيات، 434/2، الوزراء والكتّاب 252.

يُبكى علينـا ولا نبكي على أحدٍ   لنحن اغلظ أكبـاداً من الإبـل(3)

فضحك المعتضد، وعاد لعادته.

[644] قال صاحب كتاب «أخلاق الملوك» من حق الملك أن لا يعزيه أحد من حاضري خاصته وأهل بيته تعزية من غاب عن المصيبة أو من قارب الملك في العزّ والسلطان، فأما من دون هؤلاء فينهون عن تعزية الملك أشدّ النهي.

[645] وممّا يذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيه وهو صغير فجاءه الوليد فعزاه، فقال: يا بنيّ مصيبتي فيك أجل من مصيبتي باخيك، متى رأيت ابناً عزّى أباه.

فصــل
في التعصّب للاعداء بعد هلاكهم

[646] فيما يستعظم من أخلاق الملوك تعصبهم لاعدائهم البـادين ورعايتهم حقوق المناسبة بالملك لهم، وترك الرضا بإن يقال غير الجميل فيهم.

[647] وفي سيرة الاسكندر أنه قصد بلدة من بلاد فارس فتلقاه جماعة من أساورتها برأس ملكهم يتقربون إليه فأمر بقتلهم جميعاً وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر وأنا أولى من تعصب لهذا الملك المظلوم.

[648] ولما أُتي عبد الله بن علي برأس مروان بن محمد جلس بعض جلسائه يذمّ مروان ويصغره فقال له عبد الله مهلاً عن تصغير «أبي عبد الملك»، فإن تصغر مقتولاً فقد صغرّ قاتله.

---

(3) ثمار القلوب 79، أمثال الماوردي 141.

[644] التاج 91.

[645] نثر الدر 59/3، التاج 91.

[647] نثر الدر 73/7، نهج البلاغة 129/4، التاج 109، الشهب اللامعة 255.

[649] ولما أُتي المنصور برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فوضع بين يديه، تقدم رجل من الدنو [بين][1] يديه فضرب الرأس بعمود كان في يده فغضب المنصور وقال للمسيب بن زهير سَوّ وجهه فقام إليه فدق أنفه ثمّ قال المنصور يا ابن الفاعلة تجيء إلى رأس ابن عمي وقد صار إلى حال لا يدفع فيها ولا ينفع، فتضربه بعمود وكأنك رأيته وهو يريد نفسي، فدفعته عني، اخرج إلى لعنة الله وأليم عذابه.

فصـــل
في التغافل والانخذاع

[650] ممّا يستحسن في شيم الملوك التغافـل والتغابي في بعض الأحوال عمّا لا يقدح في الملك ولا يضع من العزّ ويزيد في الجلال والأبهة، وعلى ذلك كانت الأكاسرة وملوك الإسلام.

[651] والعرب تقول: الشرف في التغافل وكان الأحنف[1] يقول التغافل من عادات الملوك،

[652] ويحكى أن بهرام جور خرج ذات يوم متصيـداً وانفرد عن أصحابه فدفع إلى راعٍ في ظل الشجرة وهو حاقن، فنزل وأمر الراعي بحفظ فرسه ففعل، وقطّع بعض أطراف اللجام وكان من ذهب مرصّع بالجواهر ونظر إليه بهرام فاستحيا وتشاغل وغمض عينيه ثمّ قال: يا راعي، قدّم إليّ الفرس فقد قذيت عيني من هذه الريح حتى ما أقدر على فتحها،

---

[649] التذكرة الحمدونية 430/1، التاج 111.
(1) إضافة مناسبة.
[650] التاج 162، الشهب اللامعة 182.
[651] التاج 162، الشهب اللامعة 182.
(1) الأحنف: الأحنف بن قيس (72 هـ): سيّد تميم، أحد حكماء العرب، ولي خراسان، وتوفي في الكوفة: جمهرة الأنساب 206، ابن سعد 7: 66، ذكر أخبار أصبهان 234/1.
[652] التاج 182-184، الشهب اللامعة 187-188.

فلما ركب بهرام قال له الراعي أيها العظيم كيف أخذ لي موضع كذا ـ يعني موضعاً بعيداً ـ قال فما سؤالك عن ذلك الموضع؟ قال هناك وطني وما وطئت هذا المكان إلاّ في يومي هذا، وما أراني أعاوده فضحك بهرام، وفطن لما أراد فقال له: أنا رجل مسافر وأنا أحقّ بأن لا أعود إليه أبداً، ثمّ مضى فلما نزل عن فرسه قال لصاحب ركابه قد وهبت طرفاً من معاليق اللجام لبعض السّؤال فلا تتهمنّ بها أحداً.

[653] وهكذا يحكى عن أنوشروان أن بعض من حضر مجلسه في يوم نيروز أو مهرجان ترصد غفلة من السقاة، فأخذ جام ذهب وأخفاه في قبائه، وأنوشروان يلاحظه والرجل لا يشعر به فلما افتقد الجام، صيح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يُفتش وأُخبر أنوشروان بذلك، فقال أخذه من لا يردّه ورآه من لا ينم عليه، فلا تتعرضوا لأحد، وانصرف الرجل بالجام.

[654] ويحكى مثل هذا عن معاوية وعن غيره، ومن أخلاق الملوك الذين يجلون عن كل شيء وتصغر في أعينهم كل كبير، ويقلّ عندم كل كثير، ويباينون العامة في قولهم: المغبون لا محمود ولا مأجور، وينخدعون كما قال معاوية: إني لأجرد ذيلي على الخدائع. وكما قال أبو دلامة: إن الخليفة للسّؤال ينخدعُ.

[655] كما قال أبو تمام:

ليس الغبيّ بسيّدٍ في قومه لكنَّ سيّد قومه المتغابي

[656] ومن أحسن ما يحكى في هذا الباب أن جعفر بن سليمان افتقد درة ثمينة فأمر يطلبها في أصحاب الجواهر فلما جاءوا بها وبالرجل إليه جعل

---

[653] عيون الأخبار 339/1، التاج 101، الشهب اللامعة 188-189.
[654] التاج 101-102.
[655] بلا عزوفي: التاج 187، الشهب اللامعة 183، الذخائر والاعلاق 118.
[656] التاج 104، الشهب اللامعة 190، محاضرات الراغب 231/1.

ماء الحيا يترقرق في وجه جعفر فقال له: ألم تكن طلبت مني هذه الدرة فوهبتها لك؟ قال بلى أيها الأمير! قال فما معنى التعرض له خلّوه وإياها فباعها بمائة ألف درهم.

فصل
في جمل من أوصاف الملوك وممادحهم

[657] مما اجتمع عليه الحكماء والفضلاء أنه ينبغي للملك الفاضل أن يكفي أمور نفسه، وأحوال ملكه، على أن يكون مهيباً محبباً نافذ الأمر والنهي مستظهراً بالأمور والرجال والكفاة من العمال، محسناً للتدبير والسياسة، مصلحاً لأمور العامة والخاصة، شديداً على المفسدين رؤوفاً بالمصلحين حامياً للبيضة، حافظاً للحوزة، مبالغاً في العمارة منصفاً في المعاملة، رفيقاً بالرعية آخذاً للضعيف من القوي، ومن الرفيع للوضيع، قابضاً لأيدي الظلمة بين حقي الدين والملك.

[658] وقال الجاحظ: ينبغي للملك أن يبلغ من تأنيه ورفقه ودقة مدخله أن يؤلف بين الماء والنار، ويجمع بين الضبّ والنون، ويداوي القلوب، ويعالج الأهواء ويبرىء من سقم الرأي ومن سوء الاختيار، كما يداوي حذّاق الأطباء الأبدان.

قال: والملوك وإن كانوا ذوي أذهان حَديدة وآراء سديدة وعقول متماسكة فهم يخطئون في أغلب الأحوال الخطأ الغمر ويخبطون خبط السكران، ويجمعون بين الفطنة والغفلة والحزم والإضاعة، والكامل منهم من كان حسن المملكة متفقداً لأحوال الموالي والعشيرة يؤثر الأدب على كل لذّة، ويعرف كيف يجمع شمل العامة بين الخاصة وما يليق بكل قريبة ويصلح لكل زمان، وأحبّ الحقوق إليه ما جانب الهوى وأزينها في عينيه ما زاد في المروءة وآثرها عنده أمرّها عاجلة وأحلاها أجلة.

[659] ووصف أبو إسحاق الصابىء[1] عضد الدولة[2] أبا شجاع مما كأنه به عني مولانا الملك ولي النعمة ـ وعبّر عن ضميري في ذكر ممادحه ومحامده ـ حيث قال:

هو أشدّ من جنده شجاعةً وأوفى من كتابه براعةً، وأمضى من وزرائه تدبيراً، وأهدى من نصحائه رأياً، وأرجح من جلسائه درايةً، وأغزر من علمائه روايةً وأرق من شعرائه طبعاً، وأوفر من ندمائه ظرفاً، فأما ما يحتاج الملوك خصوصاً أن يتحلوا به من الأدوات ويتنزهوا عنه من المعايب والهنات فقد استغرق في الحالين ما يستغرقه المحيط بالفضل أجمعه، البريء من النقص قولاً وفعلاً وعلماً وخلقاً وظاهراً وباطناً، لأنه أخذ عن العجم حكمتها، وعن العرب بلاغتها فحصل الفضيلتين واحتوى على المآثر بكلتي اليدين.

ثمّ قال:

وقد روصدت سجاياه وطولعت خباياه في أحوال التقبض والاستمساك والتطلق والاسترسال فوجد حليماً إذا غضب وقوراً إذا طرب معتاصاً على التعسف منقاداً على التطلق غليظاً على أهل العناد متعطفاً على أهل الوداد شديد الشكيمة، ماضي العزيمة، ناظراً إلى العواقب من بعد، متناولاً للغايات عن قرب، مرفوعة له الحجب متبرجة له كوامن الغيب، واضعاً للأشياء مواضعها مجرياً لها في أقصد سبلها، آراؤه مخزونة وأسراره مكنونة، ومكايده نافذة ومحاجره خافية وقبضته أليمة ووطأته ثقيلة، وعطاؤه هنيء وبلاؤه سنيء ووليه مضمون وعدوه مهين وعوامه خواص وخواصه أعيان ومكارمه ظاهرة وآدابه باهرة والعلم نافق في سوقه والجهل منفي عن ذاته، والعدل حيّ على بابه،

---

[659]

(1) أبو إسحاق الصابىء: تقدمت ترجمته في الهامش 111.

(2) عضد الدولة تقدمت ترجمته في الهامش 575.

والجور ميت في فنائه فهو نوري الجوهر قدسي العنصر، لطيف الحسّ صدوق الحدس زكي الألحاظ، سديد الألفاظ نجيب المنجم صليب المعجم، نقي الجيب سليم العيب، عفيف الجوارح نظيف الدخايل، قابض يده عن مقارفة الآثام مقيّد لسانه عن هجر الكلام له من مروءته عين على خلوته ومن دينه رقيب على نفسه.

فصل
في سقطات وهنات متعارفة للملك
ينبغي له أن يتصون عنها

[660] فمنها أن تبرق سحابته ولا تهطل، وعادته أن يقول ولا يفعل.

[661] وقد قالت الحكماء ليس ينبغي للملك أن يغضب، لأنّ القدرة من وراء حاجته ولا له أن يبخل، فإنه أقل الناس عذراً في تخوف الفقر، ولا له أن يحقد، فإن خطره قد عظم عن المجازاة، ولا له أن يحسد، فليست فوق منزلته، منزلة، ولا له أن يكذب فإنه لا يقدر أحد على استكراهه على ما لا يريد.

[662] ومنها إكبابه على الشرب وإدمان العزف والقصف والاشتغال بالملاهي واللذات عن النظر في الأمور والمؤامرات وتدبير المهمات.

[663] أنشدني أبو الفتح البستي لنفسه:

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً   فاحكم على مِلكه بالويل والخَربِ
أما ترى الشمسَ في الميزان هابطة   لما غدا برج نجم اللّهو بالطَّرَبِ

[664] ومنها: اعتياده طاعة الهوى وعصيان الرأي وانقباض النصحاء عن لقائه لما يخالف محبته ويسوق من سواهم بالمساعدة له عليها.

---

[661] الدرة اليتيمة: 65 (ضمن رسائل البلغاء)، التاج 51.
[663] ديوان أبي الفتح البستي 225، اليتيمة 315/4.

[665] وكان يحيى بن خالد يقول:

عجبت للملك كيف يحسن وهو لا يشأ أن يسيء إلاّ وجد من يحسّن إساءته ويزينها عنده، ويصوب فيها رأيه.

[666] ومنها بناء الأمور على أصول غير مستقرة وقواعد غير مطمئنة، فلا يلبث أن تنفض وتنتقض وتتقوض.

[667] ومنها استعانته عند الفتوق والخطوب بالعامة والغاغة، فإنها تجني على الناس بلاء عظيماً من ضروراتها وتبسطها وجرأتها وخروجها إلى التعصب والتحرب، وإثارة الفتن وقتل النفوس واستباحة الأموال والفروج.

[668] ومنها اصطناعه الأراذل دون الأماثل، وإخراجه إياهم إلى عجب الصغير إذا كبر، والضئيل إذا ضخم وقعوده تحت قول الشاعر:

أنت امرؤ غث الصنيعة رثّها   لا يحسن النعمى إلى أمثالي
فاسلم لغير صنيعةٍ ترى   إلاّ لسدك خلة الأنذال

[669] ومنها كثرة نظره في محقرات الأمور لأنها تشغله عن جلائلها ومهماتها، ولا يفي زمانه ببلوغها كلها ومنها الشتيمة والفرية. فإن المعتصم أمر يوماً بضرب عنق رجل بين يديه وجعل يشتمه ويفتري عليه فقال له: أمير المؤمنين ما الذي يؤمنك من إجابتي وأنا أُقتل؟، فصفح عنه.

[670] ومنها الإفراط في إيذاء المضحكين والصفاعنة كما فعل المعتز بالله فإنه أمر يوماً بإطعامهم الحيّات المشوية على أنها مازماي فأكلوها فماتوا جميعاً [ففدّاهم][1] كلهم وأعطى بنيهم الديّات وتصدق بمائة ألف درهم.

[671] ومنها قبول السعايات، فإن الساعي يهلك نفسه، ومن سعى به ومن سعى إليه.

---

[667] قارن بـ «مرآة المروءات»: ق 219.

[670]

(1) الكلمة غير واضحة في الأصل.

[672] ومنها أن يكون بحضرته ومن في دواوينه سوق يباع فيها المراتب والأعمال والولايات بالأثمان.

[673] ومنها الأغضاء على نفاذ أوامر الحرم في الشفاعات وفي الأمور السلطانية، فإن ذلك من آفات السياسة وعيوب المملكة.

الباب التاسع

في خدمة الملوك وآداب أصحابهم

فصل
في الخدمة

[674] كان يقال من خَدم الملوك خُدم وقال أبو تمام:

وإني لا أخدمك إلّا لأُخدما[1]

[675] وكان يقال خادم الملوك بلا آلة، كراكب البحر بلا سفينة.

[676] ومن فصول ابن المعتز من نصح الخدمة نصحته المجازاة.

[677] وفي كتاب اليتيمة لابن المقفع: من خدم الملوك فعليه بالملازمة من غير معاتبة.

[678] وكان يقال أربعة لا يُستحى من خدمتهم:

السلطان والوالد والضيف والفَرَس.

---

[674]

(1) شرح الصولي لديوان أبي تمام 415/2 رقم 143 وفيه: فإنّي ومطلعه:

ومن خَدمَ الأقوامَ يرجو نوالَهم

[676] التمثيل والمحاضرة 132.

[677] الدرة اليتيمة: 68 (ضمن رسائل البلغاء).

[679] وفي كتاب كليلة ليس كل من يخدم الملوك لبطنه، فإن البطن تشبع بكل مكان، ولكن لمنزلة تسرّ الصديق وتسوء العدو.

[680] وقد كتبتُ ما سمعت أبا نصر ابن أبي زيد(1) يقوله ولابأس بإعادته فهذا مكانه: من خدم ملكاً فهو خادم من جهة وملك من أخرى، ومن خدم سوقة فهو خادم من الجهات كلها.

[681] وفي أمثال العجم:

من تبع الأسود لم يعدم لحوم الصّيد.

[682] ومن الشعر الساري على كل لسان:

خِدمةُ السلطان والكاسات من أيدي الملاح.

فصــل
في صعوبة خدمة الملوك

[683] قال الفضل بن مروان أغلظ إليّ المأمون في شيء جرى، ثمّ استبان عذري فاستحيا وقال:

يا فضل إن فينا ـ معشر الملوك ـ محكاً وحسداً واستئثاراً وولعاً وحقداً وفزعاً.

[684] وكان الفضل يقول من بالغ جهده في مناصحة السلطان اتهمه ومن عرف منه مذهباً في دينه يخالف مذهبه غيره ورصده بالعقاب عليه، وما رأيت أقرب رضى من سخط ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك.

---

[680]
(1) أبو نصر بن أبي زيد: تقدمت ترجمته في الهامش 50.
[681] التمثيل والمحاضرة: 349.
[682] لمحمد بن عبد الملك الزيات: نكت الوزراء 56.
[684] الإيجاز والإعجاز 25 [الفقرة الأخيرة فقط].

[685] وكان يقال: إياكم والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي، ويأخذ أخذ الأسد.

[686] وفي وصية لقمان: يا بني احذر البحر إذا مدّ والملك إذا غضب.

[687] وفي كتاب كليلة:

خاطر من لجّ في البحر، وأشدّ منه مخاطرة خادم السلطان.

[688] وفي فصول ابن المعتز:

أشقى الناس بالسلطان أقربهم منه، كما أن أقرب الأشياء من النار أسرع احتراقاً. وفيها: لا يدرك الغنى بالسلطان إلّا نفس خائفة، وجسم تَعِب ودينٌ متثلّم.

[689] ومن ألفاظ البديع الهمذاني(1):

الملوك إن خدمتهم ملّوك وإن لم تخدمهم أذلّوك.

[690] وأنشدني أبو الفتح البستي:

سـلِ الله الغنيَّ تسـلِ جَـواداً أمنتَ على خَـزائنـه النّفـادا
وإن حـابـاك سلطانٌ بقـربٍ فـلا تغفـل تـرقبـك البعـادا
وقد تدني الملوك لدى رضاها وتُبعـد حين تحتقـد احتقـادا

---

[685] التمثيل والمحاضرة 130، محاضرات الراغب 189/1.
[686] التمثيل والمحاضرة 35.
[688] التمثيل والمحاضرة 132.
[689]
(1) البديع الهمذاني: أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذاني (398 هـ) أديب، شاعر، صاحب «المقامات» الشهيرة: اليتيمة 256/4-301، درج الغرر 47-48، معجم الأدباء 161/2-162، وفيات الأعيان 127/1-129، الوافي 355/6-358.
[690] ديوان أبي الفتح البستي: 244 ـ وتقدمت ترجمة البستي في الهامش 90.

كما المرّيخ في التثليث يعطي وفي التربيع يسلبُ ما أفادا

فصـل
في ذِكر قوم من الأدباء نُسبوا إلى سوء الأدب بين أيدي الملوك في أشياء ليست من سوء الأدب عند العامة وأكثر الخاصة

[691] دخل الشعبيّ على عبد الملك بن مروان أول دخلة فلما أخذ في الكلام كنّى رجلاً فقال له عبد الملك أخطأت الملوك لا يكنّي أحد بحضرتهم. وجرى حديث فقال اكتبنيه يا أمير المؤمنين، فقال أخطأت الملوك لا يستكتبون، واستفهمه كلاماً فقال ولا يستفهمون ثم استعاده فقال ولا يستعادون، فخرج من مجلسه يجّر ذيل الخجل.

[692] وكان كثّير(1) يحضر [سمر](2) يزيد بن عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله:

وقد عَرِفَتْ مغابنُها وجادتْ بدِرَّتِها قِرى حَجِنٍ قَتِينِ(3)

فقال وما يضرّ أمير المؤمنين أن لا يعرف ما قاله أعرابي بوّال على عقبيه هو القراد أشبه خلق الله بك! وكان كثّير قصيراً قميئاً دميماً.

[693] وقال الرشيد يوماً للأصمعي أخبرني عن فلان ـ لإنسان من

---

[691] نثر الدر 46/3.

[692]

(1) كثّير: كثّير بن عبد الرحمن الخزاعي (105 هـ): شاعر، ارتبط اسمه بعزة. قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام: الأغاني 25/8، شذرات الذهب 131/1، ومقدمة ديوانه بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

(2) الأصل: سرّ.

(3) ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني 329.

[693] عين الأدب والسياسة 129، محاضرات الراغب 187/1.

العرب ـ فقال له: على الخبير سقطت يا أمير المؤمنين فقال له الفضل بن الربيع: أسقط الله أنفك وعينيك، أهكذا يخاطب الخلفاء؟.

[694] ودخل الفيض بن أبي صالح على الرشيد فمدّ يده إليه ليقبلها فلم ينكب عليها ورفعها إلى فيه فقبّلها، فقال الرشيد: لولا حمقه لقتلته.

[695] وأوصل أحمد بن أبي(1) خالد بعض الأدباء إلى مجلس المأمون فطاوله الحديث، فلّما خرج قال لأحمد فهل أنكرت مني شيئاً؟ قال نعم ضحك أمير المؤمنين وضحكت أكثر من ضحكه، والضحك بين أيدي الملوك سوء أدب، لا سيما إذا كان أكثر من ضحكهم.

[696] وحكي الصولي قال:

قال لي المكتفي وقد أنشدته شعراً بعد إنشاد يحيى بن علي المنجم: أنت يا صولي أشعر من يحيى، فقلت رأي مولانا في عبده، وإلّا فيحيى أشعر، فلم خرجت قال لي القاسم بن عبيد اللّه [وكان](1) حاضراً ما جرى:

أخطأت في ردّك قوله حين قلت له يحيى أشعر مني، وقد قال أنتَ أشعر منه، والملوك لا يواجهون بالردّ، وإنما يقع تعريض بالمراد والمعنى. فقلت والله ما فطنت لهذا وقد تعلمت الآن.

فصـــل
في الدخول على الملوك والقعود عندهم

[697] لما أراد مالك بن أنس الدخول على الرشيد أول دخلة، قال للفضل بن الربيع علمني كيف أدخل إلى أمير المؤمنين وكيف اسلّم عليه وأين أقف من مجلسه؟.

---

[695] البصائر والذخائر 253/7 رقم 584.
(1) الكلمة موجودة في الهامش.
[696]
(1) الأصل: فكان.

[698] وممّا أجمع عليه أهل الخبرة بخدمة الملوك أنه يجب على الداخل إلى الملك أن يتعمد العدول عن الطريق الذي تقابله يمنة أو يسرة ثم ينجرف إلى مجلس الملك ويقف ويقيم الرسم في خدمة مثله، فإن استدناه الملك دنا خطى ثلاثاً أو نحوها ووقف، فإن استدناه ثانياً دنا نحواً من دنّوه الأول، ولم ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك جارحة، فإن ذلك وإن كانت على الملك فيه معاناة، فهو ممّا يجري في طريق إجلاله وتعظيمه، فإذا أمسك الملك عن الإشارة أو الحركةْ وقف في المكان الذي يقطع الملك إشارته عند انتهائه إليه، ومثل قائماً فإن أومأ إليه بالقعود قعد مقعياً أو جاثياً فإن كلّمه أجابه بانخفاض صوت، وقلة حركة وحسن استماع، فإذا قطع الملك كلامه قام فرجع القهقرى، وإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار، أو مسلك لا يحاذيه فعل ثم مشى كيف شاء.. ومن حق الملك أن لا يطيل أحد القعود، فإن أخطأ مخطىء في ذلك، فإن أذن له الملك في الإنصراف أن يلحظه فإذا عرف ذلك، ولم يقم كان ممّا يحتاج إلى أدب وكان الذي وصله بالملك له ولنفسه.

[699] وكان يقال لئن يقال تقدّم أمامك خير من أن يقال تأخر من ورائك.

[700] ويقال اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبّر، لا حيث تؤخذ برجلِك وتجرّ[1].

[701] قال أحمد بن الطيّب السرخسي[1]: اختلاف صور الجالسين على قدر اختلاف[2] صور أحوالهم فللملوك جلسة، وللمتعلم جلسة، وللنديم جلسة، وينبغي للنديم ولغيره أن يعطيه الملك حال الجلسة التي يستحق فهي من حسن الأدب.

---

[701]

(1) أحمد بن الطيب السرخسي: تقدمت ترجمته في الهامش 335.

(2) الكلمة موجودة في هامش الأصل.

[702] وكان عبد الملك بن مروان يقول إني لأعرف عِزّة الرجل من ذلته في جلسته.

فصـــل
في إجلال الملوك عن مخاطباتهم بكل ما يقتضي جواباً

[703] من الآداب التي جاءت السنّة ورفعتها الرسوم الملوكية: السلام والكلام على الطعام، أما السلام فإنه سنّة مؤكدة، ولكن الملوك قد تصالحوا على إعفاء الملوك عنها وصيانتهم عن كل ما يقتضي الجواب لأن السلام سنّة والجواب فريضة.

[704] وكان الفضل بن الربيع من أعلم الناس بخدمة الملوك ولطائف آدابهم ورسومهم. وكان يقول مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيّة النوكى، فإذا أردت أن تقول كيف أصبح الأمير فقل صبّح الله الأمير بالكرامة. وإذا أردت أن تقول كيف يجد الأمير نفسه فقل أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة لأن المسألة توجب الردّ فإن أجابك اشتدّ عليه وإن لم يجبك اشتدّ عليك.

[705] وكان الخلفاء إذا عطسوا شمتوا فردوا.

[706] وروي أنّ عبد الملك بن مروان عطس يوماً فشمته جلساؤه فردّ عليهم، وبلغ ذلك الحجاج، فكتب إليه: بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته جلساؤه فردّ عليهم. فاليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

[707] ولما كانت أيام الرشيد عطس يوماً فشمته بعض جلسائه فقال له

---

[704] جزء من النص في: التمثيل والمحاضرة 142، التذكرة الحمدونية 342/1 رقم 876، نزهة الظرفاء: 7.

[705] التاج 90.

[706] نزهة الظرفاء 20، التمثيل والمحاضرة 143.

الفضل بن الربيع: لا تعدّ تكلف الأمير رداً وجواباً، فجروا على ذلك إلى اليوم.

[708] ويحكى أن يحيى بن خالد اعتّل، فكان إسماعيل بن صبيح يعوده ولا يزيد على الدعاء، فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن أحمل عليه ـ مع العلة ـ مؤونة الجواب.

[709] وكان يقال الملوك يعلِّمون ولا يُعلَّمون ويجبرون ولا يستخبرون ولا يعارضون ولا يشمتون ولا يعاتبون ولا يعابثون.

فصــل
في غُرر من الوصايا لأصحاب الملوك

[710] الأصل فيها قول العباس بن عبد المطلب لابنه: يا بنيّ إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قرّبك واختارك على الكبراء من الصحابة وقدّمك عليهم، فاحفظ عني في أمرهم ثلاث خصال: لا تفشين له سرّاً ولا تغتابن عنده أحداً ولا يطلعن منك على كذبة.

[711] وقال زياد لابنه إذا دخلت على معاوية فادع له ثمّ اصفح صفحاً جميلاً ولا يرينّ منك تهالكاً عليه ولا انقباضاً عنه.

[712] وقال جليس لعبد اللّه بن زياد له أيها الأمير اعلمني ما يوافقك حتى امتثله ولا أجوز إلى غيره، فلعلي أثقل عليك، من حيث لا أدري قال: طلبت الأمر من وجهه لا تكثرنّ اتياني فأملك ولا تقعدن عني كل القعود، فأنساك ولا تكثرن طلب الحوائج للناس فيُبخل عليك بحاجتك.

[713] وقال عبد الملك بن صالح الهاشمي لجليس له كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ولا تساعدني على ما

---

[709] التمثيل والمحاضرة 143.
[713] عيون الأخبار 21/1.

يقبح بي ولا تردّ على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى.

فصـــل
فيما اختير من آداب ابن المقفع في وصاياه لهم

[714] لا تكوننّ صحبتك [للملوك](1) إلّا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفـك وتقديـر الأمور على أهوائهم دون هواك، فإن كنت حافظاً إذاً ولّوك، حذراً إذا قربوك أميناً إذاً ائتمنوك، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتشكر [لهم] ولا تكلفهم الشكر، وكنت كافياً إذا صرفوك راضياً إذا أسخطوك، وإلاّ فالبعد عنهم كل البعد والحذر كل الحذر.

[715] وقال: إذا صحبت الملك فعليك بطول الملازمة في غير معاتبة، وإذا نزلت عنده بمنزلة الثقة، فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثرن له من الدعاء، إلّا أن تكلمه على رؤوس الناس فلا يكونن طلبك ما عنده بالمسألة ولا يستبطئه، وأن أبطأ اطلبه بالاستحقاق، ولا تخبره أن لك عليه حقاً، وإنك تعتد عليه بخدمته وحرمه، ولا تعطينه المجهود كله في أول الصحبة، ولا تجد موضعاً للمزيد، ولكن دع للمزيد موضعاً، وإذا سأل غيرك فلا تكن المجيب، واعلم ان استلابك للكلام، استخفاف به، ولا تسار في مجلسه أحداً، فإن السرار يخيل إلى كل من رآه من سلطان أو غيره أنه المراد به وإذا كلمك فاصغ لكلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبـك بحديث نظر.

وقال أيضاً: جانب المسخوط عليه والظنين عند الملك ولا يجمعنك

[714] الدرة اليتيمة 81-82 (ضمن رسائل البلغاء)، عيون الأخبار 20/1.
(1) إضافة من اليتيمة، وفي العيون: للسلطان.
[715] الدرة اليتيمة 68 (ضمن رسائل البلغاء)، عيون الأخبار 20/1.

وإياه مجلس ولا منزل ولا يظهرن له عذراً ولا تثن عليه عند كل أحد، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل على استجلاب رضاه عنه برفق وتلطف.

فصـــل
في نكت من آداب أصحاب الملوك

[716] كان معاوية يقول لا يغلب على الملك بشيء كحسن الاستماع إلى حديثه والحلم عند سورته.

[717] وكان مسلم بن عمر يقول: ينبغي لمن خدم الملوك أن لا يغترّ بهم إذا رضوا عنه، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه، ولا يستثقل ما حملوه ولا يخف في مسألتهم[1].

[718] وكان شبيب بن شيبة يقول ينبغي لمن ساير الملوك أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الملك أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت ويكون من ناحية إن التفت لم يستقبل الشمس وإذا سار بين يديه فينبغي أن يحيد عن سفين الريح التي تؤدي الغبار إلى وجهه.

[719] ويقال إن سعيد بن مسلم بن قتيبة بينما هو يساير موسى الهادي وعبد اللّه بن مالك أمامه والحربة بين يديه فكانت الريح تسفي التراب التي تثير دابة عبد اللّه في وجه موسى الهادي وعبد اللّه لا يشعر بذلك والهادي يحيد عن سفي التراب ما يؤذيه، فلما كثر الأذى عليه قال لسعيد أما ترى ما تلقاه من هذا الخائن في سفرنا هذا؟ فقال يا أمير المؤمنين ما قصر في الاجتهاد ولكنه حرم التوفيق.

---

[717]
(1) الأصل: مسلتهم.
[719] التاج 80-81.

[720] وكان الفضل بن سهل يقول من أحبّ الازدياد من النعم فليشكرن ومن أحجب المنزلة عند سلطانه فليكفه، ومن أحبّ السلامة فليلزم الحدّ.

فصل
في أربع حكايات عن أربعة من الأفراد ينبغي أن يقتدى(1) بهم في خدمة الملوك

[721] دخل أبو مسلم على أبي العباس السفاح وعنده أخوه المنصور فسلم على السفاح ولم يلتفت إلى أبي جعفر فقال له السفاح هذا أبو جعفر فقال: يا أمير المؤمنين هذا موضع لا يقضى فيه ألّا حقك، فهذه في ترك التسليم في مجلس الأمير على أحد غيره.

[722] ودعا عيسى بن موسى ابن المقفع إلى مائدته فقال أصلحك الله لست يومي هذا للملوك اكيلاً. قال ولِمَ؟ قال لأني مزكوم والزكمة سيئة الجوار، مانعة من خدمة الأحرار، وهذه في الامتناع من مطاعمة الملوك مع العارض من الزكام.

[723] ودعا المأمون يوماً بالدواة في وقت تفرق الغلمان فقال مرات: يا غلام الدواة وعنده يحيى بن أكثم وبجنبه الدواة - فلم يبرح يحيى حتى أتى المأمون بالدواة، فكان أول ما وقّع يُعطى يحيى خمسون ألف درهم لحسن أدبه في تركه ما لا يعنيه، وهذه في ترك خادم الملك ما لا يلزمه واستغفاله بما هو من رسمه.

[724] ولما رفع المعتصم أشناس وأعلى مرتبته، طالب الحسن ابن سهل بالترجل والمشي بين يديه في جملة القواد، والتفت فرأى غلاماً من

---

[721] عيون الأخبار 21/1، محاضرات الراغب 186/1.
[724] الجوابات المسكتة ق 8.

غلمانه يبكي، فقال له: ما يبكيك يا بنيّ؟ فقال رأيتك في أيام المأمون والناس جميعاً قد ترجلوا لك ومشوا بين يديك، وأراك اليوم قد ترجلت ومشيت بين يدي هذا. فقال: هوّن عليك فذاك يوم أراد السلطان أن يشرفنا، وهذا يوم يريد أن يشرف بنا. وهذه للاستلام، لاوامر الملوك والرضا بما يرونه من الرفع والوضع والتقديم والتأخير.

فصـــل
في مطاعمة الملوك وحقوقها وشروطها والآداب فيها

[725] من شرّفه الملك بمطاعمته وتبذل بين يديه أُنساً به وليعلم أن موائد الملوك إنما تحضر للتشرف لا للتشبع، وليظهر التبسط في المطعم وإظهار القوم وإجابة داعي النهم، فإن فيها خلالاً مذمومة منها الجرأة على الملك بكثرة الحركة ومواصلة بسط اليد ومدها بين يديه.

[726] ومنها الدلالة على الشره الذي ليس من أوصاف أهل المروءة.

[727] ومنها الاتسام بسوء الأدب وقلة التمييز والمعرفة: وقد كانت الاكاسرة إذا رأت على مائدتهم من يستكثر من الأكل ويتبسط في اللقم أخرجوه من طبقة الجدّ إلى طبقة الهزل ومن بـاب التعظيم إلى بـاب التصغير.

[728] ويحكى أن سابور وُصف له رجل من كورة اصطخر يصلح لقضاء القضاة في العلم والامانة فأمر باحضاره، فلما دخل عليه دعاه إلى طعامه وسافرت يده على الخوان ورعا أرض الجيران، وفقأ عين الألوان، فلما رفعت المائدة وتنحى الرجل لغسل اليد، قال سابور للحاجب قل للرجل ودع وانصرف إلى أهلك، فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون

---

[725] قارن بالتاج 11 وما بعدها.

[728] واسطة الآداب ق 255، التاج 15-16.

من شره بين الملوك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية والسوقة أشدّ شرهاً ولم يستكفه ما كان أحضره له.

وجملة القول في هذا الباب إن جودة الأكل إنما تحسن مع الاخوان وربما يتجوز فيها مع الكبراء والرؤساء، فإما الملوك فإنهم يرتفعون عن كل طبقة ويخلون عن كل شيء وحقهم الاعظام والاحتشام التام.

[729] وحكي أحمد بن عبد الرحمن الحراني قال كنت وفلان وفلان وفلان بحضرة مائدة إسحاق بن إبراهيم المصعبي(1) وكنّا نعدّ عليها مائة مائدة من الطير، فأما الحلو والحامض والبارد والحار، فأكثر من أن نحصيه فلا نرزأ من ذلك كله إلّا قدر ما يأكل الطير، إنما نكسر الخبز باظفارنا ونذوق من بعض الألوان. فقيل له فما كان ينشطكم؟ قال لا ولو فعل ما فعلنا(2) ما انبسطنا. قال فما هو إلّا أن تتوارى عن عينيه حتى ننتهب، ومن حق الملك أن لا يرفع أحد طرفه إليه عند أكله ولا يحول يده مع يده في صحفة.

ومن آيين(3) موائد الملوك أن يوضع عليها بين يدي كل واحد من حاضريها صفحة فيها كالذي بين يدي الملك من طعام غليظ أو رقيق أو حار أو قار وأن لا يختص الملك دون أصحابه إذ له الاستئثار بكل شيء إلّا بالطعام، ما دام على المائدة من جلسائه، وإذا أجرى الملك حديثاً على المائدة، فليس لاحد أن يعارضه بمثله، لأن ترك الكلام على الطعام من شرط مجالسته اللهم إلّا أن يسأل عن شيء فلا بد من إجابته وإذا أتحف الملك ممن على مائدته بطعام من يده، فليعلم أنه لم يشرفه به ليأكله فلعله

---

[729] واسطة الآداب ق 255، التاج 13-17.

(1) إسحاق بن إبراهيم المصعبي (235 هـ): صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكان وجيهاً مقرباً من الخلفاء. عقد له المعتصم على الجبال سنة 218 هـ: ابن الأثير: 17/7 ـ الديارات: تستشار الفهارس.

(2) في الأصل غموض وأخطاء وأقمنا النص بالاعتماد على مصادر التخريج.

(3) آيين: القواعد، تقدم شرح الكلمة.

قصد مع مؤانسته إياه أن يعرف كيف ضبطه لنفسه، وامتلاكه عنان شهوته، فينبغي لمن وضع الملك بين يديه تحفه أن يكبّ عليها بالتقبيل، ويضع يده عليها من غير أن يأتي عليها، فإن ذلك ممّا يزيد في أدبه ولطف محله وإذا دفع الملك يده عن الطعام فليقم كل من طاف بمائدته وليتواروا عنه بجدار وحائل غيره. ثم إن أراد الملك القعود لهم وصلوا إليه بإذن ثانٍ.

ومن حق الملك أن لا يغسل أحد يده بحضرته، إلا أن يكون من نظرائه وأشكاله ونختم هذا الفصل بحكايتين في مواكلة الملوك.

[730] إحداهما ما قال علي بن عوف: تغدّيت مع المأمون والتفت إليّ وقال لي: خلال قبيحة بالمرء عند حضور المائدة: مسح اليد ومسّ اللحية والأكباب على المائدة والاستكثار من البقل.

[731] والأخرى ما سمعت بعض المشايخ بنيسابور يحكي عن أبي منصور السّوال ـ أحد التجار المياسير بها:

قال كان[1] دعاني أبو علي الصغاني[2] يوماً إلى مائدته فاستعفيت، وقلت: أنا إنسان سُوقي لا أحسن مواكلة الملوك، فقال لي: يا أبا منصور لتكن أظفارك مقلومة، وكمك نظيف، ولقمتك صغيرة، وكل مع من شئت.

فصـــل
في مجالسة الملوك ومنادمتهم

[732] ينبغي لمن يجالس الملك وينادمه، أن يديم الأخذ بأطرافه وأن ينظف جسمه، ويطهر ثوبه ويحمل هيئته ويظهر مروءته، ويحسن جلسته،

---

[731] لطائف اللطف 50 رقم 59، مرآة المروءات ق 222.
(1) الأصل: كان قال.
(2) أبو علي الصاغاني: تقدمت ترجمته تحت الهامش 40.
[732] قارن هذا الفصل بالتاج 53-67.

=

ويطهر ثوبه، ويحمل هيئته ويظهر مروءته ويحسن جلسته، ويجمع كل عقله وأدبه لخدمته، ويغضّ من بصره، وصوته في مجلسه، ولا يكلمه مبتدئاً، حتى يكون الملك هو المبتدىء بحديثه، ويحسن الاستماع إلى كلامه، ويصرف إليه مجامع فكره وذهنه وإن كان يعرف الحديث الذي يحدث به الملك فليصغ إليه إصغاء من لم يسمعه قط، وليظهر الاستبشار به والاهتزاز للاقتباس من نوره والاغتراف من بحره، فإذا أنس به الملك فاقبل عليه واسترسل إليه وطاوله الحديث وهازله وضاحكه، وأفضى إليه بسره واختصه دون نظرائه. فينبغي أن يدخل إليه بعد ذلك دخول من لم يجر بينهما أنس قط، ويظهر من الاجلال والتعظيم والخشوع والخضوع أكثر ما كان عليه قبل، فقد نصح من قال: إذا اتخذك الملك أباً فاتخذه رباً[1] وإذا زادك تأنيساً فزده إجلالاً[2].

[733] ويجب عليه أن يخفض صوته بحضرة الملك، ويتأدب بأدب الله تعالى في قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض**﴾ (الحجرات 2) وأن يحسن المحضر لكل من يجري حضوره بين يدي الملك ويقول له حسناً.

[734] ومما يحسن ويستحب من أفعال جلساء الملوك، ما فعله جليس كان للمنصور وذلك أنه أُتي بشيخ كبير كان خرج عليه من ناحية المغرب فلما وقع بصره عليه اغتاظ[1]، وأمر بتمزيق ثيابه وإقامته بين العقابين فحين أخذته السياط تمثل بقول الشاعر:

أتروض عرسك بعدما هرمت ... ومن العَناء رياضة الهرم[2]

= (1) أنظر الرقم 79.
(2) أنظر الرقم 78.
[734]
(1) الأصل: اغتاض.
(2) البيت بلا عزو: العسكري 279/2، الزمخشري 349/2، البكري 182، الأمثال والحكم 124.

فلو سمعه المنصور لأمر بضرب عنقه، فقال ماذا يقول، فقال الجليس تمثل ببيت عنترة:

العبد عبدكمُ والمال مالك فهل عذابك عني اليوم مصروفُ

فرّق له وأمر بتخلية سبيله وأخذ الكفيل منه.

[735] قال صاحب «أخلاق الملوك» من حقّ الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له صغرت أم كبرت، ولا يملأ عينيه من غلام له صبيح أو قبيح فكم من فيل قد وطىء رأس رئيس حتى تناثر دماغه، وداس بطنه حتى بدت أمعاؤه. وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقت السباع جلده وتنهشت لحمه، وتمشمشت عظامه وكم من جمجمة كانت تصان وتعلّى بالمسك والبان، وقد نبذت بالعراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب حرم الملوك وخدمهم وغلمانهم، وكم من جارية عزيزة كأنها فلقة قمر على برج فضة، قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء من تهمة اتجهت عليها ممن رفع طرفه إليها.

[736] قال: وينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، لا الصفراء تقلقله ولا البلغم يكثر مقامه ولا السوداء تضجره وتطيل فكره، فإما الدم فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة إذ بالبدن إليه حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.

قال: وليس لنديم الملك أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيته لانهما إلى الملك، إلاّ أن من حق الملك أن يأمر بالعدل عليه والوقوف به عند حدّ استطاعته وإعفائه عن الشرب إذا بلغ مجهود غايته فيه.

قال: ومن حق الملك إذا غلبت عيناه أن ينهض من حضره من صغير

---

[735] التاج 66-67.
[736] التاج 75.

أو كبير بحركة لينة خفيفة حتى يتواروا عن مجلسه، ويكونوا بحيث يقربون منه أن انتبه. ولا يقولنّ جليس الملك في نفسه: لعلّ الملك إن هبّ من نومه لا يسأل عني، فإن ذلك من أكبر الخطأ.

[737] ونختم هذا الفصل ببيتين أنشدنيهما أبو الفتح البستي لنفسه، وهما مما ينبغي للنديم أن يكتبه في السوادين من عينيه:

إذا خدمت الملوك فالبس   من التوقّي أعزّ ملبسْ
وادخل عليهم وأنت أعمى   واخرج - إذا ما خرجت - أخرسْ

فصل
في الهدية

[738] ممّا يجب على خدم الملوك: إقامة رسم الهدايا في النيروز والمهرجان، وعند الحجامة والفصد وشرب الدواء والقدوم من الاسفار، فإن الهدية عادة مشكورة، وسنة مأثورة.

[739] وفي الخبر عن النبي ﷺ: تهادوا تحابُّوا.

[740] وكان يقال اهدوا إلى الولاة فإنهم إن لم يقبلوا أحبّوا.

[741] وكان الفضل بن سهل يقول:

ما أُرضي الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلّت السّخائم ولا دفعت المغارم، ولا استميل المحبوب ولا توقى المخدور بمثل الهدية.

---

[737] ديوان البستي 266، التذكرة السعدية 263/1 رقم 197.
[738] قارن هذا الفصل بالتاج 146-150.
[739] نثر الدر 153/1، المقاصد الحسنة 165، مختصرة 88 رقم 328، صحيح الجامع الصغير 56/3 رقم 3001.
[740] الظرائف واللطائف 180، ربيع الأبرار 364/4.
[741] الظرائف واللطائف 180، ربيع الأبرار 358/4 [نسب إلى الجاحظ].

[742] فأحسن ما قيل في الاهداء إلى الملوك قول أحمد بن يوسف (1) للمأمون:

على العبد حَقٌّ فهو لا بدَّ فاعَلُهْ　　وإنْ عَظُم المولى وجَلَّت فضائِلُهْ
أَلم تَرَنا نهدي إلى الله مالَهُ　　وإنْ كانَ عنه ذا غنى فهو قابلُهْ

[743] وكنت افتتحت كتاباً في الهدايا وما قيل فيها نظماً ونثراً فعاقت العوائق عن استتمامه واختتامه ولعله يقع في مائتي ورقة.

[744] ومن ملح ذلك الباب وظرفه ما كتب أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء(1) إلى شرف الدَولة أبي الفوارس [ابن] عضد الدولة(2) مع درهمين خسروانيين وكتاب المسالك والممالك في دفترين:

أُهدي إليك بحسب حَالي　　في الخَصَاصة دِرهمينِ
وبحسبِ قَدرِك دفترين　　هما جَميعُ الخافقينِ
فإذا افتتحتهما رأيتَ　　بيانَ ذاك بلحظِ عَينِ

[745] وكتب إلى عضد الدولة(1) مع اصطرلاب أهداه إليه:

أهدى إليك بنو الآمالِ واحتفلوا　　في مهرجانٍ جديدٍ أنتَ تُعليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى　　عُلّو قَدرِك عن شيءٍ يُدانيهِ

---

[742] التحف والهدايا 41، شرح المغنون به على غير أهله 308، الظرائف واللطائف 180.
(1) أحمد بن يوسف الكاتب: تقدمت ترجمته تحت الرقم 194.
[744] اليتيمة 280/2، أحاسن المحاسن ق 165.
(1) أبو إسحاق الصابىء ـ تقدمت ترجمته في الهامش 111.
(2) شرف الدولة: شيرويه بن بويه ـ عضد الدولة ـ أبو الفوارس (340-379 هـ): تولى شؤون بغداد. وظفر بأخيه صمصام الدولة فحبسه، وصف بقلة الشر، اعتل بالاستسقاء، فمات شاباً، وكانت أيامه سنتين وثمانية أشهر: ابن الأثير حوادث 379 هـ، النجوم الزاهرة 148/4 و 152. الاعلام 183/3.
[745] اليتيمة 279/2، أحاسن المحاسن ق 165-166، زهر الآداب 391، حماسة الظرفاء 235/2، وفيات الأعيان 393/1.
(1) عضد الدولة: تقدمت ترجمته في الرقم 575.

لم يرض بالأرض مهداةً إليك فقد أهدى لك الفلكَ الأعلى بما فيهِ

[746] وعلى ذكر الفلك الأعلى فليكمل هذا الكتاب الخوارزم شاهي[1] على الجدّ الأعلى الأصعد، والطائر الأيمن الأسعد، لمولانا الملك السيّد الأجل ولي النعمة أطال الله بقاءه وأدام علاه، وخذل شانئه وكبت أعداءه.

والعبد الخادم والصنيعة مؤلفه يقول:

تمّ الكتاب بدولة الملكِ الذي قد صكَّ تاجُ علاه فوق الفرقد
خوارزم شاه البدر مأمون بن مأمون عماد المجد عَينِ السُّؤددِ
لا زال بين سعادة وافادةٍ وزيادةٍ في ظل ملكٍ سَرمدِ
والحمد لله العظيم جلاله ثمّ الصلاةُ على النبيّ محمدِ

تمّ الكتابُ بحمد الله ومنّه وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين.

وكان الفراغ من كتابته في العُشر الأخير من شهر رجب الفرد من سنة [2]وألف على يد فقير رحمة ربه عمر السديسي غفر الله له ولمالكه، وللناظر فيه، ولمن دعا لهما بخير، والحمد لله وحده.

تم تم

---

[746] ديوان الثعالبي 52، شعر الثعالبي الرقم 63، خاص الخاص 624-625.

(1) حرف الميم غير موجود في الأصل، وتقدمت ترجمة خوارزم شاه في مقدمة الكتاب.

(2) رقم غير مقروء.

فهرس المصادر والمراجع

ـ أحاسن كلم النبي للثعالبي.

ـ أحاسن المحاسن للثعالبي ـ مخطوطة باريس.

ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ـ بيروت ـ طبعة مصورة.

ـ أخبار الشعراء المحدثين لابي بكر الصولي. تحـ: هيورث دن، القاهرة، 1934 م.

ـ أخبار الظراف لابن الجوزي ـ دمشق.

ـ أخبار القضاة لوكيع بن خلف (1 - 3) القاهرة 1366 - 1369 هـ.

ـ أدب الدنيا والدين للماوردي، تحـ. مصطفى السقا ـ القاهرة ـ 1955 م.

ـ أدب الغرباء لأبي الفرج الأصبهاني. تحـ.د. صلاح الدين المنجد ـ بيروت.

ـ الأدب الكبير لابن المقفع (رسائل البلغاء ـ محمد كرد علي) ـ القاهرة ـ 1913 م.

ـ أدب الكتّاب لأبي بكر الصولي تحـ. د. محمد بهجة الأثري ـ القاهرة ـ 1341 هـ.

ـ الأذكياء لابن الجوزي تحـ. د. محمد مرسي الخولي ـ القاهرة ـ 1969 م.

ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني تحـ. د. عبد المجيد دياب ـ الرياض ـ 1986 م.

ـ الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي. تحـ. د. رضوان السيّد ـ بيروت ـ 1981 م.

ـ أشجع السلمي حياته وشعره تحـ. د. خليل إبراهيم بنيان ـ بيروت ـ 1981 م.

ـ أعتاب الكتّاب لابن الأبار. تحـ. د. صالح الأشتر ـ دمشق ـ 1961 .

ـ الأعجاز والإيجاز لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ـ ط 2 ـ بيروت ـ 1983 م .

ـ الأعلام لخير الدين الزركلي (1 - 8) ط 4 ـ بيروت ـ 1979 .

ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (1 - 16 (مصورة عن نشرة دار الكتب المصرية 1963) و 17 - 14 (1967 - 1974) وطبعة دار الثقافة (ط 6) ـ بيروت .

ـ الاقتباس من القرآن الكريم للثعالبي تحـ. د. إبتسام مرهون الصفار ـ بغداد ـ 1975 م .

ـ الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي. تحـ. أحمد أمين ورفاقه ـ القاهرة ـ 1944 م .

ـ الأمثال والحكم لمحمد بن أبي بكر الرازي تحـ. د. عبد الرزاق حسين ـ عمان ـ 1986 م .

ـ الأمثال والحكم للماوردي تحـ. د. فؤاد عبد المنعم أحمد ـ الدوحة ـ 1983 م .

ـ الأنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني تحـ. د. قاسم السامرائي ـ ط 2 ـ الرياض ـ 1982 م .

ـ أنساب الأشراف للبلاذري :

ج 3 تحـ. د. عبد العزيز الدوري ـ بيروت ـ فيسبادن ـ 1978 .

ج 4 تحـ. د. إحسان عباس ـ بيروت ـ فيسبادن ـ 1979 .

ـ الأنيس في غرر التجنيس للثعالبي تحـ. الأستاذ هلال ناجي (مجلة المجمع العلمي العراقي) مجـ 32 - 1 (1982) .

ـ الأنيق في المناجنيق لابن ارنبغا الزردكاش. تحـ. د. إحسان هندي ـ حلب ـ 1986 .

ـ الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي (1 - 2) تحـ. د. السيد محمد يوسف ـ الكويت 1977 - 1978 .

ـ الأوائل لأبي هلال العسكري (1 - 2) تحـ. د. وليد قصاب ـ محمد المصري ـ الرياض 1981 .

ـ الإيجاز والإعجاز للثعالبي ـ ضمن مجموعة خمس رسائل ـ الجوائب 1301 هـ .

ـ بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق تحـ. د. علي سامي النشار (1 - 2) ـ بغداد ـ 1977 .

ـ البداية والنهاية لابن كثير (1 - 14) طبعة مصورة ـ بيروت .

- برد الأكباد في الأعداد للثعالبي - ضمن مجموعة خمس رسائل - الجوائب - 1301 هـ.
- البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي:
1 - (1 - 4) تحـ. د. إبراهيم الكيلاني، دمشق 64 - 1968.
2 - (7) تحـ. د. وداد القاضي، تونس - طرابلس 1978.
- بهجة المجالس لابن عبد البر النمري (1 - 2) تحـ. د. محمد مرسي الخولي، القاهرة، 1962.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحـ. عبد السلام محمد هارون (1 - 4) القاهرة - 1968.
- التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ:
1 - نشرة أحمد زكي باشا - القاهرة - 1914.
2 - نشرة بيروت - 1969.
- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (1 - 4) - بيروت - طبعة مصورة.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1 - 14) طبعة مصورة - بيروت.
- تاريخ البيهقي ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأة - القاهرة - 1956.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - 1976.
- تاريخ الطبري (1 - 15) طبعة مصورة - بيروت.
- تاريخ مختصر الدول لابن العبري - طبعة مصورة - بيروت.
- تتمة اليتيمة للثعالبي، تحـ. عباس إقبال، - طهران - 1353 هـ.
- تجارب الأمم لمسكويه (1 - 3) تحـ. آمدروز - القاهرة - 14 - 1916.
- تحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي، تحـ. شاكر العاشور - بغداد - 1981.
- التذكرة الحمدونية (1 - 2) تحـ. د. إحسان عباس - بيروت - 83 - 1984.
- التذكرة السعدية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي، تحـ. د. عبد اللّه الجبوري (ط 2) الدار العربية للكتاب - تونس - 1981.
- التحف والهدايا للخالدين تحـ. د. سامي الدهان - القاهرة - 1956.
- تحفة الوزراء المنسوب للثعالبي:
1 - تحـ. ريجيناهاينكه - بيروت - 1975.
2 - تحـ. حبيب علي الراوي، د. إبتسام مرهون الصفار - بغداد - 1977.
- الترغيب والتهذيب للمنذري - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر لأبي الحسن الماوردي:
1 - تحـ. د. محي هلال السرحان - بيروت - 1971.

2 - تحـ. د. رضوان السيّد ـ بيروت ـ 1987.
ـ التشبيهات لابن أبي عون. تحـ. محمد عبد المعيد خان ـ كمبردج ـ 1950.
ـ التمثيل والمحاضرة للثعالبي ـ تحـ. د. عبد الفتاح الحلو ـ طـ 2 ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب ـ 1983.
ـ تهذيب الأخلاق لمسكويه، تحـ. د. قسطنطين زريق، بيروت، 1966.
ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني 1-12، حيدر آباد 1325-1327 هـ.
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي:
1 ـ تحـ. إبراهيم صالح ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ 1983.
2 ـ تحـ. هلال ناجي د. زهير زاهد ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ 1985.
ـ الثعالبي ناقداً وأديباً لمحمود عبد الله الجادر ـ بغداد ـ 1976.
ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي. تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ 1965.
ـ جمهرة الأمثال للعسكري (1-2) تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم ود. عبد المجيد قطامش، القاهرة، 1964.
ـ جمهرة النسب للزبير بن بكار ـ تحـ. محمود محمد شاكر، القاهرة، 1381 هـ.
ـ الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن منصور بن حبيش المعروف بابن الحداد، تحـ. د. رضوان السيّد ـ بيروت، 1983.
ـ الجوابات المسكتة لابن أبي عون ـ مخطوطة برلين.
ـ حكماء الإسلام للبيهقي ـ تحـ. محمد كرد علي ـ دمشق.
ـ الحكمة الخالدة (جاويد خرد) لمسكويه تحـ. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، 1952.
ـ الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (1-2) تحـ. مختار الدين أحمد، حيدر آباد الدكن، 1964.
ـ حماسة الظرفاء للعبد لكاني (1-2) تحـ. د. محمد جبار المعيبد، بغداد ـ 1978.
ـ الحيوان للجاحظ (1-7) تحـ. عبد السلام محمد هارون، القاهرة ـ 1945.
ـ خاص الخاص للثعالبي:
1 ـ بعناية حسن الأمين ـ بيروت ـ 1966.
2 ـ تحـ. د. صادق النقوي ـ دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ 1984.

ـ الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر تحـ. د. محمـد حسين الزبيـدي ـ بغداد ـ 1981.
ـ خلاصة الذهب المسبوك للأربلي، تحـ. مكي السيّد جاسم، بغداد، 1964.
ـ درج الغرر ودرج الدرر للمطوعي تحـ. جليل العطية ـ عالم الكتب، بيروت، 1986.
ـ الديارات للشابشتي تحـ. الأستاذ كوركيس عواد ـ طـ 2 ـ بغداد ـ 1966.
ـ ديوان الأخطل بعناية الأب أنطوان صالحاني، بيروت، 1891 م.
ـ ديوان أشجع السلمي أنظر: أشجع السلمي.
ـ ديوان البستي انظر أبو الفتح البستي.
ـ ديوان بشار بن برد (1-4) تحـ. ابن عاشور ـ تونس.
ـ ديوان أبي تمام الطائي (1-4) تحـ. محمد عبده عزام ـ القاهرة ـ 1951-1965.
ـ ديوان الثعالبي ـ تحـ. د. محمود الجادر ـ بيروت ـ 1988.
ـ ديوان جرير ـ دار صادر ـ بيروت.
ـ ديوان الخليل بن أحمد (ضمن شعراء مقلون) تحـ. د. حاتم الضامن ـ بيروت ـ 1987.
ـ ديوان السري الرفاء (1-2) تحـ. د. حبيب الحسني ـ بغداد ـ 1981.
ـ ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني ـ تحـ. د. صلاح الدين الهادي ـ القاهرة ـ 1968.
ـ ديوان الصاحب بن عباد. تحـ. الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ بيروت ـ 1974.
ـ ديوان صالح بن عبد القدوس (ضمن كتاب صـالح بن عبـد القدوس) تحـ. عبد الله الخطيب ـ البصرة ـ 1967.
ـ ديوان علي بن الجهم تحـ. خليل مردم بك ـ بيروت ـ طبعة مصورة.
ـ ديوان أبي فراس الحمداني ـ بيروت.
ـ ديوان لقيط بن يعمر الأيادي تحـ. د. خليل إبراهيم العطية ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ـ 1970.
ـ ديوان المتنبي تحـ. عبد الوهاب عزام ـ القاهرة ـ 1944.
ـ ديوان منصور الفقيه (شعر منصور) تحـ: عبد المحسن فراج القحطان، القاهرة، 1980.
ـ ديوان ابن نباتة السعدي (1-2). تحـ. عبد الأمير مهدي الطائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ـ 1977.

- الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد حسن أغابزرك (1-19) - طهران - 1393-1355 هـ.
- ربيع الأبرار للزمخشري (1-4) - منشورات وزارة الأوقاف - بغداد (76-1982).
- رسائل البلغاء. - تحـ - محمد كرد علي - القاهرة - 1913.
- رسائل الجاحظ (1-4) تحـ - عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1979.
- رسوم دار الخلافة للصابىء تحـ - الأستاذ ميخائيل عواد، بغداد، 1964.
- زهر الآداب لأبي إسحاق الحصري تحـ - علي البجاوي (1-2)، القاهرة، 1970.
- زهر الربيع في المثل البديع لمجهول (ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية) - طبعة مصورة - بيروت - 1981.
- زين الأخبار لأبي سعيد عبد الحي الكرديزي (1-2) تحـ. محمد بن تاويت - فاس - 1972.
- السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري - نشرة مجتبي مينوي - فيسبادن - 57-1958.
- سلوك المالك لابن أبي الربيع تحـ. د. ناجي التكريتي - بيروت - 1978.
- سمط اللالىء في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري - تحـ. الشيخ عبد العزيز الميمني - طبعة مصورة - بيروت.
- سنن الدارمي - تحـ. محمد أحمد دهمان - دمشق - 1349 هـ.
- سياسة نامة أو سير الملوك لنظام الملك الطوسي ترجمة الدكتور يوسف حسين بكار - ط 2 - دار الثقافة - الدوحة - 1987.
- شذرات الذهب للحنبلي - مكتبة القدسي - القاهرة - 1350 هـ.
- شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى - دار الكتب المصرية - القاهرة - 1944.
- شرح ديوان المتنبي:
1 - المنسوب إلى العكبري (1-3) تحـ. مصطفى السقا ورفاقه، القاهرة، 1956.
2 - البرقوقي - القاهرة - طبعة مصورة.
- شرح الصولي لديوان أبي تمام (1-3) تحـ. د. خلف رشيد - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - بغداد - 1978.
- شرح المضنون به على غير أهله لابن عبد الكافي تحـ. إسحاق يهودا - القاهرة - 1913.

ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1-20) تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1963.
ـ شعر ابن بسام:
1 ـ تحـ. د. مزهر السوداني ـ مجلة المورد [1986].
2 ـ تحـ. د. يونس السامرائي (ضمن «شعراء عباسيون» ـ بيروت ـ 1986).
ـ شعر الثعالبي تحـ. د. عبد الفتاح الحلو ـ مجلة المورد 1/6 [1977] بغداد.
ـ شعر زياد الأعجم. تحـ. د. يوسف بكار (دمشق ـ 1983).
ـ شعر الوزير المهلبي تحـ. د. جابر عبد الحميد الخاقاني (مجلة المورد [1974] 2/3).
ـ الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان تحـ. د. علي سامي النشار ـ الدار البيضاء ـ 1984.
ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني (1-6) ـ المكتب الإسلامي بدمشق ـ 1982.
ضعيف الجامع الصغير وزياداته للألباني (1-6) ـ المكتب الإسلامي بدمشق ـ.
ـ الطبقات الكبرى لابن سعد (1-9) ـ ليدن ـ 1904-1940.
ـ طبقات الشعراء لابن المعتز تحـ. عبد الستار محمد فراج ـ القاهرة ـ 1956.
ـ طبقات الصوفية للسلمي ـ طبعة مصورة ـ بيروت (عن نشرة شربية).
ـ العبر في خبر من غبر للذهبي (1-6) ـ الكويت ـ 60-1966.
ـ العقد الفريد لابن عبد ربه (1-7) تحـ. أحمد أمين ورفاقه ـ القاهرة ـ 48-1953.
ـ عهد أردشير تحـ. د. إحسان عباس ـ بيروت ـ 1967.
ـ عين الأدب والسياسة لابن هذيل ـ القاهرة ـ 1302 هـ.
ـ عيون الأخبار لابن قتيبة (1-4) ـ القاهرة ـ 1924-1930.
ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (1-3) ـ القاهرة ـ 1299 هـ.
ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمجهول (ج 4) تحـ. نبيلة عبد المنعم داود ـ النجف ـ 1972.
ـ غرر أخبار ملوك الفرس المنسوب للثعالبي ـ نشرة زوتنبرغ ـ مصورة طهران ـ 1963.
ـ الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقى ـ دار الصياد ـ بيروت (د. ت).
ـ الفرج بعد الشدّة للتنوخي (1-5) تحـ. عبود الشالجي ـ بيروت ـ 1978.
ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري تحـ. د. إحسان عباس ود.

عبد الحميد عابدين ـ بيروت ـ 1971.
ـ فقه اللغة للثعالبي تحـ. مصطفى السقا ـ بيروت ـ 1972 (طبعة مصورة).
ـ الفهرست لابن النديم تحـ. رضا تجدد ـ طهران ـ 1971.
ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ـ تحـ. عبد الرحمن اليماني ـ بيروت ـ 1960.
ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (1-5) تحـ. د. إحسان عباس ـ بيروت ـ 1974.
ـ قانون البلاغة لمحمد بن حيدر البغدادي. تحـ. د. محسن غياض ـ بيروت ـ 1981.
ـ قانون السياسة ودستور الرياسة لمجهول تحـ. محمد الحديثي ـ بغداد ـ 1987.
ـ قوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي ـ تحـ. د. رضوان السيّد ـ بيروت 1979.
ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير تحـ: تورنبرغ (1-13 ـ بيروت ـ طبعة مصورة.
ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ـ استانبول (1-2)، 41-1943.
ـ الكلم الروحانية لابن هندو ـ نشرة مصطفى الدمشقي ـ القاهرة ـ 1900.
ـ كليلة ودمنة:
1 ـ نشرة دي ساسي ـ باريس ـ 1817 م.
2 ـ نشرة لويس شيخو ـ بيروت ـ 1923.
ـ الكناية والتعريض للثعالبي ـ القاهرة ـ 1326 هـ ومخطوطة شستربتي.
ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ تحـ. أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1935.
ـ لباب الآداب للثعالبي (1-2) تحـ. قحطان رشيد صالح ـ بغداد ـ 1988.
ـ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ـ بغداد ـ طبعة مصورة.
ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (1-7) حيدر آباد الدكن ـ 1331 هـ.
ـ لطائف اللطف للثعالبي ـ تحـ. د. عمر الأسعد ـ بيروت ـ 1980.
ـ لطائف المعارف للثعالبي تحـ. إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ـ القاهرة ـ 1960.
ـ اللطائف والظرائف للمقدسي ـ بغداد ـ طبعة حجرية ـ 1283 هـ.
ـ اللطف واللطائف للثعالبي. تحـ. د. محمود الجادر ـ الكويت ـ 1984.
ـ المبهج للثعالبي:
1 ـ نشرة مطبعة النجاح ـ القاهرة 1904.
2 ـ مخطوطة شستربتي.

ـ مجمع الزوائد للهيثمي (1-10) بيروت ـ 1967.
ـ المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ـ تحـ. فلوتن ـ ليدن ـ 1900 م.
ـ المحاسن والمساوىء للبيهقي (1-2) تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ 1961.
ـ محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني (1-4) ـ بيروت ـ 61-1963.
ـ المحمدون من الشعراء للقفطي تحـ. رياض عبد الحميد مراد ـ دمشق ـ 1975.
ـ المختار من قطب السرور اختيار المسعودي ـ تحـ. عبد الحفيظ منصور ـ تونس ـ 1976.
ـ مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني ـ تحـ. د. محمد بن لطفي الصباغ ـ الرياض ـ 1981.
ـ المذاكرة في ألقاب الشعراء للمجد النشابي تحـ. شاكر العاشور ـ بغداد ـ 1989.
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (1-7) تحـ. شارل بيلا ـ بيروت ـ 66-1979.
ـ المستقصى للزمخشري (1-2) ـ بيروت ـ طبعة مصورة عن نشرة حيدر آباد.
ـ مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل (1-6) ـ دمشق ـ المكتب الإسلامي 1969.
ـ المصباح المضيء لابن الجوزي (1-2) تحـ. ناجية عبد الله إبراهيم ـ بغداد ـ 1977.
ـ مطالع البدور للغزولي ـ القاهرة (د. ت).
ـ المعارف لابن قتيبة تحـ. د. ثروت عكاشة ـ القاهرة ـ 1969.
ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي (1-7) تحـ. مارجليوث ـ القاهرة ـ 1925.
ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (1-5) ـ دار صادر ـ بيروت ـ.
ـ معجم الشعراء للمرزباني تحـ. عبد الستار أحمد فراج ـ القاهرة ـ 1960.
ـ معجم مصطلحات الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفني ـ بيروت ـ طـ 2 ـ 1987.
ـ المغرب للمطرزي (1-2) تحـ. فاخوري ومختار ـ حلب ـ 1979.
ـ المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة لصلاح الدين المنجد ـ بيروت ـ 1978.
ـ المقاصد الحسنة للسخاوي ـ نشرة عبد الله الصديق ـ القاهرة ـ 1956.
ـ المنتحل ـ اختيار الثعالبي ـ الاسكندرية ـ 1901 م.
ـ المنتظم لابن الجوزي (5-9) ـ حيدر آباد الدكن ـ 1357 هـ.
ـ من غاب عنه المطرب للثعالبي ـ تحـ. د. يونس السامرائي ـ بيروت ـ 1987.

ـ النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس لابن دحية الكلبي تحـ. عباس العزاوي المحامي ـ بغداد ـ 1946.
ـ نثر الدر للأبي:
1 ـ (1-4) تحـ. محمد علي قرنة (القاهرة ـ 80-1985).
2 ـ (7) تحـ. عثمان بوغانمي ـ تونس ـ 1980.
ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (1-16) ـ القاهرة ـ 1972 (طبعة مصورة).
ـ نـزهة الـظرفاء وتحفـة الخلفاء للملك الأفضـل العباس بن علي تحـ. نبيلة عبد المنعم داود ـ بيروت ـ 1985.
ـ نشوار المحاضرة للتنوخي (1-8) تحـ. عبود الشالجي ـ بيروت ـ 71-1973.
ـ نصيحة الملوك للماوردي:
1 ـ تحـ. الشيخ خضر محمد خضر ـ الكويت ـ 1983.
2 ـ تحـ. الأستاذ محمد الحديثي ـ بغداد ـ 1986.
ـ نكت الهميان في نكت العميان للصفدي تحـ. أحمد زكي ـ القاهرة ـ 1911.
ـ نكت الوزراء.
ـ نهاية الإرب للنويري (1-28) ـ القاهرة ـ 27-1985.
ـ نهج البلاغة للإمام علي جمع الشريف الرضي (1-4) ـ بيروت ـ 1965.
ـ هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (1-2) ـ استانبول ـ 1951.
ـ واسطة الآداب للخمي ـ مخطوطة مصورة.
ـ الوافي بالوفيات (1-17) ـ (22) للصفدي بعناية مجموعة من المحققين ـ بيروت ـ فيسبادن.
ـ الوزراء والكتاب للجهشياري. تحـ. مصطفى السقا ورفاقه ـ القاهرة ـ ط 2 ـ 1980.
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي. تحـ. محمد محي الدين (1-4) ـ القاهرة ـ 1956.
ـ يتيمة السلطان لابن المقفع (ضمن كتاب رسائل البلغاء ـ بعناية محمد كرد علي) ـ القاهرة ـ 1913.

فهارس الكتاب

فهرس آيات القرآن الكريم

نص الآية	رقمها	الصفحة
البقــرة		
وقال الذي حاج إبراهيم في ربه، أنا أحيي وأميت	258	36
ولكم في القصاص حياة، يا أولي الألباب	179	95
آل عمــران		
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتذل من تشاء	3026	36
وشاورهم في الأمر	159	92
ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين	139	180
النسـاء		
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم	58	35
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به	83	180
لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس	114	189
المائـدة		
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين	20	35
وكتبنا عليهم فيها المائدة	45	140

نص الآية	رقمها	الصفحة
الأنعـام		
وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات	165	35
الأعـراف		
وكتبنا له في الألواح من كل شيء	145	140
الأنفـال		
يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال	65	179
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا	45	179
إن الله مع الصابرين	45	179
وإن جنحوا للسلم، فاجنح لها	61	189
التوبـة		
قاتلوا المشركين كافة كما يقـاتلونكـم كافة	35	179
الإسـراء		
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط	29	210
طـه		
اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى	44-24	35
رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزري واشركه في أمري	36-29	125
قال قد أوتيت سؤالك يا موسى	37	125
الأنبيـاء		
لو كان فيها آلهة إلاّ الله لفسدتا	22	132
الفرقـان		
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا	67	210

نص الآية	رقمها	الصفحة
النمـل		
ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون	32	92
الزخـرف		
أليس لي ملك مصر	51	67
ورسلنا لديهم يكتبون	80	107
الحجـرات		
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم، فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض	2	241-45
فأصلحوا. بين أخويكم	15	189
ق		
ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عنيد.	18	107
الذاريـات		
ومن أنفسكم أفلا تبصرون	21	191
الحـديد		
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم	27	140
المجادلة		
يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة	12	46
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي	21	140
القلـم		
ن، والقلم وما يسطرون	1	140
النازعـات		
أنا ربكم الأعلى	79-24	36

نص الآية	رقمها	الصفحة
عُبس		
بأيدي سفرة، كرام بررة	16-15	140
الانفطـار		
وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبينْ	11-10	140
الشمـس		
والشمس وضحاها	1	140
ونفس وما سوّاها	7	140

فهرس الأحاديث والأثر

فهرس القوافي

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الملاح	ابن الزيات	1	228
	الـدال		
آبده	ابن بسام	2	133
النفادا	البستي	4	230-229
محيدُ	أبو فراس	4	77
جدودُها	علي بن الجهم	3	158-157
عميدُ	ابن المعتز	2	218
عوده	المهلبي	4	133
بلادِ	—	2	160
الحسد	ابن المعتز	7	174
الفرقد	الثعالبي	4	245
أحد	ابن المنجم	2	127
	الراء		
قنبرا	الإمام علي	1	38
كبرا	-	2	167
مستديره	الشاشي	2	208
دار	أبو تمام	1	108
آثار	—	1	115
تحار	ابن الرومي	2	152
آثاره	ابن الرومي	1	207
بالنظرِ	ابن نباتة	2	37
الدهر	—	2	101
الآثار	—	1	113
أخطارها	علي بن الجهم	5	113
بأخبار	—	2	114
للبشر	زياد الأعجم	2	118
التدبير	—	2	119
الوزير	—	1	127
ستر	زهير بن أبي سلمى	1	170
باطهار	الأخطل	1	186
فذر	عبد الله بن طاهر	1	112
	السين		
خميسا	أبو تمام	1	135

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
نفوسا	أبو تمام	1	175
لباس	ــــ	2	207
عباس	هبة اللّه المنجم	2	134
رمسه	أبو فراس	2	218
ملبس	البستي	2	243
	الصاد		
لصوصُ	أحمد بن أبي طاهر	2	138
خصوصُ	البحاث	2	138
خراط	السلمي	2	94
	العين		
مطلعاً	لقيط الأيادي	4	135-134
تنفع	الصاحب بن عباد	2	173
	الفاء		
الرغيف	أبو دلف	2	100
كافي	السري الرفاء	5	146-145
مصروف	عنترة	1	242
	الكاف		
شفاكا	المأمون	3	121
الملك	الثعالبي	2	129
	اللام		
الأبطالا	ــــ	1	110
زوالها	ابن أبي بكر	2	167
أصيل	يزيد الكوفي	4	117
ساحل	أبو تمام	1	127
شاغلة	جرير	1	201
فضائله	أحمد بن يوسف	2	244
الآمال	العطوي	2	49
المعالي	الثعالبي	1	49
فضلها	النعمان	3	65
البذل	عبد اللّه بن طاهر	2	81

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الإبل	—	1	819
أمثالي	—	2	225
	الميم		
الظلما	باذنجانه	4	118
إمام	ابن مسعده	5	39
الدم	المتنبي	1	96
مقام	المتنبي	2	101
الإسلام	التيمي	2	35-34
المسلم	أشجع السلمي	8	85-84
حازم	بشار بن برد	2	92
العلم	السري الرفاء	4	145
هضيم	ابن المعتز	4	159
مدام	الأسدي	2	162-161
الهرم	—	1	241
الكرم	البستي	2	141
	النون		
السُنّه	الثعالبي	2	208
بالمنون	الحاتمي	2	37
قتين	الشماخ	1	230
درهمين	الصابىء	3	244
	الهاء		
تلقاه	الطائع لله	3	166
مجتديه	عبد اللّه بن الزبير	2	117
فيه	—	2	193
كره	—	1	108
عليه	المعتمد	3	163
المملكة	الثعالبي	2	129
	الياء		
تعليه	الصابىء	3	245-244

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

فهرس الأماكن

محتويات الكتاب

الباب الخامس:

الباب السادس:

الباب السابع:

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم	90/9/3000/159
التنضيد : كومبيوتايب / بيروت	
الطباعة : دار الشروق / بيروت	

Adāb Al-Mūlūk

PAR

Al-Ta'alibi

EDITION CRITIQUE
PAR

Jalil al-Attiya

Docteur ès Lettres

Publiée avec le concours financier de L'Unesco

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
Beyrouth - 1990